

سحر ايام



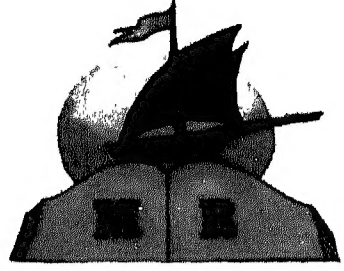
سحر ايام



 Bibliotheca Alexandrina



 0111971



مركز الراية للنشر والإعلام

● مركز الراية هو دار نشر حرة مستقلة تتبنى قضايا جادة وهادفة .

● وقد تم تأسيس هذا المركز من وحي احساسنا بدور الكلمة المطبوعة في التعبير عن قضايانا المصيرية . وكشف أوجه القصور . وتصحيح الأوضاع المقلوبة . أو المفاهيم الخاطئة . وإثراء حياتنا الفكرية والثقافية .

● ورغم أن المركز لا يزال في بداياته الاولى إلا أن حسن استقبال القارئ العربي من المحيط الى الخليج لمطبوعاتنا جعلنا ندرك حجم المسؤولية المنقاة على عاتقنا ، ونحاول قدر جهدنا تقديم كل جديد وجاد وهادف .

الناشر

محمد قنديل

محمد رضوان

شعراء الحب

مركز الراية للنشر والإعلام

كلمة الناشر

هناك شعراء وقفوا حياتهم على التغنى ببدايع الحسن وروائع الجمال ، وعاشوا تجارب الحب بكل ألوانه من وصال وهجر ، وفراق وحنين ، ودموع وضحكات ، وعبروا عن مشاعرهم وأحاسيسهم الوجدانية بكل صدق وحرارة وأمانة .

وكان أكثر شعراء الحب الذين اتسموا بالصدق هم شعراء الرومانسية الذين اشتعل وجدانهم حباً وعشقاً ، فملأوا الدنيا غناء وتشبيهاً ، ومن بينهم نخبة من الشعراء الذين ظهروا مع جماعة أبوللو ، ونشروا بمجلة أبوللو قصائدهم ومن أبرزهم على محمود طه ، وإبراهيم ناجي ، وصالح جودت ، وأحمد فتحي ، والهمشري .

وفي هذا الكتاب الجديد للكاتب الصحفي محمد رضوان دراسة موسعة شاملة عن الموثرات التي لعبت دوراً عميقاً في حياة شعراء الوجدان وشعرهم ، ودور الحب في حياتهم ، فجاء شعرهم تسجيلاً أميناً لقصص حبههم ، وصدى لذكريات ليالى الحب والغرام التي عاشوها .

أحمد فكري

مدير مركز الرواية

رقم الإيداع ٩٩/٤٨٤٥

منهج محمد رضوان فى أدب السير والتراجم

بقلم السفير الشاعر :
أحمد عبدالمجيد

مركز الراءة للنشر والإعلام

أسسه أحمد فكرى عام ١٩٩٩

اسم الكتاب : شعراء الحب

المؤلف : محمد رضوان

تصميم الغلاف : أحمد فكرى

الطبعة الأولى : ١٩٩٩

كافة حقوق الطبع والنشر والتوزيع

هى حق من حقوق الناشر لا يجوز

اقتباسها أو نقلها إلا بإذن كتابى منه

وكتابة السيرة أو الترجمة ، تعتبر فى هيقينى عملا جليلا ينطوى على مناحى
الخير والصدق والجمال .

فهذا العمل ، يعهد الى تسجيل أعمال فنان ، كبقما كان فنه الذى ولع به ،
واتخذة هاية ومأربا .

ثم لايلبث أن يجد القارئ الى جانب تسجيل أعمال الفنان ، أن كاتب سيرته
يعيد خلق شخصيته فى سيرة أخرى ، غير التى كان يحياها كحياة فردية .

ذلك أن كاتب السيرة أو الترجمة ينصرف همه الى الاخلاص للواقع الفنى
ولذلك كانت أعظم التراجم فى العالم ، هى التى تقدم موضوع الفن على حقيقة وواقع
الفنان ، ثم تتعدى ذلك الى خلق صورة حية للفنان فى إطار أعماله وفى ضوء ما أفاء
به على انتاجه من قدرة وتفرد واحسان .

والترجمة لفنان من الفنانين ، لاتكون صادقة الا اذا احتوت على تحليل عميق
للمشاعر البشرية ، وتكشفت لها الدوافع والغايات الانسانية التى تكون
هاديا لكاتب السيرة ومنارا يقيه العثرات .

XXXXXXXXXXXX

ويختلف كاتب الترجمة أو السيرة عن الناقد فى أن الأول يكشف من خبير
مافى أعمال المترجم له من نواحي الكمال والجمال ، لأنه تأثر به وملأت عينه
أعماله ، وأكبر فيه ما أنتجه من آثار ، فى حين أن الثانى ، لا يحرص ، اذا
كان مايكتبه عن الفنان الذى يتناول فنه بالنقد ، يقضى الى هدم صاحبه ،
مادام هو فى صدق واخلاص ، قد أرضى ضميره ، وارتاح الى حكمه ، واتبع مسلكا
لاشبهة فيه لميسل أو هوى .

وكتابة السيرة أو الترجمة لفنان من أهل الفن ، أمانة كبرى ، تستند
بالمخاطر ، ولاتترك له مخرجا للراحة الا أن يكون ذلك عن طريق التنفيذ
الكامل لما حمل من أمانة ، وما آلى على نفسه من الوفاء بها .

ولقد من للأديب الناقد محمد رضوان أن يحمل على عاتقه هذه الأمانة .

وقد تهبأ لى الاطلاع على كتاب ، توفر على وضعه الأديب محمد رضوان عن الكاتب

والشاعر والناشر الدكتور زكى مبارك هو " صفحات مجهولة من حياة زكى مبارك " والذى كان من فرط تنوع انتاجه بين نشر وتقديم ونظم وتحليل بالاضافة الى حصوله على ثلاث شهادات للدكتوراة يتندرون بقولهم عنه :

" الدكتور زكى مبارك " ..

كما سلحت لى سائحة اخرى بالإطلاع على كتاب أعده الأديب محمد رضوان عن الشاعر الرقيق أحمد فتحي ، أحسن اختيار عنوانه " اعترافات شاعر الكرنك " كما اطلعت على مسودات دراسات شاملة له عن الشاعر على محمود طه والشاعر ابراهيم ناجى والشاعر صالح جودت والشاعر عبدالحميد الديب والشاعر كامل الشناوى .

ويجمل لى أن أرجى الحديث من العمليين الكاملين اللذين أشرت اليهما إلى حين تناول وضع الأديب الناقد محمد رضوان من أدب السير والتراجم ومنهجه فيه .

XXXXXXXXXXXXXXXX

لقد اختار الأديب الناقد محمد رضوان هذا اللون من الأدب بعد أن قر لى ذهنه أنه مولى به ومتفان فيه ومخلص فى الكشف من خوافيه مهما كلفه البحث من جهد وعنت .

وانك لتراه عندما يختار تمثاله الذى يريد أن يلقى عليه الضوء ، قد ملأ يديه وقلبه وعينيه وذهنه بكل ما كان يحيط بالمتروم له فى حياته ان كان قد قفى ، أو ما يزال يضطرب فيه ان كان من الأحياء .

ولست أفلو اذا أنا قلت أنه يكاد يتنسم نسيمه ويشاركه نبض قلبه وطرفة عينه ..

وهذا ضرب من الاخلاص فى العمل يحس أن يخذو خذوه كل كاتب للترجمة عن فنان ، حتى تجى كتابته نابضة بالحياة والصدق .

ولدى أسباب تحملنى على هذا القول ، أوجرها فيما يلى من سطور :

١ - ان محمد رضوان مخلص فى مسله لهذا الفن الذى تعلقت به نفسه ، والسذى لم يسزره

كثيفا خيال في الكرى أو كظم من أحلام الرغبات المكبوتة التي تغادره عند الصباح ، وكان شيئا لم يكن ، بل أنه ليصبح ويمسى ولاشغل له الا هذا اللون من الكتابة ، ولابديل له عنده مهما تنوعت الفنون والآداب من حوله أو فيما يقرأ أو يشاهد أو يطلع .

٢ - انه صادق في رغبته من اتخاذ الشعراء الرومانسيين مسرحا لأعماله ، بعد أن شغلته أعمالهم وأحب فيهم نزعاتهم وامثلا قلبه اعجابا واكبارا لفنهم . وهو يريد مخلصا أن يخرج أعمالهم على مسرحه الذي أقامه لهم وحشد لسه بجهد وتغان ومشقة ، كل ما يضمن لعمله النجاح ، ويلقى من المشاهديين التمتع والاستحسان . .

٣ - انه اختار "المنهج النفسي" في كتابة التراجم ، بعد أن أيقن من حسن معالجته لهذا اللون الذي يتطلب خصائص ذاتية ، يتعين توفرها في أول الطريق ، ثم لا يلبث أن يملكها العران من حول المعاناة والسهر على هذا اللون في سبيل الاجادة والاحسان .

على أن هذا اللون من أدب التراجم شاق المأخذ ، وعر المسالك ، عميق الغور ، فان على من يختاره أن تكون عدته من الاطلاع على خوافي شعور المترجم له وافية ، ونفوذه الى أسرار صناعته سليم المأخذ واضح الجادة . والعثور على مفتاح شخصية الفنان أمر عسير المأرب ، ولايستجيب الا لقلبة من الكتاب .

وهذا المفتاح كالشفرة السرية التي تكتب بها البرقيات الخطيرة في السياسة أو في الحرب .

وعلى طالب هذا اللون أن يزود نفسه الى جانب مطالعته العديدة في أدب المترجم له ، أقول أن يزود نفسه بقراءات مستفيضة في علم النفس ، حتى يكون حكمه مستندا الى قواعد من العلم ، الى جانب ما يسوقه في بحثه من شواهد من الفسح .

وهو فى هذا الشأن كالطبيب الباطنى المعالج ، على سبيل المثال ، الذى ينجح فى الوصول الى سلامة تشخيصه ، كلما كان إلمامه بعلم النفس واسعا ومحيطا ، ودرايته بأساليب التعليل والتحليل وافية وسليمة .

٤ - كما أنه أحب أن يخصص فى الترجمة النفسية لشعراء لم ينصفهم زمانهم ، لالعله فى أعمالهم ، ولكن لعله فى زمانهم وفى أهل زمانهم .

وهذا وفاء أقطع بأنه نادر المثال فى وقت وزمن وحين تذهل كل مرضعة عن

أرضت من فرط الهمّة على تحصيل ما تصل اليه اليد من مادة ، وليذهب الى الجحيم غيرها من الأيادى ، ولأم الواهن الهبل !

ومن المعويات التى تواجه كتاب هذا اللون من التراجم ، ما أسوقه فيما يلى

كمثال :

فقد فُتت محكمة استئناف باريس فى شهر مايو ١٩٧٠م بتعويض على جريدة " فرانس ديمانش " لأن أحد محرريها نشر عنوان " مغنى " كان يوشر أن يبلّغى فى الظل بعد أن عشى بصره من ضوء الشهرة ، كما نشر رقم تليفونه وعنوان منزله الريفى واسمه الحقيقى قبل مزاوله فنه ، وذلك وهو بسبيل عرض بعض أعمال الفنان وذكر ما فيه الفنسى .

وكان الحلم يستهدف انقاذ الحياة الخاصة من ادعاء الحق فى حرية التعبير

الذى لا يجوز أن تكون بمقدار .

فمن حق المرء أن يكون فى مأمن من أى تعد على حريته أو سمعته أو

خصوصيته أو رغبته فى السيان .

ذلك أن كاتب الترجمة النفسية ، حرصا منه على استكمال الصورة لمن يترجم

له ، يفرغ وراء ما يمكن أن يصل به الى الكمال ، مهما كشف خلال بحثه عن

جوانب لها خصوصيتها ، ولها احترامها وقد استهها .

xxxxxxxxxxxx

وأعود لأتحدث من عمل الكاتب الصحفى محمد رفوان الذى تجسد بدايته فى

الكتابة عن الأديب الشاعر الناقد الدكتور زكى مبارك ، والشاعر والأديب الرقييقي أحمد فتحي .

وقد أمراه بالكتابة عنها ، انتما وهما للمدرسة الرومانسية التي جلبت لسبب المترجم واستأشرت باهتمامه .

وإذا تركنا أمر الوفاء لفنانين لم يبنالا حظهما من الشهرة في حياتهما ، وبعد وفاتهما ، حتى لانستجدي الاستحسان ، ونبتز مواطني الرفا عن فن الأديب رضوان ، بعرض هذه الواجهة الخلقية النادرة الكريمة ، فإنه يبقى أمامنا عمل الفنان خالصا لوجه الفن .

فهو حين يتولى ترجمة حياة الشاعر أحمد فتحي في كتابه " اعترافات شاعر الكرنك " ، نراه يذلف الى روح هذا الشاعر ، ويتسرب الى حياته ، وما اضطرب فيها من حال الى حال ، ويتشج برداء عصره الذي عاشه ، ويتنسم ما كان يستنشقه لجات ترجمته كظل الغصن أو رجح الصدى .

وقد حشد الأديب رضوان لبحثه كل ما يظمن له من شتى المصادر والمراجع والمظان ، وقد لمست من لهفته على رد الاعتبار لشاعر قضي دون أن يذكر له أحد فغلا ، ما أشاع في نفسى اليقين من قدرته على ما أخذ نفسه به .

والشاعر أحمد فتحي جدير بأن تتناول شعره أنلام عديدة ، وبحوث فريضة ، يلود هو وشعره هذه الأنلام والبحوث الى ما يتبغى من وضوح وإبانة .

XXXXXXXXXXXX

لقد لمست الجهد الصادق والمشقة البالغة ، والتفانى في احاطة بحشه بكل ما يعين القارئ على استيعاب ما أراده المترجم من الكشف عن المترجم له ، والأخذ بيد القارئ نحو مسالك ممهدة ، لا يلمس قاطعها كم من جهد بذله الكاتب فى تمهيد هذه المسالك ، كالذى يعمل فى صقل الماس ، حتى يراه الناظرون فى ثوبه الناصع اللامع ، مبرءا من كل شائبة ، دون أن يعيروا بالا لمعاناة من صقل هذا الماس الذى أخرجته فتنة للعبيون .

ولعل اطمئنانى إلى عمل محمد رضوان مرده إلى إخلاصه فيه وصدقته فيما بروى،
وتكالبه على جمع مواده من أصدق العظان ، وهذا فى يقينى سبيل قويم ، يتعين عليه
أن يستزيد منه ، ويعتمد عليه ، ويمضى على بركة الله .

والأديب الناقد محمد رضوان رغم أنه لم يتخطى عتبة الشباب بعد ، فأثمه فى
أدب التراجم النفسية الذى اختاره واختار التخصص فيه ، قد جاوز مرحلة
الشباب ودلف الى رجولة تتنسم منها وضوح العبارة ، وحسن التبويب ، وبراعة
العرض ، وصدق الاستنتاج ، الى جانب الغنى والشراء فى المادة التى يمنع منها
ممثال عمله .

وانسى أطلابه كامل يبشر بأوفر المحاصيل الفنية ، بأن يداوم على
اطلاعه ، وأن يستزيد من معارفه ، وأن يقرأ فى كل علم أو فن يجده معاوناً
له فى بحثه ، وأن يتابع ثمرات المطابع والأقلام ، وأن يغم الى كل ذلك بعسدا
عن الميل والهوى ، حتى يجيء عمله مبراً من كل شبهة لتحيز أو انفعال .

أحمد عبد المجيد "

مقدمة المؤلف

حرصت على تناول سيرة هؤلاء الشعراء الخمسة الذين فنوا أجمل ألفريد الحبيب والجمال واللقاء الألفوء على شعرهم مستخدما في ذلك " المنهج النفسى " فى الربط بين حياة الشاعر وانتاجه .

وقد تناولت هؤلاء الشعراء الخمسة لأنهم تجمعهم أواصر الشعر الرومانسى الوجدنى. ووشائج الرقعة العاطفية وعبادة الحسن والجمال والثورة على القديم كما أنهم يكونون مدرسة شعرية لها سماتها الخاصة المتفردة أستطيع تسميتها بمدرسة " الشعر الوجدانى الغنائى " .

والظاهرة التى نلمحها فى هذا الكتاب أن هؤلاء الشعراء ظهر انتاجهم ولمعوا على صفحات مجلة أهولو التى ضمت شتى التيارات والمدارس ، وان كان يغلب على شعرائها ذلك الطابع الرومانسى الوجدانى الغنائى .

ولكن هل كان هؤلاء الشعراء لاهم لهم الا التفتنى بالحسن والجمال والعيـش فى برج عاجى بعيدا عن هموم الوطن ومشاكله ؟

ان هذا الكتاب يظهر عدم دقة هذا الاتهام ، فلقد فندت دعوى من بعض النقاد اللذين يصفون شعر هذه المدرسة بأنه كان ينمو منحنى دعوة الفنـن

للفن Art For Art's Sake

وكان هذا غير صحيح لأنهم فاصوا فى عذابات المجتمع وهمومه ولم يخاطبوا الجمهور من برج عاجى ، ولكنهم عاشوا فى فترة قاسية مظلمة أثرت فى حياتهم وبالتالى فى انتاجهم فى فترة سادت فيها الرومانسية المجنحة الحالمية ، ولكنهم نافلوا فى سبيل خربة مصر واستقلالها ومن أجل العدل الاجتماعى .

لقد كان هؤلاء الشعراء الخمسة أصحاب قضايا اجتماعية وسياسية واضحة ، فنادوا بحرية الانسان وتحرره من قيود الاستعباد والتحكم ، كما نادوا بمجتمع جديد يسوده الحب والمفاهم الانسانى والعدل .

وأشرى هؤلاء الشعراء شعرنا العربى بثروة نفيسة من المعانى الوجدانية الفياضة وجددوا فى التميدة العربية شكلا ومضمونا واستحدثوا لونا جديدا فسبى شعرنا المعاصر يتميز بسمات خاصة متفردة .

XXXXXXXXXXXXXXXX

-١٢-

ولكن كيف كان منهجى فى هذا الكتاب ؟

وكيف تناولت سيرة الشعراء الخمسة ونساجهم ؟

لقد استخدمت منهج التحليل النفسى Psychoanalytic فى
أدب التراجم والسير ، فدرست شعر هؤلاء الشعراء من خلال سيرة حياتهم وتتبع الأظوار
المختلفة التى مروا بها وانعكاس ذلك فى نساجهم فى كل حقبة من فترات
حياتهم وربطت بين حياة الشاعر وآثاره ، لنخرج بصورة متكاملة لملاح الشعراء
الدوقية والنفسية والروحانية .

اننى رسمت للشاعر الذى تناولته بالترجمة صورة نفسية مستمدة من حياته
وبيئته ثم أظهرت وبنيت العوامل التى أثرت فى أدبه ولونت فنه .

وبذلك وفعت فى يد القارئ مفتاح شخصية المترجم له ومن ثم مفتاح أدبه .

xxxxxxxxxxxxxxxx

وبعد ، فليكن هذا الكتاب تأريخا ودراسة لشعراء أشروا وجداننا بنساجهم
وأدوا دورا كبيرا فى نهضة شعرنا المعاصر وتطوره ، فكان حقا علينا أن نذكرهم
بالوفاء والعرفان لما أدوه لحياتنا الأدبية من ذوب أرواحهم ووجدانهم .

" محمد رفوان "

مع شعراء الحب والجمال

" جماعة أبوللو "

أصدر الدكتور أحمد زكي أبو شادي مجلة أبوللو في سبتمبر عام ١٩٣٢م وكانت تضم نخبة كبيرة من الشعراء القدامى والناشئين منهم : أحمد شوقي و خليل مطران و ابراهيم ناجي وعلی محمود طه و حسن كامل الصيرفي و أحمد فتحي و كامل الشبلي و اوى و أحمد محرم و مصطفى الرفاعي و كامل الكيلاني ، وكانت أغراض جماعة " أبوللو " كما يلي :

- ١ - السمو بالشعر العربي و توجيه جهود الشعراء توجيهها شريفا .
- ٢ - مناصرة النهضات الفنية في عالم الشعر .
- ٣ - ترقية مستوى الشعراء أدبيا و اجتماعيا و ماديا و الدفاع عن كرامتهم .

و قد حيا شوقي مولد جماعة أبوللو بتمنيده مطلعها :

أبوللو مرحبا بك يا أبوللو فانك من عكاظ الشعر ظل
 عكاظ و أنت للبلغاء سوق على جنباتها رحلوا و حلوا
 و ينبوع من الانشاد صاف مدى المتأدبين به يبل

و نستطيع من خلال مراجعة الأسماء التي لمعت على صفحاتها أن نقول أنها لم تكن مدرسة بل كانت مجرد جماعة تضم بعض الشعراء المجددين و التقليديين من أجل رسالة شعرية سامية و ان كانت الأسماء التي لمعت على صفحاتها و أظهرتها المجلة يغلب عليها الطابع الرومانسي الحالم و قد استحدثوا ثورة جديدة في شعرنا العربي المعاصر .

و يقول أحد أعضائها من الذين لمعت أسماءهم على صفحاتها وهو الأستاذ صالح جودت عن هذه الجماعة (١) :

" استطاعت هذه الجمعية ، التي أسست رئاستها الى أمير الشعراء ، ثم

(١) صالح جودت / بلابل من الشرق / ط ١ / ص ٥٧ .

بعده الى شاعر الأقطار العربية خليل مطران ، أن تستحدث ثورة في عالم النقد ، وأن تنشئ مدرسة جديدة في الشعر العربي الحديث ، تسمو برسالة الشعر عمن أن يكون أداة للمدح أو للقدح أو للمناسبات ، وتجرده من التقليد ، وتنسأدى بوحدة القصيد ، وتحلق فوق الذرا العالوية " .

وإذا كانت جماعة " أبوللو " تغم بعض التيارات والاتجاهات المتباينة فاننا سوف نأخذ نماذج منها ممثلة في هؤلاء الشعراء الخمسة (ناجى وعلى محمود طـــــــ وصالح جودت والهمشرى وأحمد فتحي) الذين يكونون مدرسة واحدة قوامها الرومانسية الحاملة والتجديد في الشعر شكلا ومضمونا ومعبادة الجمال الى غير ذلك من أوجه الشبه التي تجعلهم في مدرسة واحدة تسمى " مدرسة الحب والجمال " .

XXXXXXXXXXXX

ولقد شهدت صفعات " أبوللو " انتاج هؤلاء الشعراء الخمسة الخصب فقد صدر عن المجلة الديوان الأول لناجى " وراء الغمام " عام ١٩٣٤م وديوان صالح جودت عام ١٩٣٤م وأصدر على محمود طه ديوانه الأول " الملاح التائه " عام ١٩٣٤م ، أى صدرت الدواوين الثلاثة في عام واحد ، أما الهمشرى فقد مات عام ١٩٣٨م ، دون أن يصدر له ديوان مطبوع وصدر ديوان أحمد فتحي الأول والأخير " قال الشاعر " عام ١٩٤٩م ، وقد شارح عدة معارك ومساجلات عنيفة حول الدواوين الثلاثة التي صدرت عام ١٩٣٤م بين جماعة " أبوللو " وخصومها .

" شعراء الرومانسية "

بعد الحرب العالمية الأولى (١٩١٤ - ١٩١٨) سادت مصر موجة من الرومانسية
الحالمة نتيجة لظروف المجتمع وقتئذ

كانت ظروف المجتمع السياسية والثقافية والاجتماعية سيئة في مصر في تلك
الحقبة وكان الشباب الطامح يرى هذه الأوضاع ، ويرى نفسه مجزأ عن تغييرها بسبب
قهر الاستعمار وجبروته ، فيشعر بالحزن والأسى والمرارة .

وسادت الرومانسية مصر في العشرينات والثلاثينات واتخذ الأدباء الرومانسيين
ملجأ وملاداً يهربون إليها من هجير الحياة ومرارة الواقع الذي كانوا يعيشون
في تلك الحقبة ويقاسون منه .

فالنظرية الرومانسية | Romanticisme ترى أن الشعر هو تعبير عن المشاعر
وتركز على العالم الداخلي للشاعر .

" ان عالم الشاعر الداخلي عالم واسع ، فهو يشمل الحالة الذهنية لديه ،
كما يشمل المشاعر والأفكار ، وطاقت الحس والادراك .

" وقوة الخيال الخالق هي البوتقة التي تنصهر فيها كل عناصر هذا العالم
من ذهنية وشعرية ، وهذه القوة هي التي تعدل من هذه المشاعر ، وتنظمها ، وتجمع
أشتاتها ، وتمنعها في النهاية في قالب متلاحم متجانس هو العمل الشعري ، والشعر ،
اذن تعبير عن العالم الداخلي أو لنقل العالم الخارجي كما ينعكس في نفس
الشاعر ، وذلك بعد أن تنظمه قوة الخيال الخالق عنده تنظيمها فنياً " (١) .

xxxxxxxxxxxx

ان من أبرز سمات الرومانسية كما تجلت في شعر الشعراء الخمسة التركيز على
الأسطورة والرمز في التعبير الشعري والذاتية والهروب من الحياة وعبادة الحسن

(١) الدكتور محمود الربيعي / في نقد الشعر ١٩٧٤م / ص : ٩٠ .

ونجد على محمود طه تتسامى روحه ويكتفى من الزهرة بعبيرها كليل يتغنى فسى
رياض الحسن والجمال :

قلت حسبي من الريح شذاه
ولعيني زهره اللماح
نحن طير الخيال والحسن روض
كلنا فيه بلبل صدادح

ونجد الفزل الحسى العنيف فى قصيدة " طمآن " لمالح جودت :

أجمل طمآن ياليتى وماء الحب فى نهرك
خذيلى فى ذراعيك وضميلى الى صدرك
دهيلى أشرب النور الذى ينساب من شعرك
وروى لهفة الطمآن بالقبلة من شعرك
هيس فى ليلة أشمل بالهلاى من خمورك

■ الاتجاه الانسانى :

كان من أبرز صفات شعرائنا التسامى الروحى والرحمة الانسانية ومطاء القلب .

يقول الشاعر ابراهيم ناجى :

سموت ودق احساسى
وجزت عوالم البشر
تسيت صفات الناس
فطرت اسماة القسدر

ويرى هؤلاء الشعراء أن التغنى بالحب والجمال من عوامل المطاء والحسب
والرحمة ، ويعبر على محمود طه عن هذه المعانى فى قصيدته " ميلاد شاعر " فيقول :

أبها الشاعر اتمد قيثارك
واجعل الحب والجمال شعارك
واعزف الآن منشدا أشعارك
وادع رباعى الوجود وبارك

وهذا الاتجاه الانسانى يتجلى بأظهر خصائصه فى الرحمة للنفوس الشقية الخاطئة
وهذا الاتجاه نجده عند الشعراء الرومانسيين وذلك بالتخفيف من تلك النفوس والمسح
ببهد الرحمة من أحزانتها وآلامها فى قصيدة صالح جودت " الهيكل المستباح " يعالج قضيتها
ويواسيها وقد جسد مأساتها قائلا :

وقفت بالبواب فى ثوب رقيق
تفتح الباب لقطاع الطريق
كم سروق نال منها جانباً
ومضى ما أعجب اللص الطليق

ثم يتعاطف مع تلك المأساة الانسانية ويتساءل بمرارة وألم :

يا الهى كيف أعددت لها
بعد دنياها عذابا هل تطيق
أشقى الدهر يشقى بعده
وهو الرحمة فى الأخرى خليق

وفى نفس الاتجاه نرى ناجى فى قصيدته " قلب راقصة " يعالج تلك المأساة
ويتعاطف معها ويواسيها :

لا تكتن فى الصدر أسراراً
وتحدثى كيف الأسى شفاء
أنا لأرى اثماً ولا مـأراً
ولكن أرى امرأة وبأساء

■ الاتجاه الوطنى :

كانت الطبيعة هى ملجأ الرومانسيين باعتبارها كائناً حياً .
وقد كثرت الصور الشعرية عند شعرائنا المستوحاة من الطبيعة . وقد أكثروا
من التشخيص **Personification** المظاهر الطبيعية .
يناجى الهمشرى " النارنجة الذابلية " فى تشخيص مبدع هرباً من أحزانه
وحينما لأيام تسلفت :

قد كنت أرجو أن تكون نهائيتى
فى ظل هذا السور حيث أراك

ويكون آخر ما يخذر مسمعى
زرزورك الهتاف فوق زواك
كانت لنا يباليتها دامت لنا
أودام يهتف فوقها الزرزور

وقد تجلى فى هذا الاتجاه التمثوير الشعرى Poetic imagery عند الشعراء
الخمسة فرسموا لوحات شعرية رائعة ..

فى قصيدة " صوت السنين " يرسم أحمد فتحى هذه اللوحة الجميلة :

أى سحر بعثت شمس الأصيل
فى فياء شاحب الخطو نحيل
ونسيم واهن الخطو عليل
راح يلتف بأعناق النخيل

ويناجى شاعر الأطلال ، ناجى البحر فى " خواطر الغروب " قائلاً :

قلت للبحر اذ ولدت مساء
كم أطلت الوقوف والأصفا
وجعلت النسيم زادا لروحى
وشربت الظلال والأصفا

ويغلب على هذا الاتجاه أنه شعر غنائى Lyric poetry يتسم بالرفقة والعدوية .

« الاتجاه القومي :

الشعراء

يجمع بين هؤلاء الخمسة حب الوطن والدفاع عن قضيته . ولكن جبههم فى أكثر
الأحيان يأخذ صورة الأشادة بمواطن الحسن والجمال فى ربوعه والتغنى بها والأشادة
بمجد مصر التليد وتاريخها المجيد ..

يقول على محمود طه فى قصيدته " مصر " :

هوى لك فيه كل ردى يحسب

فديتك ، هل وراى العوت حسب ؟
فديتك مصر ، كل فتى مشسوق
الديك ، وكل شيخ مسسب
ويحلم بالفدى طفل فطيسم
وكل رضية فى المعهد تحبسو
أراك أينما وليست وجهسى
أرى مهجا لوجهك تشرشسب
وأرواحا عليك محومسبات
لها فوق الففان خطى ووئسب
عليها من دم الغادين مسار
له بيديك تغليير وعصسب
حمتك مدروها يوم التئسبادى
ووقتك الليالى وهى حسرب

ولناجى قصيدة بعنوان " مصر " أيضا يقول فيها :

أجل ان ذا يوم لمن يفتدى مصرا
فمصر هى المحراب والجنة الكبرى
حلفنا نولى وجهنا شطر حبها
وننفذ فيه العبر والجهد والعمرا
نحطم أغلالا ونمحو حوائسلا
ونخلق فيها الفكر والعمل الحرا

ولأحمد. فتى عدة قصائد تصور حفارة مصر التليدة ، وأمجادها العريقة أظهرها
قصيدة " الكرنك " .

كما أن لمالح جودت قصائد كثيرة فى هذا المجال .

أما الهمشوى فقد قصر شعره على المناداة برسالة اجتماعية هامة وهى الدعوة
الى الحفارة الريطية .

وقد عبروا جميعا عن مشاعرهم الفياضة نحو وطنهم ، والأشادة به ، والدفاع عن
قضاياها ، والتغنى بجمالها وتاريخه وعظمتسه .

ثقافتهم

كانت ثقافة هؤلاء الشعراء الخمسة ثقافة عربية وغربية ، فقد قرأوا التراث العربي واستوعبوه وأفادوا منه وكانت الآثار التي تأثروا بها هي : دواوين المتنبي والبحتري والشريف الرضي من القدامى وأحمد شوقي من المحدثين .

واستقوا ثقافتهم الغربية من قراءتهم لشعر شعراء الرومانسية الانجليز الخمسة الكبار وهم : وليم بليك w.blake ووردزورث wardswarth وكوليريدج coleridge وكيثس Keets وكان هؤلاء الشعراء الانجليز يكونون وحدة منسجمة ، ويمثلون وجهة نظر موحدة في معنى الشعر ، وفي وظيفة الخيال ، كما يكونون وحدة في استعمال الصورة الشعرية ، والرمز الشعري ، والأسطورة ثم ظهرت آثار هذا التأثر في نتاج شعرائنا الرومانس بصورة جديدة بعد أن استوعبوا التراث الشعري العربي والشعر الغربي الرومانسي .

XXXXXXXXXXXX

وكانت الحقبة التي أمضاها الشعراء الأربعة بالمنصورة ١٩٢٧- ١٩٣١ (ناجي وجودت وعلى طه والهمشري) ذات آثار بعيدة في شعرهم ، فقد استوعبوا التراث العربي الكلاسيكي والشعر الانجليزي الرومانس وساعدهم على ذلك اجادتهم للانجليزية وقصد جمعهم أواصر الشعر الرومانس ووشائج الشباب وعبادة الجمال وروح الثورة على القديم وأصبح لهذه المدرسة لون جديد وفريد في شعرنا المعاصر وكانت كما يصفها صالح جودت " كانت هذه الصحبة مدرسة جديدة في الشعر تناربت خطوطها في ذلك العهد الى حد ان اختلط شعر الأربعة على الأدباء في كثير من الأحيان " (١) ولايختلف شاعر الكرنك ، أحمد فتحي عنهم في منابع ثقافته واتجاهاته الفنية .

لقد طرق شعراؤنا الخمسة موضوعات جديدة وابتكروا الكثير من التعبيرات والتراكيب الجديدة التي أضافت ثروة نفيسة في شعر الوجدان

وإذ أبدعوا بصفة خاصة في شعر الوصف الغنائي وقصائد الحب والغزل بشقيه

(١) بلايل من الشرق / ١٩٦٠ / ط ١ .

العذرى والحسى كما أنهم ندموا الكثير من الصور الشعرية الطريفة
فى شعرهم .

وقد اشترك هؤلاء جميعا فى صفة واحدة خاصة فى المراحل الأولى من
حياتهم وهى : الاغتراب الروحى .

ويرجع ذلك الى ظروف سياسية واجتماعية ونفسية فى مطالع هذا القرن
مما جعلهم يلودون بالرومانسية هربا من هجير الحياة ومرارة الواقع وقسوته
ولقد جددوا فى الشكل والمضمون وان غلبت على شعرهم صفة الذاتية Subjectivity

لقد اتمف شعر هذه المجموعة من الشعراء المبدعين بالأصالة Originality
والصدق الفنى لأن شعرهم كان تعبيرا أميناً وصادقا عن أحاسيسهم ومواقفهم
وليس شعر المنعة والتكلف ورس الكلمات الجوفاء .

" أغاريد الحبيب "

ان هؤلاء الشعراء الذين فنوا للحب أجمل الأغاريد وأعذبها على
قيثارهم الشجي الحالم ، الجديرون بدراسات موسعة شاملة .
لقد غنوا للمرأة واستوحوا من حسناتها واستلهموا من روحها أجمل الصور
وأرق التعبيرات الغزلية في شعرنا المعاصر .
ووقفوا أمام صور الحسن وبدائح الجمال يستلهمونها حتى جاءت
آثارهم غنية بالجمال ثرية بالرقية ، وسوف يظل نتاجهم أنشودة
خالدة على السنة العشاق ماعاش الحب وما بلت الحياة .

" في مدينة الأحلام "

عاش الدكتور ابراهيم ناجي للحب وبالحب ... تغنى به وله ... وكان قلبا محبا رقيقا ونفسا مرهفة حساسة .

كانت حياته قصيدة حب حالمة تنماوج فيها أنغام الهجر والوصال والحب والبغفى والرضا والألم .. وقد أفصح عن أسرار قلبه وسرائر روحه في قصائده الرقيقة الحالمة بصدق وحرارة وأمانة وهو يعد بحق " شاعر الحب " واللهفة العاطفية بعهد أن عكس في شعره معاناته وتجارب العنيفة مع المرأة التي أوتحت اليه بأجمل أناشيد الحب والجمال .

XXXXXXXXXXXX

ولد ابراهيم ناجي في ٣١ ديسمبر ١٨٩٨م في بقعة شاعرية جميلة سماها جماعة من الوجهاء " مدينة الأحلام " بحى شبرا ... وكانت يومئذ تجرى من تحتها نهيرات الترع البولاتية ، وتتفرع منها قنوات تنساب في شاعرية وجمال تحيط بها الخضرة اليانعة وكان يقطن في هذا الحى جماعة من محبي الأدب والفن . وكان والد شاعرنا ميسرا يعشق الفن والأدب ويقراً مختلف فنون الأدب قديمة وحديثة وكثيرا ما شهدت الدار ندوات أدبية عامرة .

وهكذا شب شاعرنا بين جمال الطبيعة الحالمة وبين وسط ثقافى رفيع أفاد منه أفضل افادة وأعمقها ..

وكان والده يحرص على أن يجمع أولاده كل ليلة عندما شبرا عن الطوق ويلخص لهم ماقرأ من أمهات الكتب في التراث العربى وروائع الأدب العالمى . وكان ابراهيم يسمع بلهفة وحب الى هذه الأحاديث الخصة ثم مالبث أن امتدت يده الى مكتبة أبيه وبدأ يقرأ منها روائح القصص والشعر ، واستهواه أدب تشارلز ديكنز القصصى وشدته بصفة خاصة قصة " دافيد كوبرفيلد " ثم سعى الى قراءة دواوين الشعر فبدأ يقرأ الشعر القديم واستوقفه شعر الشريف الرضى والبحترى ثم وقف طويلا عند أمير الشعراء ، أحمد شوقى الذى حفظ شوقياته من ظهر قلب وبهرته مسرحياته الشعرية الخالصة

مجنون ليلي " و " مصرع كيلوباترا " و " عنثرة " الخ .

XXXXXXXXXXXX

التحق شاعرنا بمدرسة باب الشعرية الابتدائية عام ١٩٠٤ وظهر فيها تفوقه على أقرانه ثم مالمسبث أن حصل على الشهادة الابتدائية عام ١٩١١م ، فالتحق بمدرسة التوفيقية الثانوية بشبرا وفي المرحلة الثانوية زادت قراءته للشعر العربي قديمه وحديثه وكان مفتونا بشعر شاعرين : الشريف الرضي وأحمد شوقي وبدأ يكتب محاولاته الشعرية الأولى . ورغم كونها كانت تتحدث عن موضوعات تقليدية في الحب والغزل مثل الفراق والحنين والوجد والسهر ومكابدة الشوق إلا أنها كانت تعد ارهاصات لمولد شاعر كبير

ومن شعر الصبا في هذه الحقبة وهو لم يتجاوز الخامسة عشرة قصيدة بعنوان " كلانا " يقول فيها :

كلانا حزين فلا تجزعني	ودمك تسبقه أدمعي
وان كان بين ضلوعك نار	فنار الصباة في أضلعي
وان كان هناك غاب	فنجم هنائي لم يظلمح

وله قصيدة رقيقة نظمها في سن الرابعة عشرة بعنوان " على البحر " تفصح عن جولات له وصولات في هذه السن المبكرة ، وتبين أنه شب مولعا بعبادة الحسن وبدائش الجمال ، كما كانت تبشر بشاعر الحب والعاطفة . يقول فيها :

هل أنت سامعة أنينني	ياهاية القلب الحزين
ياقابلة الحب الخفي	وكعبة الأمل الدفين
اني ذكرك باكيها	والأفق مغبر الجبين
والشمس تبدو وهي تغرب	شبه دامة العيون
أمسيت أرقبها على صخر	ومسج البحر دوني
والبحر مجنون العباب	يهيج شاعره جنونسي
ورضاك أنت وقايتسي .	فإذا غضبت ، فمن يلينسي ؟

لقد تبلورت اتجاهات ناجى فى هذه الحقبة فى المرحلة الثانوية وهو فى الرابعة عشر من عمره وكانت له محاولات كثيرة تسبق عمره ، وأنجز شامرنا دراسة الثانوية بعد حصوله على شهادة ، "البكالوريا" والتحق بمدرسة الطب عام ١٩١٦م وتخرج فيها عام ١٩٢٣م وعمره أربع وعشرون سنة ولم يستمر طويلا فى العمل طبيا بقرى مصر ونجومها فافتتح عيادة خاصة بميدان العتبة الخضراء ليبدأ حياته العملية وليخوض خضم الحياة .

وهكذا أصبح شامرنا طبيبا

—————

" بين الأدب والطب "

ولقد تماثل بعض الأدباء في ذلك العنين ما هي العلاقة بين الطب والشعر وكيف جمع

ناجى بينهما ؟

فكتب ناجى برد على تلك التساؤلات في قصيدة رقيقة يقول فيها : (١)

والناس تمال والهواجس حمة	شعر وطب ، كيف يتفلسفان ؟
الشعر مرحة القلوب ، وسره	هبة السماء ومنحه الديهان
والطب مرحة الجسوم ونهمه	من ذلك الخيف العلى الشان
ومن الخمام ومن معين ظلمه	بيجان الهاما ويستقيان

وكان ناجى في تلك الحقبة قد بدأ يدخل غمار الحياة ويمطد بالواقع ويخبر الحياة بخيرها وشرها وهو الإنسان المرهف الحس الرقيق الوجدان فنجدته يمطد بالكثير من مفاجآت الواقع ومرارته ، فيتمرق ويحاول الموازنة بين طبيعته المرهفة الحساسة ومرارة الواقع وقسوته .

وقد صور معاناته والصراع الحاد الدائر في نفسه بين المادة والروح والخيال والواقع ، فسال :

" ما أظلم القدر ... فقد شاء أن أكون طبيبا ... وليس بالطب من حرج ،
وانما الحرج أن يكون الخيال مركبا في طبيعة انسان ، فاذا بالقدر يواجه بالواقع ،
ويمدمسه .

" وانما الحرج أن يكون الشعر مركبا في طبيعة انسان ، فاذا بالقدر يلمسه
فوق أسنة المادة ، ويرجسه في الدائرة التي لا شعر فيها ولا خيال .

" وانما الحرج أن تكون طبيعته أن ينصت الى أنات الروح ، فيأخذ القدر الى
حيث ينصت الى أنات الجسد ، وثتان بين هذه وتلك .

" وانما الحرج أن تجذب طبيعته لناحية ومهنته لأخرى ، حتى يتمرق بين شدد

هذى وجذب تلك .

" وانما الحرج أن يلائم بين الضدين ، ويفوق بين النقيضين ، وأخيرا يلتفت فإذا نفسه أشلاء ، وإذا الذبالة تحترق والزيت ينضب ، وإذا معين القوة قد أشرف على الزوال ، وإذا الجبار قد مزق أوصاله ذلك النضال العنيف بين الغرائز والقدرة ، بين الميول والصروف ، بين الخيال والمادة ، بين الوهم والواقع ، بين السروح والجسد " .

تلك كانت مأساة ناجى ..

كان هناك صراع حاد يدور في نفسه يحاول أن يجد ما يرضى روحه الغالقة ونفسه المعذبة ويبحث من الاستقرار من غربته الروحية الموحشة ولكنه كان يعاني التمزق والضيق ، فلقد كان جائعا على كثرة الزاد ، وظامئا على وفرة الموارد ومسافرا وهو مقيم ، كالغراشة التي تسعى للنور وفيه مصرعها :

حائرا معذبا	أنى امرؤ مشيت زماني
مبتعدا مغتربا	مسافرا لا قوم لى
موارد لىن أشربا	وظامئا مهمما تتحج
دنياى يشفى السعيا	وجائعا لازاد فى
على الجمال والصبا	فراشة حائفة
أغنية على الربى	تعرضت فاحترقت
رمادها ريح الصبا	تناثرت وبعثرت
فى الرياح متعبا	أمشى بمصباحى وحيدا
كاد به أن ينضبا	أمشى به وزيتنه

كان ناجى يمسح الآلام النفسية عن النفوس الشقية المعذبة .

لقد أعطت مهنة الطب لناجى ضوءا جديدا وتجربة خصبة فرضت عليه تحديدات وأثقلت جناحيه بمتاعب وأزمات .

كشفت له عن النفس الانسانية وأبانت له حقائق باهرة قوامها أن مرضى الأجساد

هم مرضى فى النفوس أساسا ، وأن اهتمام الطبيب هى نصف العلاج .

وقد أفصح ناجي عن نظرتة الواسعة العميقة لمهنته في اعترافاته الشعرية
والنثرية .

XXXXXXXXXXXX

وقد آثرت مهنة الطب في ابداعه الشعري وفي رسم الصور الشعرية المبدعة التي
جاءت في قصائده .

في قصيدة مثل " العودة " تتجلى هذه الخصيمة في الألفاظ وفي الخيال مثل :

- ١ - رفرف القلب بجنبى كالذبيح .
- ٢ - فيجيب الدمع والماضى الجريح .
- ٣ - وفرغنا من حنين وألم .
- ٤ - ورضينا بسكون وسلام .
- ٥ - وانتهينا لفراغ كالعهد .
- ٦ - وسرت أنفاسه في جسوه .
- ٧ - والبلى أبعثته رأى العيان .
- ٨ - كل شيء فيه حى لا يموت .

الى غير ذلك من مزج للأفكار بالعاطفة الصادقة ، واخراج الصورة الشعرية
الموثرة .

" عند صخرة الملتقى "

عمل ناجى فترة بعيادته بالقاهرة ثم مالبت أن عين بالقسم الطبى بمصلحة السكك الحديدية ، ونقل الى سوهاج ، ثم الى المنيا ، وأخيرا انتقل الى المنصورة وهنسا بدأت مرحلة جديدة فى حياة ناجى وشعره .

نقل ناجى الى مدينة المنصورة حوالى عام ١٩٢٢م .

والمنصورة أرض الحب والفن والشعر والخيال ، توحى بالفن والشعر والجمال وتزخر بالوان الفتنة فى كل بقعة من بقاعها .

وقد التقى ناجى على شاطئ المنصورة بثلاثة شعراء آخرين هم : شاعر الجندول على

محمود طه ، وشاعر ليالى الهرم صالح جودت وشاعر الأعراف ، محمد عبد المعطى الهمشرى .

ثم كانت صحبة فى الأدب أشركت نتاجا شريفا خصبا . . .

وكان يحلوا لشعراء المنصورة الأربعة الالتقاء فى جلسة هادئة على صخرة تلتصق بين شاطئ البحر والصحراء بأطراف المنصورة سموها " صخرة الملتقى " واستوحى كل منهم ما استوحى واتخذها ناجى مكانا للقاء محبوبته ، إذ كانت له هناك جولات وجولات ، ثم كان الفراق ، فراح يشدب عهد الحب عند هذه الصخرة قائلا :

سألتك يا صخرة الملتقى	متى يجمع الوهر صافرقا ؟
فيا صخرة جمعت مهجتيين	أفأءا الى حسنها الملتقى
إذا الدهر لج بأقصاده	أجد على ظهرها الموثقا
قرأنا عليك كتاب الحياة	وفض الهوى سرها المفلقا
نرى الشمس ذائبة فى العباب	وننتظر البدر فى المرتقى

وتستمر الصحبة وتثمر أجمل شمارها فى دنيا الشعر

ثم مالبت شعراء المنصورة الأربعة أن اتجهوا للقاهرة فى عام واحد هو عام ١٩٣١م : ناجى الى وظيفته بالقسم الطبى بمصلحة السكك الحديدية وعلى محمود طه لوظيفته كمهندس بوزارة الاشغال والهمشرى الى كلية الآداب وصالح جودت الى كلية

• التجارة

ودعوا المنصورة بقلب مشبوب وحرص ناجى على زيارة مهد الحب والجمال ، فقال فيها :

بأى معجزة فى الحب نتفلسق	ياقلب لايتلاقى الفجر والغسق
ياقلب ، اننا لقينا اليوم معجزة	تكاد فى ظلمات الليل تأتلسق
ظلمت أسأل نفسى كيف تعشقها	بقية من بقايا العمر تحترق ؟
وأمنيتها وفلول النور دامية	تطفو وترسب أو تعلو فتعتلسق
لم أدر حين تبدت لى اذا شفى	أبصرته ، أم على المنصورة الشقى

xxxxxxxxxxxxxxxx

كانت فترة المنصورة (١٩٢٧ - ١٩٣١) من أخصب الفترات فى حياة شعراء المنصورة
وفى شاعريتهم ونتاجهم ، وقد السهمتهم أجمل ماكتبوا من شعرهم الرومانسى وقد انعكس
هذا التأشير فى دواوينهم الأولى والتي أحدثت ضجة كبيرة عند صدورها لما فيها
من روح التجديد والابداع والشورة على القديس .

" العبودة "

عاد ناجى من المنصورة الى القاهرة ومر بدار " ليلاه " التى كانت له معها
قصة حب عنيفة فرآها قد تغيرت وأصبحت تعول فيها الريح ، وتكسوها خيوط العنكبوت ؛

هذه الكعبة كنا طائفبها والمصلين صباحا ومساء
كم سجدنا ومبدنا الحسن فيها كيف بالله رجعنا غرباء؟

XXXXXXXXXXXX

دار أحلامى وحبى لقيتينا فى جمود مثلما تلقى الجديد
أنكرتنا وهى كانت ان رأتنا يضحك النور الينا من بعيد

XXXXXXXXXXXX

ورفرف القلب بجنبى كالذبيح وأنا أهتف يباظب أتشد
فيجيب الدمع والماضى الجريح لم عدنا؟ ليت أنا لم نعد

XXXXXXXXXXXX

لم عدنا؟ أولم نطو الغرام وفرغنا من حنين وألــــم
ورضينا بسكون وســــلام وأنتهينا لفراغ كالعــــدم

XXXXXXXXXXXX

أيها الوكر اذا طار الأليف لايرى الآخر معنى للهنساء
ويرى الأيام صفرا كالخريف ناشحات كرياح الصحــــرا؟

XXXXXXXXXXXX

آه مما صنع الدهر بنا أو هذا الظلل العابث أنت ؟
والخيال المطرق الرأس أنا شد مابتنا على الفك وبنتا ؟

XXXXXXXXXXXX

أبين شاديك وأبين السمير أبين أهلك بساطا وندامسى
كلما أرسلت عينى تنظــــر وشب الدمع الى عينى وغامسا

XXXXXXXXXXXX

-٢٥-

موطن الحسن ثوى فيه السأم وسرت أنفاسه فى جـوه
وأناخ الليل فيه وجشم وجرت أشباحه فى بهـوه

XXXXXXXXXX

والبللى أبهرته رأى العيان ويدهاه تنسجان العنكبوت
صحت - يباويحك تبدو فى مكان كل شيء فيه حى لايموت

XXXXXXXXXX

كل شيء من سرور وجـزن والليالى من بهيج وشجسى
وأنا أسمع أقدام الزمن وخطى الوحدة فوق السـدرج

XXXXXXXXXX

ركنى الحانى ومفناى الشفيق وظلال الخلد للعانى الطليح
علم الله لقد طال الطريق وأنا جثتك كيما أستريح

XXXXXXXXXX

وعلى بابك ألقى جعبتى كغريب أب من وادى المحـن
فيك كف الله عنى غريبتى ورسا رحلى على أرض الوطن

XXXXXXXXXX

وطنى أنت ولكنى طريـد أبدى النفى فى عالم بؤسسى
فإذا عدت فاللنجوى أمسود ثم أمضى بعدما أفرغ كأسى

XXXXXXXXXX

إن ناجى هنا يرئى لحنا حزينا مستغرقاً فى التأمل فى أعماق ذاته الخاصة وهذا

يرجع الى رومانسيته المرهفة .

وكانت قصيدة "العودة" تعبيراً عن تجربة شعورية خاصة لشاعر عاد الى ديار

أحبابه ووقف على أطلالها يتأملها ويناجيها

ان الأفكار فى القصيدة واضحة مرتبة فيها عمق وتحليل وابتكار ، فلقد عبر عن
ماضيه الجميل وحاضره الموحش بتفصيل واستقصاء وأجرى حواراً داخلها أحيا المعانى

وجسمها في مشهد درامسي راسخ .

وقد برع شاعرنا في صوره الشعرية poetic Picture فأجاد في التصوير الكلي الذي نقل لنا لوحات فنية متكاملة ، الأجزاء حافلة بالظلال والألوان كما برع في التصويرالجزئي المعتمد على التشخيص Personification والتجسيم وبث الحياة والحركة في المعنويات والجمادات ، فالدمع يجيب :

• فيجيب الدمع والماضي الجريح .

والبلى ينسج : والبلى أبهرته رأى العيان ويداه تنسجان العنكبوت

والسأم يقيم : مواطن الحسن شوى فيه السأم

والليل ينيخ ويجثم : وأناخ الليل فيه وجثم

والزمن له أقدام تتحرك :

وأنا أسمع أقدام الزمن وظنا الوحدة فوق السدج

وقد أثبت الشاعر مقدرته الفنية الأصيلة في انتقاء الألفاظ وتنسيق العبارات بحيث تتعاون في رسم الجو النفسي المسيطر عليه ، وقد كان لسيطرة مشاعر الحزن والأسى على شاعرنا انعكاس في هذه القصيدة فجاءت الفاظه وعباراته نابغة من هذه العاطفة مثل " شوى فيه السأم " ، أناخ الليل ، وجثم ، جرت أشبائه ، البلى ، العنكبوت ، خطا الوحدة .

لقد عاد الشاعر الى دار أحبابه بعد هجر طويل مدفوعا الى العودة بحثين غلاب ، وشوق فياض ، فلم يجد حبيبته ، وألقى نفسه فريبا والدار موحشة فاستعاد ذكريات الماضي الجميل وعبر عن آلامه النفسية في هذه القصيدة التي جاءت وليدة تجربة شعرية ذاتية عاشها الشاعر وعانها بوجدانه .

" من وراء الغمام "

قامت جماعة " أبوللو " للشعر عام ١٩٣٢م برئاسة أمير الشعراء أحمد شوقسى ،
وأمينها العام أحمد زكى أبو شادى وماليت الدكتور ناجى أن انضم اليها وأصبح من
أبرز أعضائها ...

وظهرت على صفحاتها أرقى أشعاره العاطفية وأعذبها مما لفت اليه الأنظار كشاعر
مجدد أضاف لقاموس الشعر الوجدانى شروة عن المشاعر والأحاسيس الفيضة فى
شعر الحب واللفهة والحنين .

وتنشر له " أبوللو " قصيدة " اللقاء " يقول فيها : (١)

أهـاب بنا فلبيننا	مناد ضم روحيننا
كأنا إذ تصالحنا	تعانقنا بكفيننا
كأن الحب تيار	سرى ما بين جسميننا
يوحج فى نواظرننا	ويشعل فى دماغيننا

وفى نفس العدد كانت له قصيدة " أفنية فى هيكل الحب " يقول فيها :

كم تجرعنا هواننا	ولقينا فى هواننا
وبلونا نار حسب	لم نذق فيها أماننا

ونجد له فى نفس العدد أيضا قصيدة " رجوع الغريب " يقول فيها :

عادت لطاثرها الذى غناها	وشدا فهاج حنينها وشجاها
أى الحظوظ أعادها فيها	ونجى وحدتها وألف صباها

وفى عدد نوفمبر نجد له عدة قصائد وجدانية رفيعة منها قصيدته " ساعة التذكار "
و " الى الغمر " و " هتاب " و " أصوات الوحيدة " .

(١) أبوللو / سبتمبر ١٩٣٣م / ص ٧ .

يقول في قصيدة " متساب " (١) :

أحلمنا كان عطفك أم يقيننا ؟	هجرت فلم نجد ظلا يقيننا
أرى أيامه لا ينتهيننا	أهجرا في الصبابة بعد هجر
على الرمق الذي أبقيت فينا	لقد أسرفت فيه وجرت حتى
فمذ أبصرنا من نهوى نسبيننا	كان قلوبنا خلقت لأمر
وبتن بمن نحب موكليننا	شغلن من الحياة ونحن عنها
فأنا قد ملأناها حنيننا	فان ملئت مروق من دمنا

وفي عدد ديسمبر ١٩٣٣م نجد له قصيدة " الفراشة " .

وفي عدد يناير ١٩٣٤م نجد له قصيدة " الى س " وقصيدة " الشباب الثاني " .

في قصيدته " الى س " يستلهم من الفنانة " ز " معاني جميلة وكانت هذه الفنانة ممثلة مسرح شهيرة أحبها أكثر من شاعر وتمتاز بشعرها الذهبى وعينيها الزرقاويين كزرقانة البحر . يقول فيهما : (٢)

نحن ارواح حيارى افتقرت	ثم عادت فتلاقت في شامنا
سوف ينسى القلب الا سامة	من رضا في وكرها الحانى قضاهنا
هتف القلب وقد حدثتني	أى ماضى كشفت لي شفتاهنا
همست في خاطرى فاستيقظت	روحى الحيرى وأصفت لنداهنا
فأنا ان لم أكن توأمها	فكأنى كنت في الغيب أخاهنا
نحن ارواح حيارى تملكت	وانتشت سكرى على لحن أساهنا
قربى روحك منى قريبنى	ظليلينى واغمرينى برضاهنا
وتعالى حدثينى .. حدثنى	أنت مرآة شجونى وصداهنا
فهبينى ساعة الصفو التنى	تقسم الأيام ما فيها سواهنا
ثم أمضى لحياة مسرة	صبحها عندى سواء مساهنا

XXXXXXXXXXXX

(١) أبوللو / نوفمبر ١٩٣٣م / ص : ٢١٤ .

(٢) أبوللو / يناير ١٩٣٤م / ص : ٢٩٦ .

واستمر ناجى ينشر أشعاره الوجدانية فى مجلة أبوللو وشد الانتباه بتعبيراته
المبتكرة فى قاموس الوجدان والعاطفة ، ثم مالبت أن جمع شعره ومدد فى ديوان بعنوان
" وراء الغمام " عام ١٩٣٤م فأشار فحة كبيسرة

ووصف الدكتور أحمد زكى أبو شادى ناجى بأنه شاعر اللفظة والشاعر العاطفى
المبدع وكتب أحمد الصاوى محمد دراسة للديوان تناول فيها شاعرية ناجى ورقة شعره
وعذوبة روحه وقال عن ديوانه انه قصيدة حب وأن ناجى ليس شاعرا مستهاما فقط
ولكنه مصور ومفكر وأن ظهور هذا الديوان الصغير فى تاريخ الأدب يوم مشهود وحركة
وثابة جديدة لأنه الشعر الخالص للشعر والحب الخالص والرحمة الخالصة للإنسانية .
وقد هاجم الدكتور طه حسين عنوان الديوان وتساءل : ما المقصود بمعنى
" وراء الغمام " فى مقال له بصحيفة السياسة الأسبوعية .

ويفسر الأستاذ صالح جودت رفيق ناجى وصديق شبابه وعمره عنوان " وراء الغمام "
فيذكر أن المقصود بالغمام حين يتطلع الشاعر الى الأرض فيراه يحجب الناس ،
فتلك راقصة تلهو وتمرح وكأنها أسعد أهل الأرض فاذا انفض عنها الغمام ، تجلست
وراءه مأساة عنيفة ، يعورها لنا ناجى فى قصيدته " قلب راقصة " التى يقول فيها :
لاتكتمى فى الصدر أسراراً وتحذى كيف الأسى شفاء
أنا لأرى رجسا ولا عارا لكن أرى امرأة وبأساء
" الغمام الذى يبعد ناجى بعينه الى السماء ، فيراه يحجب حقائق السماء ،
فيسمو اليها بخياله قائلًا فى قصيدته " صلاة الحب " :

سموت ودق احساس وجزت هوالم البشـر
نسيت اساءة الناس هفرت خطيئة البشـر

XXXXXXXXXXXX

وقد ظهرت ملامح شخصية شاعرنا فى شعره فى هذا الديوان فهو شاعر وأديب
مثقف لم يمتعه اشتغاله بالطب عن تنمية مواهبه بالاطلاع على الأدب العربى
والأدب الأوربى ، وهو انسان مرهف الحس ، صادق الوجدان ، عفيف فى نزهه ، عميق
التأمل ، مرتب الفكر ، بارع الخيال .

" وداعا أيها الشعر "

وحوالى عام ١٩٣٥م سافر الدكتور ابراهيم ناجى الى لندن فى مهمة علمية ، وذات يوم وهو هناك بديار الغربه وصلته مجموعة من الصحف والمجلات المصرية وعلى صفحاتها معركة عنيفة حول قيمة شعره يقودها بعض كبار الأدباء مثل العقاد وطه حسين لاختلافهما مع أبو شادى وبالتالى مع جماعة أبولو لظروف سياسية وحزبية .

ويشعر ناجى بالحزن والمرارة ويردد بأسى :

هى محنة وزمان ضيق وتمخضت عن لاصديق

وبينما هو يسير فى شوارع لندن شاردا حزينا تدهمه سيارة فتمصيب ساقه ويرتد على المستشفى عدة شهور ولكن أجريت له عملية جراحية فشفيت ساقه وان ظل بهانسى مراقوة نفسية هائلة . وركب الباخرة ليعود الى مصر ... وعندما اقتربت به من شواطئ مصر هتف يقول :

هتفت وقد بدت مصر لعينى
خرجت من البلاد أجر سقمى
أتدفعنى وقد هافت جناحى
رفأنى ، تلك مصر يارفاقى
وعدت الى البلاد أجر ساقى
وتجذبنى وقد شدت وشاقى

XXXXXXXXXXXX

وماد ناجى الى مصر بنفسية حزينة يائسة وزاد ألمه أنه وجد بعض الأدباء يحاولون الفس من قيمة شعره أيضا فأصيب بكتابة نفسية حادة وندم على ماضيه من وقتت وجهد فى نظم شعر كان يظن أنه سيجعله فى الذروة من قمة الشعر فأعلن أنه سيودع الشعر والفن والفكر وكتب يقول :

" وداعا أيها الشعر
" وداعا أيها الفن
" وداعا أيها الفكر

ثم احتجب لفترة من نظم الشعر .

وكتب الدكتور طه حسين مقالاً في صحيفة الوادى يدعو فيها ناجى للعودة الى رياض الشعر بأسلوب ذكى طريف ، فقال :

" اننى لم أحزن حين رأيت الدكتور ناجى يعلن زهده فى الشعر لأنى قدرت أن الدكتور ناجى ان كان شاعراً حقاً ، فسيعود الى الشعر ان راضياً وان كارها ، سواء أحمست عليه فى النقد أو رفقت به ، وان لم يكن شاعراً فليس على الشعر يأس فى أن ينصرف عنه ويزهده فيه " .

وكانت لهذه الدعوة الذكية من الدكتور طه حسين أشراها السريع لسرعان ما استجاب الدكتور ناجى لها وماد لروضة الشعر يعاود الغناء والتغريد فوق أفنان الجمال ليقدّم لقراءه أجمل أناشيده فى الحب والجمال وماد يفنى لمهمته بعد صمت طويل فقال لها : (١)

أيها الماضى الذى أودعته	حفرة قد خيم الموت بها
أيها الشعر الذى كفنته	مقسماً لا قلت شعراً بعدها
أيها الشعر الذى مزقتنه	صارخاً: عهدك يا قلب انتهى
قسماً مامات منكم أحسد	انها رثدة يأس .. انها
آه لو قام رسول ضارع	أو شفيع منكم يمضى لها
آن من يخبرها عن طائر	نسى الأوكار الا وكروها

" ليالى شاعر الأطلال "

فى نهاية عام ١٩٣٩م شبت أوار الحرب العالمية الثانية ، وألفت الحرب بظلالها القاتمة على مصر وتأثر ناجى بالظلام الذى غمر " ليالى القاهرة " ، وهو عاشق الليل والنور والنغم .

وأوحت هذه الليالى المظلمة لناجى بمعان وجدانية رقيقة ، فهو لم يرى فى هذه الليالى المظلمة الا معانى الوصال والمناجاة مع محبوبته

ودخل فى حياته حب فى تلك الحقبة واستلهم من هذا الغرام قصائده " فى الظلام " و " أنوار " و " الميعاد الضائع " و " اثنان فى سيارة " و " لقاء فى الليل " فالشاعر العاطفى ناجى لا يستلهم من جو الحرب والأظلام معانى الضرب والقصف بل لا يجد منه الا جو اللقاء العاطفى ولا يجد فيه الا العاطفة .

يقول فى قصيدة من أجمل قصائد شعره التصويرى العاطفى بعنوان "لقاء فى الليل " يصف فيها لقاء مع محبوبته فى ظلمات القاهرة أيام الغارات تحت الغرغرة والظلمة والقصف والخوف ، يقول :

قالت تعال ، فقلت لبيك هيهات أعصى أمر مينيك
أنا يا حبيبة طائر الأبيك لم لا أغنى فى ذراعيك

XXXXXXXXXXXX

أفديك مقبلة على جـزع بسطت الى يمين مرتجـف
وبها ارتعاشة طائر جـزع من قلبها تسرى الى كتفى

XXXXXXXXXXXX

فى تلك الحقبة المظلمة الظالمة بدأت قصة حب عنيفة مع ممثلة جهيرة هى " ز " ملأت فراغ روحه وقلبه ونفسه بعد اخفاق قصة حب مع ملهمة " ليالى القاهرة "

وقد أحب هذه المعثلة أكثر من أديب وشاعر وصحفي (١).

وقد امتد هذا الغرام بين مدِ جزر : بين الرضا والغضب والهجر والوصال
والحب والحنين لفترة خصبة وكانت بينهما مراسلات عاطفية تعد من أجمل رسائل
الحب والجمال .

وقد شهدت ليالى القاهرة قصة هذا الحب العاصف أثناء اشتعال الحرب العالمية
الثانية حوالى عام ١٩٤١م ، وقد انتهت قصة حبها معها بالفرقة ، واعتكف
شاعرنا بعدها يسترجع ذكريات هذا الغرام العاصف يتبتل وخشوع

واستوحى من هذه التجربة الخصبة ملحمة العمى " الأطلال " ومن الطريف
أنه كتب مطالعها الأولى على " روشة " وأرسلها الى تلك الملهممة .

قال فى مقدمة الأطلال: " هذه قصة حب عاشر ... التثيا وتحابا ، ثم انتهت
القصة بأنها هى صارت أطلال جسد ، وصار هو أطلال روح ، وهذه الملحمة
تسجل وقائعها كما حدثت " .

يصور الشاعر العاشق الحب كيف سما بهما الحب الى ذرى عالية وجعلها كروحين
هائمين فى سماء الخيال :

لست أنساك وقد أغريتنى	بالدرا الشم فأدمنت الطمروح
أنت روح فى سماي ، وأنا	لك أعلو فكانى محسنى روح
يالها من قعم كنا بها	نتلاقى وبسرينا تبسروح
نستشف الغيب من أبراجها	ونرى الناس ظللا فى السفروح

ويصف أحاسيسه ومشاعره وأساه وهو يقف على أطلال هذا الغرام الراحـل
وكيف أصبحت أمامه الدنيا منادح وأهوال ، فيقول :
قد رأيت الكون فبراحنيها خيم اليأس عليه والسكوت

(١) راجع مقال محمد محمود رضوان بعنوان " مأساة عاشق الجمال " الهلال

ورأت عيني أكاذيب الهوى
كنت ترشني لى وتدرى ألمى
عند أقدامك دنيا تنتهسى
واهيات كخيوط العنكبوت
لورشى للدمع تمثال صموت
وعلى بابك آمال تمصوت

ثم يصور كيف أضناه الوجد والحنين ، وكيف أصبح كالطائر الحزين
يشكو جراح قلبه وآلام نفسه :

ذهب العمر هباءً فإذهبى
صفحة قد ذهب الدهر بها
أنظرى صنحكى ورقصى فرحنا
ويراضى الناس روحا طائرا
لم يكن ومدك الا شحنا
أثبت الحب عليها ومحنا
وأنا أحمل قلبا ذهبنا
والجوى يطحننى طحن الرحى

وتصبح حياته بعد الهجر بيابا وقلرا موحشا صامتا لاتجد فيه أنيسا
أو سلوى بل أطل معبد الحب الذى طالما فرد فيه للحب والوصال :

كنت تمثال خيالى فهوى
ويحها لم تدر ماذا حطمت
يا حياة الياض المتفرد
ياقنارا لافحات مابها
المقادير أرادت لايبدى
حطمت تاجى وهدت معبدى
يايبابا مابه من أحسد
من نجى ياسكون الأبسد

ثم يختتم الملحمة بهذه الصورة الحزينة القاتمة الشائرة ، فيقول :

وإذا مازهرات ذفـرت
فترفق واتكد واعزف لها
ربما نامت على مهد الأسى
أيها الشاعر كم من زهرة
ورأيت الرعب يغشى قلبها
من رقيق اللحن وامسح رعبها
وبكت مسترخات ربهـا
هوقبت لم تدر يوما دنبها

XXXXXXXXXXXXXXXXXXXX

وقد أبدع ناجى فى رسم لوحات تصويرية جميلة فى هذه الملحمة رسمتها
ريشة فنان مبدع .

ومن تلك الصور المحلقة فطلع الملحمة :

كان صرحا من خيال فهوى	بافواذى رحم الله الهوى
وارو عنى طالما الدمع روى	اسقنى واشرب على أطلاله
وحديثا من أحاديث الجوى	كيف ذاك الحب أمسى خبرا
هم تواروا أبدا وهو انطوى	وبساطا من ندامى حلم

ثم يصور كيف يتقلب على وهج الحنين والوجد والوفاء رغم طعنات
للهجر والعثوق من المحبوب فيقول :

نضب الزيت ومصباحى انطفأ	بارياحا ليس يهدأ ممها
وأفى العمر لناس ماوفى	وأنا أقتات من وهم مفا
لا الهوى مال ولا الجفن غفا	كم تقلبت على خنجره
كلما غار به الشغل مفا	وإذا القلب على ففرانه

لقد اتسمت ملحمة الأطلال بالخيال المجنح واللهفة العاطفية ، والمدق
الغنى ، فهي تعد من أجمل وأرق ألوان الشعر العاطفى التصويرى المعاصر شكلا
ومضمونا .

" زازا وعاصفة الروح "

كان ناجى يعانى من محنة عنيفة قاسية فى سنواته الخمس الأخيرة من عمره ، كان يعانى من ظروف نفسية وصحية ومادية وعائلية فاتجه الى الشراب وأسرف فيه عليه ينسى وأصبحت حياته ليلا طويلا موحشا لاتجد فيه لمحة ضوء أو مصباح أمل

ثم جاءت لمحة الضوء فى حياته فى تلك الحقبة الكثيرة من حياته جاء هذا الحب فى وقت كان ناجى يعانى كآبة فى نفسه وكانت القاهرة يخيم عليها الظلام والتمسست أثناء الحرب العالمية الثانية .

وكان هذا الحب بمثابة لمحة الضوء التى سقطت فى دجاجى الظلمات فى حياة شاعرنا ابتداء اللقاء بينها على الورق من جانبها ، من قارئة مثقفة واسعة الاطلاع لشاعر جهير ابتدع صورا مبدعة فى قاموس الحب والعاطفة ، فبعثت لــــه برسالة اعجاب ومالبتت أن رد عليها ثم توالى الرسائل بينهما لمدة عام كامل ، وكان أول لقاء بينهما أثناء الصيف فى الاسكندرية وبدأت لقاءات أدبية وفنية وعاطفية بينهما يتناقشان فى شتى فروع الأدب والثقافة والفن والحب

ثم قررت " زازا " الاشتغال بالفن واعترضت أسرتها الصعيدية المحافظة - ولكن ناجى - وكانت تربطه بأسرتها علاقة ودية - أفلح فى اقناع أسرتها بالسماح لها بالاشتغال بالفن وأصبحت زازا ممثلة شهيرة وأصبحت تقم ندوات أدبية وفنية أسبوعية بصفة منتظمة تدور فيها أحلى الأسرار وأشهى الأحاديث فى الأدب والفكر والفن وكان من أبرز من يؤم هذه الندوات العقاد ورامى ومالح جودت وفكرى أباطمه وأنور أحمد ومحمد عبدالوهاب .

ويلقى الأستاذ صالح جودت الأنواع على قمة هذا الحب الكبير فى حياة ناجى ،
 فيقول عن تلك الملهمة : (١)

(١) صالح جودت / ناجى ، حياته وشعره / ١٩٦٠م ص : ١٢٩ .

" أما زارا فلست أجانب الحق اذا قلت أنها المرأة الوحيدة التي أحبت الشاعر..
 " كانت شابة وسيمة اللسمات ، أنيقة الروح ، ، تعشق الشعر ، قديمه وحديثه ،
 وتحفظ الكثير من هذا وذاك ، ولم تكن ذات مطامع كمطامع الفانيات . كان كـ
 همها في الحياة أن تكون بجانب الشاعر يحبها وتحبها " .

XXXXXXXXXX

لقد وجد ناجي في زارا - في تلك الحقبة التي كان يعاني فيها من محتسبه
 بالزمان والناس - الملجأ والسوى لقد عرفها حوالي عام ١٩٤٤م فعلاّت الفراغ
 الذي كان يعانيه وبكابه .

وقد ترك لنا ناجي اعترافات حول هذا الحب الذي لعب دورا كبيرا في حياته
 وشعره ابان محتسبه في سنواته الأخيرة حين تخلى عنه أصدقائه وهجرته محبوبته اللاتسي
 طالما تغنى بحبهن وانشغلت عنه ملهمة " الأطلال " بأصواء السينما والمسرح .
 ثم جاءت زارا التي خفت عليه في المحنة فداوت جراح روحه وآلام نفسه .
 وقد استلهم ناجي من غرامه بها عدة قصائد رقيقة منها قصيدته " زارا "
 التي نشرت بعد وفاته والتي تصور جوانب الحب في حياة ناجي ، يقول
 فيها :

قبل أن نلتقى ، فلما تلاقينا	عرفت الغنى وذقت المغانم
حيثما أفتدى فان الدراري	ملء روعي وفي خيالي بواسم
ان أبت جائعا فشممة زادي	أو أبت معسرا فشم الدراهم
وعجيب فقد كنت لي حسد الحساد	فيها وكنت أنت التماشم
بالذي صنت مهده لم أخنه	ومتى خانت الأكفا المعاصم

ويقول عنها في قصيدة " الطائر الجريح " :

لولاك ماقلت لشسء	في الوجود مرحبـ
ولم أجد ركننا غنيبا	بالحنسان طيبـ
أنت الحياة والنجاة	والأمان المجتبـ

لقد لعبت زازا فى حياة ناجى فى تلك الحقبة دورا كبيرا فى تخفيف آلام روحه
وأحزان نفسه . . . كان فى تلك الحقبة يعانى المرض وعقوق الأصدقاء وهجر المحبوبات
وعسر المال فضلا عن الأحقاد والدسائس من خصومه فى عمله الذين استغلوا محتسبه
فضيقوا عليه الخناق وشددوا عليه الكرة للنيل منه فى وظيفته وكان يقترب حينئذ
من الخمسين فزاد ذلك من محنته وأحس بأنه قد شاخ .

وانعكس كل ذلك على نفسيته وبالتالي على شعره الذى أصبح أكثر ارهانا
وحزنا ووحشة .

ورقد على الفراش حين اشتدت عليه العلة من أثر السهر والاسراف فى الشراب
وفى لحظة يأس أحس بالنهاية ورأى بعينى خياله الزورق يفرق ولا مجيب لمصراخ
الملاح وسجل أحاسيسه القاتمة فى قصيدة موحشة بعنوان " عاصفة الروح " خاصة
أنه كان يعانى من هجر محبوبه العمر ولمحة الضوء الوحيدة فى حياته " زازا "
فى تلك الحقبة الحزينة من سنواته الأخيرة ، والتي كانت الباسم الشافى الذى خفف
عنه الكثير من آلام روحه .

لم ير شاعرنا أمامه فى تلك الحقبة الا زورقه تعبث به الأمواج وسط الأنسواء
والغيوم والرياح وقد غرق الشراع وأوشك على الغرق دون أن يجد مرسى فى شاطئ
للأمان والرجاء .

يا عباب الهموم	أين شط الرجاء
ونهارى فيوم	ليلتى أنسواء

XXXXXXXXXXXX

أسمعسى الديوان	أعولى يا جـراج
زورق فضبان	لابهم الريح

XXXXXXXXXXXX

فى صميم الشراع	البلى والثقوب
وخيال الوداع	والغنى والشحوب

XXXXXXXXXXXX

اسخري يا حياياة
تهتهسى يارمـــــود
المبسا لن آراه
والهوى لن يعـــــود

XXXXXXXXXXXXXXXXX

الآمانسى غـــــرور
فى فـــــم البركـــــان
والدجى مخـــــور
والسردى مكـــــران

XXXXXXXXXXXXXXXXX

راحت الأيـــــام
بابتـــــام الشفـــــور
وتولى الظـــــلام
فى عنق المـــــخور

XXXXXXXXXXXXXXXXX

كان رؤيا منـــــام
طيفك المسحـــــور
ياضفاف الســـــلام
تحت عرش النـــــور

XXXXXXXXXXXXXXXXX

وتبلغ الكآبة ذروتها والحن مداه فيودع كل شىء بعد وداعه للحب
الوحيد فى حياته الذى كان يفضى أفق حياته ، ويبدد عن روحه
ظلماتها وأحزانها ، فيقول :

اطحنسى ياسنـــــين
مزنسى يا حـــــراب
كل برق بيـــــين
ومضه كـــــذاب

XXXXXXXXXXXXXXXXX

اسخري يا حياياة
تهتهسى ياغيـــــوب
المبسا لن آراه
والهوى لن يـــــوب

XXXXXXXXXXXXXXXXX

ويذكر الأستاذ صالح جودت أن زارا ظلت الى جانب ناجى الى آخر

- ٥٠ -

حياته تهيه حياتها وهي حبيبة ، وهو شيخ يلاشرب من الستين ، وهو فوق
ذلك قاييل الحظ من المال والجمال والفحولة ، مريض بذات الرئة ،
فما من شك بعد ذلك أنها كانت تحبه حبا مثاليا لاغايسة وراءه
الا الحبيب في ذاته .

" مأساة الطائر الجريح "

كان شاعرنا رقيقاً وديعاً صافى القلب هذب الروح ... كان - كما يصفه - ابراهيم المصري - فى تلك اللوحة انساناً رقيقاً جالماً :

" تلتقى بالدكتور ناجى ، فتشعر كأن نسيماً منعشاً يهب عليك ، وتصافحه فكأنمما يفتح لك صدره ، وتجلس اليه وكأنك فى حفرة روح حائر ، وتستمتع الى حديثه فيأخذك العجب من طهارة قلبه وبراعة نفسه وسلامة طويته وعذوبة صوته وطلاقة محياها ، فتذهل ، ويتفاهل شخصك فى عين نفسك ، ويعز عليك نقصك ، ولايعزبك فى النهاية الا يلقينك بأن الخير فادرك قد استقر فى سوال وتمثل نابضاً حياً فى قلب هذا الشاعر النبيل " .

كانت هذه لوحة صادقة ودقيقة لملامح شخصية شاعرنا وقد عكست تصرفات شاعرنا الانسانية الكثير من هذه المعانى ...

فقد كان يتخذ من الطب مهنة انسانية أولاً ، ويجعله هواية فى كثير من الأحيان . وكثيراً ما كان يخرج من جيبه ثمن الدواء - وأحياناً ثمن الفـذـاء - للمرضى الفقراء ...

وكان أهل الأدب والفن من متوسطى الحال يعالجون عنده وفى أغلب الأحيان كانت عيادته تزخر بألوان من المرضى الفقراء وكان حصيلة كل هذا أقلل القليل من المال ، ولكنه كان يشعر بسعادة غامرة ازاء ذلك .

ولقد ظابت أيامه عندما عمل طبيباً بوزارة الأوقاف فى عهد الوزراء الثلاثة وهم : عبدالهادى الجندى و ابراهيم دسوقى وأباظة وعبدالحميد عبدالحيق ، اذ كانوا يقدرون شعره ونبوغه واخلاصه فى عمله وفى سنواته الأخيـرة عانى الكثير من الدسائس والمؤامرات وراحت السنة الحاسدين والحاقدين تدس لسه عند رؤسائه فى العمل وتزعم أنه غير منتج ، وأنه منصرف عن الطب السـى الشعر والأدب .

ونجحت الدساتيس فى الهبوط به من منصب المدير الى منصب المراقب ، ثم
مالبت ان انتهى به الامر باخراجه من وظيفته نهائيا ، وهو فى حوالى
الثانية والخمسين اى عام ١٩٥٢م .

كانت صدمة منيفة هزته هذا منيفا من أعماقه ...

وفامت الدنيا أمام عين الشاعر الرقيق ، واستلم للعزلة وغشت الكآبة
نفسه واحتوته سورة اليأس والعذاب الممض وأسرف فى الخمر اسرافا شديدا
ينشد فيها السلوى والنسيان واعتزل المجتمع وغابت ابتسامته الحلوة ...

لقد تغير كل شىء فى ناجى فى سنواته الأخيرة ...

لقد صمت القلب العاشق المغرد وأصبح فناؤه نواحا وترنيمه أنينا .
وأهمل نفسه فلم يعد يباهى لطعام أو صحة أو ملابس وحدثت خلافات بينه
وبين زوجته . وشرع يقضى لياليه ساهرا هائما على وجهه مع ليالى
القاهرة لارقيق له سوى الأقداح وبقايا الذكريات وشيطان الشعر ...

وانفض منه معظم أصدقائه الا عدد محدود ظلوا بجانبه فى محنته منهم
صديق عمره صالح جودت الذى ظل ملازما له وفيما لمحبته حتى آخر نسمة
فى حياة ناجى ، وعندما رحل ناجى كتب صالح جودت ترجمة ممتعة لحياته
بعنوان " ناجى حياته وشعره " صدرت عام ١٩٦٠م وقدم لها العقاد بمقدمة
تحليلية رائعة عميقة أبرز فيها مفهومه حول الرقة العاطفية عند ناجى
وسماتها الخاصة به .

" وغرق الزورق "

وراح شاعرنا يذوب سريعا ... أسرف في الشراب واتخذ من الليل صديقاً
لله يبثه نجواه عليه يجد السلوى والنسيان وأصبح حطاما يدب على الأرض بعد
أن أصابته عدة مدمات ...

كان يعاني من المرض وفرقة الحبيب ومكابد الأعداء وغدر الأصدقاء
ومفوتهم بعد عسره وخروجه من الوظيفة بفعل الدسائس وكانت مأساة
الطائر الجريح ...

فرمان ماصمت القيشارة الشجيرة التي أهدمت لنا أجمل أنغام الحبيب
والجمال وغرق الزورق ...

ففي ذات ليلة وهو في عيادته يدنى أذنه الى صدر أحد مرضاه لسمع دقات
قلبه ، سقط الطبيب وماش المريض ...

مات الانسان الكبير والشاعر المبدع وهو يهتف في أسى مودعا محبوبة العمر
بصوت متحشرج :

داو نارى والتيامى	وتمهل فى وداعى
ياحبيب العمر هب لى	بضع لحظات سى
قف تأمل مغرب العمى	واخفاق الشعاع
وابك جبار الليالى	هذه طول الصراع
وضياع الحزن والدمع	على العمر المضاع
وهتاف القلب بالشكوى	على غير انتفاع
مايهم الناس من نجوم	على وشك الزمراع
غاب من بعد طلوع	وخبأ بعد التمعاع

ومندما مات ناجى فى ٢٥ مارس ١٩٥٢م عن عمر يناهز الثالثة والخمسين أصيبت رازا،
بهدمة عنيفة وأصرت على أنه لم يموت بل - كما قالت - " ذهب ولم يتترك عنوانه " .

" شاعر الحب "

كان ناجي قلبها محبا عاشقنا ... يسعى الى المرأة ويستلهم منها أجمل
الغارييد الحب والجمال ...

كان شعر ناجي حديث القلب ونجوى الحبيب ومكابدة الفراق ...
وناجي شاعر يبديع كل الابداع في قصائد الحب والعاطفة وتلمس في شعره
حرارة الابداع ومدق العاطفة ...
ان شعر الحب Love Poetry عند ناجي يتسم بالرفقة العاطفية
والمدق الفني وحرارة العاطفة ...

ان شعره العاطفي صادر من عاشق ثوى العاطفة مشتعل الاحساس صادق الوجدان
ويرجع هذا الى حرقه وجدده وقوة عاطفته .
ان شاعرنا عاشق محب يبرى للحب تأثيرا كبيرا في حياته وفي نظرتيه
للحياة والوجود ، فيقول :

ذلك الحب الذى علمنى	أن أحب الناس والدنيا جميعا
ذلك الحب الذى صور من	مجدب القفر لعيني ربيعا
أنه بصرنى كيف السورى	هدموا قدسه الحصن منيعا
وجلا لى الكون فى أعماقه	أعينا تبكى دماء لادموعا

فى شعر ناجي العاطفي نجده عاشقنا واله القلب ثوى العاطفة ينتقلب
على سفير الوجد ووهج العاطفة والحنين ... وقوة العاطفة هى التى منحت شعره
الأصالة والجمال والابداع .

يناجى محبوبته ويمسور لها الدنيا كعباب يلعب بهما :

أنا ان ضاقت بى الدنيا أفىء	لشوان رحبة قد وسعتنى
انما الدنيا عباب فمنا	وشطوط من حظوظ فرقتنى

ولقد أظفوا عليه قلباً فارتقا في لحظة قد جمعتنا

ويجد في محبوبته الموصول والحنان والأمان بعد طول غربته ووحشته وأحزان
روحته :

وعلى بابك ألقى جعبتي
فيك كف الله عنى غربتي
كغريب آب من وادى المحسن
ورسا رحلى على أرض الوطن

XXXXXXXXXXXX

وطنى أنت ولكنى طرييد
فإذا مدت لىلنجرى أمود
أبدى النفى لى مالم يؤسى
شم أمضى بعدما أفرغ كأسى

ويرى أن حب محبوبته هو المحراب وبيته كعبته التى يقف أمامها بتبتل
وخشوع وقد سار اليه على الأشواك واستعذب منارج الهول والأهوال ليحظى
بوصال المحبوب :

وحبيب كان دنيا أملنى
من مشى يوماً على الورد له
خبقة القلب له مختلباً
قد سانسى فتشكرت لسه
حبه المحراب والكعبة بيته
فطريقى كان شوكة ومشيته
خفقة المصباح اذ ينفب زيتته
وطوى صفحة حبي فطويتته

XXXXXXXXXXXX

كان ناجى أحد فرسان الغزل العذرى ...
لقد سرف الحب العذرى وبنى له ، وهو حب خالص من شواغب الحس من
فرسانه مجنون ليلى والعباس ابن الأحنف .
ويرى الدكتور زكى مبارك (١) أن الحب العذرى لايقوم على الزهد المطلق

(١) الدكتور زكى مبارك / العشاق الثلاثة / ١٩٤٤م .

في المتعة الحسية انما يقوم على أساس الصراع بين روحين يغالبان
مطالحي الأئدة ومطالب الحواس ، فالحب العذري هو معركة منيفة فـسـى
ميدانين : الأول ميدان الصراع بين الشاعر وهواه والميدان الثاني ميدان
القتال بين الشاعر ومن بهواه وهو في الميدان الثاني لايطارد فريسة لاتنـسـال
بأيسر الجهد وانما يطارد ضحية عصماء لاتنال الا باقتحام الأهوال فوق
قمم الجبال والحب العذري حين يتموره هذا التصور لا يكون الا رياضة أخلاقية
في آنفس من أقبلوا عليه من الشعراء العظام .

وكان الدكتور ناجي شامرا عذرياً عاشقاً يرى الحب طريقاً الى تهذيب
الأرواح وتربيبة العواطف .

أنه بمرنى كيف الورى هدموا قدسه الحصن المنيعاً

وقد خلق شاعر الحب للمرأة في شعره شمائل تميزها عن سائر بنسات
حواء فقد خلق منها عروساً للشعر وجعلها امرأة مثالية وثرة روحية
تسيطر على مسالك ضلاله ومذاهب هداه وخلق منها مثالا رائعا لاتحده
الأوهام والظنون وكثيرا ماصورها عروسا للشعر بعيدة عن دنيا البشر ...
يتغزل شاعرنا في محبوبته فيصور مواطن سحرها في أسلوب تصويرى
وجدانى رائع ، فيقول :

كل ما فيك من الأسرار يبرى	أى سر فيك ؟ أنى لست أدرى
فتنة تعصف من لفتة نحر	خطر ينساب من مفتت شفر
زورق يسبح فى موجة عطس	قدر ينسج من خصلة شعر
وأصلا ما بين عينيك وعمسرى	فى عباب فامض التيار يسرى

أنه هنا يجيد التعبير العاطفى Emotional Expression فى رسم
صور متتابعة حية لجمال محبوبته وسحرها الثهار ويجد معها الحنان
والمأوى والحب والظل الظليل من هجير الحيشة :

هذه الدنيا هجير كلها أين فى الرمفء ظل من ظلالك

ربما تزخر بالحسن ومسا
ربما تزخر بالنور وكـم
لو جرت في خاطري أقصى المنى
في الدمى مهما غلت سر جمالك
من ضياء وهو من غيرك حالسك
لتخيلت خيالا من خيالك

XXXXXXXXXXXX

ويرى عباس محمود العقاد أن ناجي من شعراء الرقعة العاطفية Sentimentalism والتي كانت غالبية على بعض أصحاب الأقلام في مصر من الناطمين والناشرين في أوائل هذا القرن ولكنه يرى أن رفته لها نمط خاص ، فيقول : (١)

" ولاشك في صدق تعبيره عن تلك الرقعة العاطفية شعرا ونثرا ، بل خلقا وشعورا كما عرفناه وعرفه أصدقاؤه الأقربون .

" رقعة ودقّة ... هاتان الخصلتان اللتان نسجت منهما العاطفية الشعرية في سليقة ناجي " .

والمعروف أن العقاد كان قد انتقد ناجي عام ١٩٣٤م حين صدر ديوانه " وراء الغمام " واتهم شعره بالافراق في البكاء والحنين والرخاوة العاطفية ورد عليه ناجي مما لا يتسع له المجال هنا .

كما اتهم ناجي بالانراط العاطفي Sentimentality من بعض النقاد والدارسين ولكن فاب عن بالهم تكوين ناجي العاطفي ورقعة عاطفته ورفاهة احساسه ثم أنه كان صادقا مع نفسه فجا شعره انعكاسا لمشاعره وأحاسيسه وعواطفه وذلك هو غاية الصدق الشعوري والفني .

وشعر ناجي مليء بالحنين واللهفة والألم والعتاب والمناجاة ولكن هناك لوحات تمويرية مرحة مبتهجة منها هذه اللوحة المرحة الراقصة لحبيبين أضاء لهما الحب أضواء البهجة فانطلقا يمرحان ويشقان ظلما الرأقى :

هل رأى الحب سكارى مثلنا
كم بنينا من خيال حولنا؟

(١) مقدمة العقاد لكتاب " ناجي حياته وشعره " / ص :

ومشينا فى طريق منمـــــر
وتطلعنا الى أنجـــــم
وضحكنا ضحك طفلين معـــــا
تشب الطرحة فيه قبلنـــــا
فتهاوين وأصحن لنـــــا
وعدونا فسبقنا ظلنـــــا

ويرى فى محبوبته الأمل والربيع والبهجة والاشراق :

عندما أقفرت الدنيا جميعا
ان يكن حلما تولى مسرما
ان يكن ماكان ديننا يفتفى
قد شريناه عزيزا غاليا
وهذه لوحة مرحلة مبتهجة لمحبين نسيا كل شىء فى الوجود وقد أجاد
ناجـــــى فى رسم صور متحركة , Moving picture , لمـــــرح
المحبين وبهجتهم فى ظل الوصال والنجوى :

نمشى وقد طال الطريق بنا
ونود لو خلت الحياة لنا
ونود لو نمشى الى الأبد
كطريقنا وغدت بلا أحـــــد

xxxxxxxxxxxx

نبنى على أنقاض ماضينا
ونظل ننسج من أمانينا
قمرا من الأوهام عملائنا
وشيا من الأحلام براقنا

xxxxxxxxxxxx

وأظل أسقيها وتملاً لـــــى
حتى اذا سكرت من الأمل
من مورد خلف الظنون خلـــــى
وترنحت مالت على كتفـــــى

بعد هذه البهجة والسعادة فى ظلال الوصال والحب والنجوى ينتبه
على صوت النذير يروعه بالفرقة بعد ساهات الهناء والسعادة :

حان حرماني وناداني النذير
زمنى ضاع وما أنصفتنـــــى
رى عمرى من أكاذيب المنى
ما الذى أعددت لى قبل المسير
زادى الأول كالزاد الأخيـــــر
وطعامى من عفاف وضميرـــــر

وعلى كفك قلب ودم وعلى بابك قيد وأسيـر

وبعد الفرقة ينتابه الأسى ويعكف على كأسه وعلى سرابه ينتظر على
أمل أن تلبى محبوبته النداء وتعود اليه ليالى الوصال والنجوى والنغم :

انى على يأس وكأسى كابسى وعلى سراهى عاكف وشرابسى
ولقد فرغت من التعلل بالمنى الا وميضافى السراب الخابسى
رمنا يعللنى بأنك عاشد يوما لقلبى قبل يوم ذهابسى
أزرى شروقك فى أفول مغارسى وأشم عطرك فى ذبول شبابسى؟

XXXXXXXXXXXXXXXX

يرى الشاعر صالح جودت أن شعر الحب عند ناجى خالد وأصيل ، فيقول : (١)

" ان أجمل مقياس لخلود الشاعر ، هو أن تظفر بالبيت له ، فتسأل
نفسك " الى متى يعيش هذا البيت " ولست أشك فى أن أكثر شعر ناجى
فى الحب تميمين بأن يعيش الى أن تنتهى قصة الحب على الأرض .

" هذا هو الشاعر الخالد وهذا هو الخلود " .

ويرى بعض النقاد أن شعر ناجى فى الحب قد أشر فى الشعراء الذين جاءوا
بعده .

" ان ناجى قد بلغ الذروة فى التعبير عن ظمأ الروح واللهفة الخالدة
الى الحب ، وعاش طول حياته روحا ظامئا لهيفا يبحث عن العواطف ويعبـس
عن أشواقه المتدفقة .

" وامتد هذا الظمأ والحنين فى شعره حتى أواخر حياته فى دواوينه الثلاثة
" وراء الغمام سنة ١٩٣٤م " و " ليالى القاهرة سنة ١٩٤٤م " و " والطائر
الجريح الذى صدر بعد وفاته سنة ١٩٥٧م " .

(١) صالح جودت / ناجى ، حياته وشعره / ص : ١٥٦ .

" في هذه الدواوين نلمح ناجى المتعطف الى الحب يمثل تيار أبوللو
أصدق تمثيل ، ولقد أثر في كثير من الشعراء الذين جاءوا بعده ، بل
لعلنا نحس آثاره حتى الآن في شعرنا المعاصر " (١) .

XXXXXXXXXXXXXXXXXXXX

وبعد ، فهذا هو شاعر الحب ، ناجى ، الذى كانت أغاريده العذبة
دافقة بالشعور الحسى والحرارة والجمال وكانت تتسم بالمصدق
الغنى لأنه قسها من نار روجه ونور وجداسه .
لقد كان شعر الحب Love Poetry عند ناجى لونا جديدا
وفريدا في شعرنا العربى المعاصر .

(١) عبدالعزيز الدسوقي / جماعة أبوللو / ص: ٥٧٣ .

- ٦١ -

مختارات من شعر ناجى

- ١ - أغنية فى هيكل المسب
- ٢ - البعث
- ٣ - الفسد
- ٤ - السوداع
- ٥ - الخريف

١ - أمنية في هيكل الحبيب

كم تجرمننا هواننا
ولقينا في هواننا
وبلوننا نار حبيب
لم نذق فيها أماننا
وإذا حبل الهوى
هيهات تدرى كيف كاننا
فاذا ماملك الأنفاس
أطاهنا هواننا
فهو نصل مستر
ولهيب لا يداننا

xxxxxx

يا حبيبى هداً الليلى
ولم يسهر سواننا
لادجى ضد جرحينا
ولا الصبح شناننا
لا الهوى رق على
الشاكى ولا قاسمه لاننا.
قد فدونا فرض الرامسى
كما شاء رماننا
والنسى بالله نطرق
هيكل الحبيب كلاننا
سامعة نبكى على الكناس
ونشكو من سناننا

٢ - البعث

يا جمالا وجلالا يندفـسـق
رجع الليل أم عاد الربيع
بهر النور ميونس ، فترفـسـق
حين تدنو ، اننى لا أستطيع

xxxxxxxx

أيها الورد الذى طاف بنا
أيها الظل الذى بل الظمنا
لا أراك الله حالى وأنا
أطأ الشوك وبغزوني الظمنا

xxxxxxxx

يا أمانسى وحبسى وخيالىسى
لاتفيع لحظة ، فالعمر فباع
لا أراك الله حالى ، والليالىسى
كاسفات ليس فيهن شعاع

xxxxxxxx

قد بلوت الويل فيها ، لابلوتنا
وأنا أبدأ يومى بالمساء
ومرقت الخيق ، فيق القلب ، حتى
لم أجد فى الكون ثقباً من رجاء
لا وربى ، ليس فى الدنيا ختام
حين يغدو البعث نجوى من حبيب
حين يستيقظ قلب من منسى
والمنادى أنت ، والحبيب مجيب

٢ - الغيد

ياحنانا كيد الأتسى السرووم
 وشعاعسا يشتهى بعد الغيبسوم
 أنا فى بعدك مفقود الهيسسدى
 فاشع أعشو الى نور كريسسوم
 أشتري الأحلام فى سوق المنسسسى
 وأبيع العمر فى سوق الجسسوم
 لاتقبل لى فى سد مرسسسا
 فالغد الموهود نساء كالنجسوم

xxxxxx

أفدا قلت؟ فعلمنى اصطبصارا
 ليبنى أختصر العمر اختصارا
 عبرت بسى نشوة مسن فسرج
 فرقمنا أنا والقلب سكسارى
 ومرانا طاشف من خبسسول
 فاندفعنا فى الأمانى نتبسارى
 سدم النور حتى يتلاشسسسى
 وندم الليل حتى يتسسوارى

xxxxxx

أنفردنا أنا والقلب مشسسسا
 ننسج الآمال والنجوى سوسسا
 فركبتنا الوهم نبفى لأرسسسا
 وطوبنا الدهر والعالم طسسسا
 فبلغناها وهلننا لهسسسا
 ونزلنا الخلد فينانا نديسسسا
 ولقينا الحن ففا والمبسسسسا
 وتعلينا الجلال الأبدسسسا

xxxxxx

قال لى القلب : أحقا ما بلغننا؟
كيف نام القدر الساهر هنا؟
أتراها خدمة حاقت بنا؟
أتراها ظنة مما ظننا؟
قلت : لاتجرع فكم من منسى
من حتى صار فوق المتمنى
أذن الله به بعد النوى
فشوبنا واسترحنا وأمننا؟

xxxxxx

ياجنان الخلد قدمت أمتى ذارى
اذ يطوف الخلد مرمى ودمى
أيها الأمر فى ملك الهوى
امنع عن لهفة روحى وأوارى
أشتهى فمك حتى أشتفى
فكانى ظامىء آخذ شارى
غير أنسى كلما امتدت يدى
لعناق ظت أن تؤدبك نى.

xxxxxx

أيها النور سلا ما وخشوما
أيها المعبد صمتا وركوما
ملكنت قلبى ولبى رهبة
معلت بالقلب والسب جميعا
رب قول كنت قد أهددت
لك اذ ألقاك يابى أن يطعمنا
وحبب من مناب لى فمى
قد مصانى فتفجرت دمومنا؟

xxxxxx

- ٦٦ -

لدمتني دمة تلفح خــــدى
نبهتني من فلال ليس يجدى
اختفت تلك الروى من ناظرى
وظواها الغيب فى سحرى بــــرد
وتلفت فلا أنــــت ولا
جنة الخلد ولا أطياف سعــــد
وإذا بي فارق فى محنتــــى
وبلاى ، أقطع الأيام وحــــدى

xxxxxxx

هات قيسارى ودمنى للخيال
واسقنى الوهم ... وعلل بالمحال
ودع الصدق لمن ينشــــده
الحجى خصى فامر بالفضــــلال
وغذ الأنوار منى ، ربهــــا
أجد الرحمة فى جوف الليالى
ظننى بالشوق أستدنى فســــدا
فغدأ هندى كآباد طــــوال

—————

٤ - السوداع

حان حرماني ونادائي النذير
 ما الذي أعددت لي قبل المي
 زمني فاع وما أنصتتني
 رادي الأول كالزاد الأخير
 ري عمري من أكاذيب المنسي
 وطعامي من مفااف وضمير
 وعلني كلك قلبك ودم
 وعلني بابك قيد وأسير

xxxxxxx

حان حرماني فدعني يا حبيب
 هذه الجنة ليست من نعيم
 آه من دار نعيم كلمنا
 جنتها اجتاز جيرا من لهيب
 وأنا إلفك في ظل الصبا
 والشباب الفخ والعمر القشيب
 أنزل الربوة فينا هابيرا
 ثم أمفي منك كالطير الغريب

xxxxxxx

لم يهاجر أصبحت رحيمنا
 والحنان الجم والرقبة طيمنا؟
 لم تسليني من شهد الرضا
 وتلاقيني مطونا وكريمنا؟
 كل شيء صار مرا في فمنا
 بعد ما أصبحت بالدنيا هليمنا
 آه من ياخذ عمري كلنا

وبعيد الطفل والجهل القديم؟

xxxxxxx

هل رأى الحب سكارى مثلنا؟
كم بنينا من خيال حولنا
ومشينا فى طريق مقمر
تشب الفرحة فيه قلبنا
وتطلعنا السى أنجمه
فتهاويين وأصبحن لنا
وضحكنا ضحك طفلين معنا
ومدونا فسبقنا ظننا

xxxxxxx

وانتهينا بعد مازال الرحيق
وأفقتنا .. ليت أنا لانفيق
يقظة طاحت بأحلام الكسرى
وتولى الليل ، والليل مديق
وإذا النور نذير طالبع
وإذا الفجر مظل كالحرىق
وإذا الدنيا كما نعرفها
وإذا الأحباب كل فى طريق

xxxxxxx

هات أهدنى ودمنى أهدك
قد دنا بعد أثنائى مسوردك
فأدقنيه فانى ذاهب
لافدى برجى ولا برجى ههدك
وابلاشى من ليالى التسى
قربت حينى وراحت تبعك
لاتدمنى ليليالى فهدك

تجرح الفرقة ماتاسويديك

XXXXXXXX

أزف البين وقد حان الذهباب
هذه اللحظة تَدَّت من مــــذاب
أزف البين ، وهل كان النــــوى
يا حبيبي غير أن أُفلق بــــاب؟
مفت الشمس لأميت وتــــدد
أفلق دوتى أهواب السحــــاب
وتلقت على آثــــارها
أسأل الليل .. ومَن لى بالجواب ؟

٥ - الخريف

يا حبيبى غيمة فى خاطرى
وجفونى ، وعلى الأفق سحابى
غفر الله لها ماصنعــــــــــــــــت
كلما شاكتها تندى كآبى
مرخ القفر لها منتحبى
وبكى مستعظفا مما أصابى
فأصم الغيث منه أذنسى
ماعلى الأيام لو كان أجابى؟

xxxxxx

كشر الهجر على القلب فهل
من سلو أو يعاد يرتفيسى
أنت فجر من جمال وصبى
كل فجر طالع ذكر نيسى
كيف ناجيتك أبفى سلوى
ثم ناجيتك فى كل شيبى
أيها الساكن هينى ودمى
أين فى الدنيا مكان لست فيه؟

xxxxxx

عندما أزمع ركب العمسى
رحلة نحو المغانسى الأخرى
ظهرت تجلوك كفى القدر
صورة أروع مانسى الصور
تتراهى فى الشباب العطرى
فحة تحمل طيب السحرى
وقف العمسى لها معتسىذرا

وشى الركب منسان السقــــــــــــر

xxxxxxx

عندما أتفرت الدنيا جميعها
لحتلى تحمل ممرا وربيعها
ان يكن حلما تولى سرفها
أجمل الأحلام ماولى سريها
ان يكن ماكان دينا يقتفى
خلنى أدعه منك دموعها
قد شريناه عزيزا عاليها
ان يكن بعث فانى لن أبيها

xxxxxxx

ياندامى الحب سمار الهوى
مكبوا لى السهد فى ذاك السراب
أرقونى أجرع السقم وبسى
صفرة الكأس وأوهام الحباب
كلما تقبل أيام المنى
تنجلى النعماء من ذاك السراب
وترى أيامى الحيرى على
مرسها الضاحك أحزان الضباب

xxxxxxx

لم أقيدك بشئ فى الهوى
أنت من حبى ومن وجدى طلبق
الهوى الخالمقيد وحده
رب حر وهو فى قيد وشبق
مزقت كفيك أشواك الهوى
وأنا ضقت بأعجار الطربق
كم ظمى بظمى يرتوى

وفريق مستعين بفريقـــــــــــــــــ

xxxxxxx

يالبيالى العمر ماسر الليالى
البطيئات المعلمات الطنـــــــــوال
مسرقات مبططات ولهـــــــــما
خفة الموت وأثقال الجبـــــــــال
كاسفات الببال مر جأء العنـــــــــسى
ماشرات الحظ شوهاء الظـــــــــلال
هجبا للعمر يهفنى مسرـــــــــما
للعنايا بسلحفاة المـــــــــلال

xxxxxxx

ياكنار الروفنى آيك الهوى
جفت الروفنة من بعد النديـــــــــم
حل بالآيك خريف منـــــــــكر
وظلال قاتمات وفيـــــــــوم
ماتت الروفنة الا طائفـــــــــا
من هوى حى على الذكرى يـــــــــقوم
فاذا أنكر ما حل بهـــــــــا
فر يبغى سريه بين النجوم؟

xxxxxxx

شاهنت الدنيا وجوهـــــــــا ورؤى
وتولاها سهوم ووجـــــــــوم
يامذارى الحسن فى ظل العـــــــــبا
كل حسن بعد ليلى دميـــــــــم
يانعيم العيش فى ظل الرـــــــــفا
آه لو أعرف ما طعم النعيـــــــــم
أنكر الجنة قلب فـــــــــجر
أهدى النار موصول الجحيمـــــــــم

xxxxxxx

- ٧٣ -

طالما موهت بالضحك فلما
غير التمويه رأيا لك فينا
كلما تنظر في ميني تـسـرى
سرى الغالى ومعناى الخليا
وترى فى عمق روحى زهـرة
قد سقاها الحزن دمعاً أبدياً
ويراه الناس طلا وتـسـرى
أنت دمعاً غامماً فى مقلتيها

XXXXXXXX

يا فؤادى ماترى هذا الغروب
ماترى فيه انهيار العمر؟
ماترى فيه غريقنا ذا شحوب
يتلاشى فى خضم القـسـدر؟
ماتراها اتأدت قبل المغيب
ورمت من مرشها المنحدر
لفتة العسة للشط القريب
قبل أن تسقط خلف النهـر

XXXXXXXX

يا فؤادى قاتل الله الفجر
وعذابى بين حل وسفـر
ماترى قنطرة من بعدهما
راحة ترجى وبال يستقـر
ذلك الجرح وما أفدحـه
ما عليه لو الى السلوى هـر
قد طواه اليوم فى بردته
وأنى الليل عليه فانفجر

XXXXXX

- ٧٤ -

مر بيوم فارها منك ومــــن
 أمل اللقيا لما أتعى بيومــــى
 أنت بيومى ، وغدى أنت ، ومــــنا
 من زمان مر بهى لم تك همــــى
 آه كم الغدو ..مغيرا ، حاجتــــى
 لك كالطفل الى رحمــــة أم
 ولكم أكبر بالحب الــــى أن
 اغتدى مستشرفنا آفاق نجم

xxxxxx

أى سر فيك انى لــــت أدرى
 كل ما فيك من الأسرار يغــــرى
 خطر بنساب من مفتر ثغــــر
 فتنة تعصف من لفته نحــــر
 قدر ينسج من خلسة شعــــر
 زورق يسبح فى موجة عطر
 فى غباب فامض التيار يجــــرى
 واصلا ما بين مينيك ومــــرى

xxxxxx

ذات ليل والدجى يغمرنــــنا
 أترى تذكر اذ جزنا المدينه؟
 كلما روعت من نار شــــج
 حر ما يطفى تلمست جبينــــه
 بيد شفاة مثل الندى الرطب
 تعيد النار بردا وسكينــــه
 أيها الآسى لنارى هــــذه
 ما الذى تمنع بالنار الدفينه؟

xxxxxx

أخيلاً كان هذا كلسه
ذلك الجسر الذى كنا عليه؟
والمصاييح التى فى جانبيه
ذلك النيل وما فى شاطئيه؟
وشعاع طوفت فى مائيه
وظلال رسبت فى فطيه
وحبيب وادع فى سامعدي
وومود نلتها من شفتيه!

xxxxxxx

رب لحن قم فى خاطرى
قصة الحادى الذى فى سواده
وكان الصمت منه واحسبه
هيات من مشها الرطب وسواده
هأنا عدت الى حيث التقينا
فى مكان رفرفت فيه المعساده
وبه قد رفرف الصمت علينا
ان فى صمت المعجين مساده

xxxxxxx

رفرف الصمت ولكن أقبلست
من أقاصى السهل أصداء بعينه
تتهادى فى عباب ساحسرت
مرسل للشط أمواجاً مديده
كم نداء خافت مبتمم
تشتى أذن الهوى أن تستعينه
عاد منساب الى أعماقها
هامسا فيها بأصداء جديده

xxxxxxx

رفرف العمت ولكن هاهنا
كل مافيك من الحن يغنى
آه كم من وشر على
مدر صود نوم غاف مطمئن
وبه شتى لحن من أسس
وحنين وأنين وتمن
رقد العاصفيه وانطوت
مهجة العود على صمت مرن

xxxxxxx

هذه الدنيا هجير كلهنا
أين الرمضاء ظل من ظلالك
ربما تزخر بالحسن ومنا
فى الدمى مهما قلت سر جمالك
ربما تزخر بالنور وكلم
من ضياء وهو من غيرك حالك
لو جرت فى خاطرى أتمنى العنسى
لتمنيت خيالا من خيالك

xxxxxxx

أنا ان فانت بي الدنيا أفسى
لثوان رحبة قد وسعتنا
انما الدنيا عباب فمننا
وشطوط من حظوظ فرقتنا
ولقد أطفو عليه قلقتنا
مارقا فى لحظة قد جمعتنا
كلما تترى المعانى أجلتنا
خلف معناها لاسرارك معنا

xxxxxxx

ما الذى صكها فى الفسواد ؟
ما الذى ان اقمه عنى مباد ؟
طافيا بعصف ممظا بالرشاد
ظامثا سبان قسرب وبعساد
ساهر الميثين مومول الهساد
ما الذى يجرى لهيبا فى الرمساد ؟
ما الذى يخلقنا من عسادم
ما الذى يجرى حياة فى الجماد ؟

xxxxxxx

كم حبيب بعدت صهبساوه
وتبقت نلحة من حبيبسه
فى نسيج خالد رغم البلسى
عبث الدهر ومايعبث بسسه
ما الذى فى ضلعة من شعوره ؟
ما الذى فى خطه أو كتبهسه
ما الذى فى أثر ظفسه
من أفانين الهوى أو عجبسه ؟

xxxxxxx

ما الذى فى مجلس ببالفسسه
عقد الحب عليه مومسده ؟
ربما يبكى أسى كرسيسه
ان نأى منه وتبكى المائسدة
ربما نحسبها هسسست اذا
مائد هسثلها أو مائسده
ربما نحسبها تسالنسنا
حين نمضى أراق لعسده ؟

xxxxxxx

- ٧٩ -

بإفادى العمر سفر وانظـوى
وثبقت صفحة قبل النسـوى
مالذى يفرييك بالدنيا سـوى
ذلك الوجه ، وذبياك الهـوى

- ٨٠ -

صالح جسودت

شاعر العيون الزرق والشعر الذهب

(١٩٧٦-١٩١٢)

أيها الملاح قد أغرتك نسسى
فى محيط الحب تذلنا واندفاعنا
كيف أنقذت الورى من لجة
ضيعت منى فحسى العمر ضياعنا

" صالح جسودت "

" بين الأدب والسياسة "

كان ذلك على الشاطئ الآخر من البحر المتوسط ؛ في تركيا
كان مؤسس الأسرة وعميدها سياسيا محنكا وأديبا لامعا يجيد الكتابة
بأكثر من لغة ...

كان هذا الرجل هو جودت باشا ...

وكما يقول عنه معجم " المنجد " : (١)

" جودت باشا (١٨١٣ - ١٨٩٤) ولد في لوفجة من ولاية الطونة وزير
مغانى الف بالعربية والتركية والفارسية .
" من كتبه " تاريخ جودت " ترجمه من التركية عبدالقادر الدنا وفيه
أحوال الدولة العثمانية ولاسيما أخبار الإنكشارية " .
وقد تزوج جودت باشا وأنجب فيمن أنجب من أولاد اسماعيل جودت وشب اسماعيل
وروجه تشتعل وطنية وغيرة على الوطن والدين .

XXXXXXXXXXXX

كان اسماعيل جودت أحد أحرار الترك الثوار ... وكان خطيبا مفوها وأديبا
لامعا ووطنيا ثائرا وشاعرا رقيقا ينظم الشعر بالتركية والفارسية وقد
لعب دورا بارزا وهاما في مقاومة السلطات الحاكمة في بلاده فاضطهد ولاحقته
السلطات بشتى ضروب الاضطهاد والتشريد والعنت ، وكانت مصر وستظل ملجأ للأحرار في
كل مكان وزمان ، فشد رجاله اليها واستقر بها واتخذها وطنا له وبرغم أرومته
التركية الا أنه أحب مصر وشارك في أحداثها وانفعل بقضيتها وتحمس لها
وعمل بالمحاماة

(١) المنجد / الأعلام / بيروت / ص : ١٤٤ .

والظاهرة الملفتة للنظر أن جل شعرائنا الذين كانوا من أصل تركي كالمشمري وشرقي ومالح جودت كانوا من أصدق الشعراء وطنية وتغنيا بحب مصر والمناذاة بحريتها واستقلالها ، وفي تلك الحقبة كان متزوجا من سيدة تركيية .

وعندما بشتب الثورة العربية (١٨٨٠ - ١٨٨٢) انفعل بها وشارك في أحداثها ولعب دورا بارزا وفعالا في مقاومة الخديوي والانجليز ، فقد ساء ماوجه ممن الأحوال السيئة التي تشير للأسى ، والمظالم التي ترتكب .

ولكن القوى الاستعمارية والرجعية تالبت على تلك الثورة الغومية الوطنية فشاء الله أن تخذل وقبض على الشوار الأحرار وسبق اسماعيل جودت الى المحاكمة ثم نفى عليه بالنفى الى " البحر الأبيض " بالسودان لمدة ثلاث سنوات (١) .

ولكن السلطات آثرت ابعاده الى تركيا ليكون تحت العيون والأرصاد خشيية أن يثير شائرة الناس في السودان على الانجليز والخديوي ، فنفى الى اسطنبول .

وفي اسطنبول ولد ابنه كمال الدين جودت عام ١٨٨٢م .

وفي حوالى عام ١٨٩٦ عاد اسماعيل جودت الى مصر مرة أخرى بمحبة ابنه كمال الدين الذى لم يكن يتجاوز الرابعة عشرة من عمره ، ورأى أباه وهو يتحمل صابرا التشريد والعذاب في سبيل الوطن والحريية ، فشب على كره للاستعمار منذ نعومة أظفاره .

واستأنف اسماعيل جودت اشتغاله بالمحاماه .

وورث كمال الدين جودت عن أبيه حبه للقراءة والاطلاع ، فقرأ من مكتبة أديبية أمهات كتب الأدب العربي القديم مثل مقامات الحريري والأغانى والأمالى وغيره من شوامخ كتب التراث ، كما قرأ دواوين الشعراء الفحول من أمثال المتنبي وأبى تمام والبحترى وعمل كمال الدين مهندسا زراعيا ، فكاد لا يكاد يستقر في بلده واحد يحكم ظروف عمله . وفي عام ١٩٠٨ تزوج كمال الدين من سيدة من أسرة علم

(١) عبدالرحمن الرافعى / الثورة العربية / ص : ٤٩١ .

كان والدها الشيخ عبدالرحمن من أصل تركي ووالدتها من أصل مغربي
كانت سيده مؤمنة تلبية صافية القلب هادئة الطبع
وكان كمال الدين عذب الروح حلو الفكاهة يعشق الفن والأدب والجمال ويكتسب
شعرا رقيقا في الحب والغزل وقد نظم "جغرافية مصر" بالزجل وصدر في كتاب .
ومن شعره قصيدة يصف فيها رقعة بالينه رائعة أشارت اعجابه ، فرسم هذه
اللوحة الشعرية الجميلة المعبرة عن تلك الرقعة عام ١٩١٢م بعنوان " وصف بال "
يقول فيها :

راقصات عاريات	في ضياء الكهريبات
ناظرات قاتلات	لنفوس الأبريات
ماشيات بقدود	كفصون في هوائ
قادمات كنسيات	طائرات في الفضايات
راجعات كنجوم	تائهات في الجوائ
مائلات دون سكر	لأممات ووراء
سالمات لاعبات	بعقول العتلات
ليس هذا الخلق شأن	الخلق من طين ودماء
انما هذا مصاغ	من لجين وصفاء

وكان كمال الدين يملك الكثير من الفياع والثروة ، ولكنه كان شاعرا
أراد أن يتمتع نفسه ، فبدد أكثرها قبل وفاته

" طفولة شامس "

كان كمال الدين جودت - كما قلت - كثير التنقل والترحال من محافظة لأخرى
بحكم وظيفته كمهندس زراعى

وفى مدينة الزقازيق بمحافظة الشرقية كان مولد شاعرنا

وكان والده يعانى سكرات الموت بالمستشفى وأرادت والدته أن تسميه
" عبدالرحمن " تيمنا باسم أبيها ، فكان لها ما أرادت ..

وفى اليوم السابع من مولد شاعرنا صنع الأطباء معجزة أنقذت الأب من الموت
بأجوبة ، وأراد الله أن يعد فى عمره

وخرج الأب من المستشفى ليثير معركة كبيرة حول الطفل المغير الذى اسمه
عبدالرحمن الذى يجب أن يكون اسمه صالح تيمنا باسم شقيق له كان لامعا فى دولة
الأدب والقانون يومئذ وهو المرحوم المستشار صالح جودت (١) وكان للأب ما أراد ...

ومدر اعلام شرعى بتغيير الاسم الى صالح جودت ثم مالبت الأسرة أن انتقلت
الى القاهرة بعد سبعة أيام فقط من مولد الطفل المغير ...

XXXXXXXXXX

كان للأسرة بيت بمصر الجديدة تلفه حديقة خضراء جميلة

وفى طفولة شاعرنا المبكرة كان يسمع أباه وهو ساهر فى الحديقة بالليل ،
وحوله نفر من أصحابه ويقرأ عليهم من الشوقيات ، إذ كان مفتونا بشوقى ، وكان
يعدده سيد الغداسى والمحدثين .

(١) من مؤلفاته : آمة الملايو (١٩٠٨) ومصر فى القرن التاسع عشر (١٩٢١) ،
وترجم الكثير من القصص منها " كيد الغانيات " و " جهاد القلوب " تأليف لويىز آينو
ومسرحية " الايمان " تأليف أوجين بربيو (١٩١٤) وترجمات جوستاف لوبون توفى
عام (١٩٦٨) عن الثمانين .

وفى هذه السن المبكرة ، أعجب شاعرنا جرس الشعر الذى يسمعه كل ليلة ، فشرّب
موسيقا الشعر وأنغامه منذ نعومة أظفاره .

وعندما استطاع الطفل أن يقرأ بدأ يقرأ مقامات الحريرى وهو فى العاشرة ،
وأعجبه الصنعة فى هذا الكتاب .

ثم بدأ يقرأ الشوقيات حتى حفظها جميعا وهو فى الثانية عشرة ، وطلبت
موسيقاها حتى أصبح وظل طيلة حياته يؤمن بأن الشعر هو أول ما يكون موسيقا
وأن على من ينظم الشعر إذا لم يحسن الموسيقى أن يهجر الشعر الى النشر

وكان الابن تختلف مع أبيه فى كثير من أسس الأدب ، كان الأب يعجبه شعر حفنى
ناصر ومائشة التيمورية وفيهما من معاصره . وكان الابن شغوفاً بلادب الحديث
ورواده الجدد والتقى الاثنان عند رأى واحد فى أمير الشعراء ، شوقى ، وبدأ
شاعرنا بمحاولات بسيطة لتنظم الشعر ولكنه استمر وبدأ يترنم بالشعر منذ طفولته
المبكرة وهو دون العاشرة ، وكانت أشعاره وتثعد تنسم بالموسيقية والرقية
وهذا هو السر فى اختواء شعره على قدر كبير من الموسيقية والرقية والعدوية
نتيجة قراءته لشوقى فى سن مبكرة .

وعندما لقي كمال الدين جودت وجه ربه فى يناير ١٩٥٢م كان قد أضع كليل
ثروته ولم يترك شيئا وراءه ولكنه ورث صناعة القلم لابنه ، وهو أطيّب ميراث ..

XXXXXXXXXXXX

اختلف صالح جودت الى مدرسة انجليزية فى مصر الجديدة وكان فى تلك الحقبة
مرحاً كثير الحركة والمداعبات وله ذكريات طريفة من طفولته المبكرة .

من ذكرياته المبكرة أنه كان يكسر عدادات النور والمياة ويشعل مجموعة من
الحرائق ، وكانت بالمدرسة مدرسة انجليزية حسناء شغراء من موظفات المدرسة ...
كانت وتثعد فى العشرين من عمرها وكان صالح لم يتجاوز السابعة من عمره ...

ورغم فارق السن الكبير الا أن الشاعر العاشق الصغير الفتون . هامر بها
حبا ونظم فى حبها عشرات الأبيات من الشعر الغزلى الأفلاطونى يبشها حبه ونجواه
ومواطفه الشبوبة .

وعلمت بعواطفه نحوها ، فأولته اهتماما وشجعتة وظللت تلك الحسناء المثقلة
هي المثال الحي للجمال في رأى شاعرنا ثم التحق بمدرسة الفرير بعد ذلك ...

ثم التحق بمدرسة مصر الجديدة الابتدائية وقاسى الأمرين من معاناة ناظر
المدرسة التركي بايزيد أنسدى لشقاوته ...

XXXXXXXXXXXXXXXXXXXX

ثم ظفر صالح جودت بالشهادة الابتدائية وعمره عشر سنوات ...
وعندما وقف لأول مرة في طاير الصباح بالسنة الأولى للمدرسة الثانوية نادى
ناظر المدرسة اسمه وقال : ان هذا التلميذ هو أصغر من نال الشهادة الابتدائية
في تاريخ هذه الشهادة ...

وأسكرت هذه الكلمات الشاعر الصغير ، وكانت نتيجة هذا أنه تعثر بالسنة
الأولى لمدة ثلاث سنوات متتالية ...

كان شاعرنا الصغير العاشق يقضى جل وقته في مسارح عماد الدين ومسارح
روض الفرج وكانت كثيرة ...

وفي هذا الجو الساحر المفعم بألوان الفن وسحر الأدب والجمال شرب النغم
وتعرف على مشرات من النقاد والممثلين والمؤلفين والمطربين والمطربات ...

كان يسهر الليل ولا يعود الى البيت الا قبل الثانية صباحا ...

أصبح الشاعر الصغير المفتون بوهيميسا ...

واندفع في هذا التيار الساحر بلا وعى ...

ولكن حدثت معجزة أنقذته من الانسياق في هذا التيار الساحر الجارف ...

قرر والده وكان يعمل وقتئذ مهندسا زراعيًا بالمنصورة أن ينثره من جو
القاهرة ولياليها ويلحقه بمدرسة المنصورة الثانوية لعله يفلح -

واتجه صالح جودت الى المنصورة عام ١٩٢٧ الى المدرسة الثانوية ليلتحق بها ...

ونجحت المحاولة ...

ومرة أخرى أصبح دائما ترتيبه الأول على لقرنته كل سنة ...

" في المنصورة "

وفي مدرسة المنصورة الثانوية ظهرت موهبته الحقيقية في نظم الشعر وبالرغم من بساطة ما كان ينظمه الا أنه كان يعد ارهاصات لما سيجيء بعد من مولد شاعر كبير...

وكان ينظم في المدرسة قصائده ويقروها على التلاميذ والأساتذة ...

وحدث أن جات فرقة يوسف وهبى الى المنصورة ، واستضافته المدرسة هو وأعضاء فرقته ، وقال صالح في تحية الغنان الكبير قصيدة منها هذان البيتان :

هدب نفوس شبيهة	لليخلق أحوج ماتكسون
فالخلق ان بلغ الكمال	بأمة ، هدم السجون

ويبدو أن القصيدة قد أعجبت المحتفى به ، فأخذها منه ونشرها فى

احدى مجلات القاهرة الكبيرة

وفي العام نفسه ، قرأ فى مجلة " الصباح " وكانت يومئذ من أشهر

المجلات الفنية والأدبية مقالا يتهم فيه كاتبه على أم كلثوم ، وكان نشأ على حب فنهما ، فامتشق قلمه ، وكتب مقالا طويلا دالغ فيه من أم كلثوم وبعث به الى المجلة ، التى نشرته تحت عنوان " بقلم الأستاذ الكبير صالح جودت " ...

ومنذ يومئذ ، لم ينقطع عن مراسلة هذه المجلة ، سواء بالشعر أو النثر ،

ومن هنا بدأ اتصاله بالصحافة الفنية والأدبية التى برع فيها وأجاد ...

xxxxxxxxxxxx

وفي المنصورة فى الفترة (١٩٢٧ - ١٩٣١) كانت المنصورة خميلة شعرية جميلة

يفنى فيها شاعر الأطلال ، ناجى ، وشاعر الجندول على محمود طه ، وشاعر

الأمراف الهشوى

وكان هؤلاء الشعراء يجلسون على شاطئ النيل بالليل يسمرمون فى شتى ألوان

الأدب واللسن والجمال

وكان الأربعة يحلوا لهم الالتقاء عند "مخزرة الملتقى" ويستوحون منها
أجمل الشعر وأعذبه ...

ومن المنصورة بدأ صالح جودت يتصل بمحف ومجلات القاهرة وتلورت اتجاهاته
الشعرية في تلك الحقبة ، فقد بدأ يتجه شعر الحب والغزل ببداية فيسه
أيما ابداع .

وكان الشعراء الأربعة تجمعهم أواصر الشعر وشائج الشباب وعبادة الجمال
وروح الثورة على القديم .

وفي المنصورة بدأ الحب يتسلل الى قلبه ... فأحب ملكة جمال المنصورة
حينئذ واستوحى منها عدة قصائد غزلية منها قصيدته " تسورى " التي
يقول فيها :

قللت لها تصورى	بافتنة المصور
تصورى حكايتى	فى حبك المحيّر
حكاية كأنها	خرافة المعمر

وصالح جودت هو ابن المنصورة ، فقد تفتح شبابه الغض على ضفافها الفيح
وعرف بين ربوعها هذا الحب العاصف المزلزل الذى أوحى اليه بأعذب أشعاره ...
وأنجز شاعرا دراسته الثانوية وانتهت أيام المنصورة الحلوة واتجه
الشعراء الأربعة الى القاهرة فى عام واحد ، هو عام ١٩٣١م كل الى وظيفته ودراسته .
ودع صالح جودت المنصورة وفي قلبه حرات على فراق مهد المبا ومدينة
الحب والجمال والشعر والخيال .

ودعها بقلب مشوب يتحسر على لياليها الشاعرية الساحرة :

آه مما بى ، وهل تدرين مابى	يوم ودعتك ودمت شبابى
أين أحلامي على تلك الروابى	ذابت الأحلام فى قلبى المذاب

ويسترجع ذكريات الجمال فى مدينة الحسن والجمال حينما كان ينتهب بعينيه

شوارد الحسن على فطافها الخضر :

مادعما لحنى ولاغنى نشيــــدى
غير فاداتك فى الخطو الوثيــــد
حين يخطرن على النيل السعيــــد
بالوجوه السمح كالنور المــــذاب
يتهادين بمعسول الدعــــاب
آه مما هى وهل تدرين ما بهــــى
يوم ودمتك ودمت شبا بهــــى

ثم يودع محبوبته فيها ، فيقول :

لى حبيب فيه أدييه بعمــــرى
سفرة النيل على خديه تجرى
هو الهامى وأحلامى وشــــرى
ونعيمى بين عينيه وسكــــرى
كان عند الليلة الظلماء بســــدى
وله نجوى فى دنيا اغترابــــى
ياترى يذكرنى بعد الغيــــاب؟

وظل شاعرنا يحمل لمدينة المنصورة أجمل الذكريات وأطيبها طيلة حياته ، المدينة
التي راق فيها رحيق الحب والوصال وتشربت روحه من جمالها عبادة الحسن
والجمال .

" مع جماعة أبوللو "

التحق صالح جودت بكلية التجارة جامعة القاهرة عام ١٩٣١م ، وفي هذه الفترة قامت جمعية " أبوللو " عام ١٩٣٢م برئاسة أمير الشعراء أحمد شوقي والدكتور أحمد زكي أبو شادي .

وينضم الـركب القادم من المنصورة الى تلك الجمعية وهكذا التفوا حول رسالة أبوللو .

ووجد صالح جودت نفسه وهو دون العشرين ، عضوا بمجلس ادارة الجمعية ، فمثلا للشباب ، يجالس كبار الشعراء والأدباء ...

ثم نسبت المعركة بين مدرستي شوقي والعقاد ، فيهب صالح جودت مدافعاً عن شوقي ، مهاجماً خصومه بعنف وقوة .

وتشهد صفحات أبوللو قصائد الشاعر الشاب العاشق وتدور حول الحسب والغزل والحسيرة والقلق ...

في عدد أول ابريل عام ١٩٣٣م يجد له قصيدة غزلية رقيقة لم يتجاوز العشرين بعد بعنوان " الشارد " يقول فيها : (١)

أيها الشارد من وكسر الهيموى
قد عفا من بعدك القليب وذاب
كنت لا أشهد الا نغمرة
فاذا النغمرة قد أمست يبساب
كنت لا أسمع الا بلببلا
فاذا الشادي على الأبيك فـراب
كنت لا أشرب الا خمرة

(١) أبوللو / ابريل ١٩٣٣م / ص : ٨٨٢ .

فى كئوس قد ملئن اليوم صاب
كنت لى ياتاركى فى لوعتى
أنت والألحان والكأس وطــــلاب

XXXXXXXXXX

لست أنسى فى حياتى ليلــــة
أنمفتنا بعد ما طال الغيــــاب
قربت منا فما نحو فــــم
وتقفت بين لــــوم ومتــــاب
وسكون الليل أذكى شجونــــا
وظلام الليل مسدول النقباب

XXXXXXXXXX

لك شعر ذهبى ساحر
ضاع فى موجاته قلبى ودا
لك خدان تبعدت فيهمــــا
حمرة تنساب من قلبى المذاب
والعيون الزرق من فوئهمــــا
رائحات غاديات كالسحاب
حين قالوا ان آلام الفتــــى
ليس يفنيها من الدهر الذهباب
خفت هذا العيش أن يمضى بنــــا
أو بعيد الشيب أهوال الشبــــاب
مشفقنا بالصب من الآمــــه
أن يفيح العمر فى هذا العــــذاب

ومن نفس الملهمة صاحبة " العيون الزرق والشعر الذهب " وكانت ممثلة
جهيرة أحبها أكثر من شاعر وأديب منهم ناجى وأحمد عبدالمجيد وأحمد راسم

استلهم صالح جودت قصيدة أخرى بعنوان " العيون الزرق " نشرت في أبوللو
يقول فيها : (١)

عين من يهواك تشتاق الكسرى
قلب من يهواك يشدو بالحنين
هل رأيت الدمع من عيني جرى
هل سمعت القلب موصول الانيين

XXXXXXXXXXXX

يا شقيق الزهر والطير... اما
سألت نفسك مني أخويك
أنا في روفك أروييه بماء
فأش من دمعي مدى العمر عليك

XXXXXXXXXXXX

أزرع الآمال في روف هـواك
وأرويها بدمعي ودمعي
فإذا ما عدت ألبيت نـواك
في ثنايا الروف بيني ما تعني ؟

XXXXXXXXXXXX

أيها الهاجر من غير سبب
لو نجاني أنا راض بجفـسك
العيون الزرق والشعر الذهب
الجانى يا حبيبى لهـواك

وفي تلك الحقبة كان يعاني - كشاب في مطالع العمر - من الحيرة ،
والقلق والشك في كل شيء وعكس تلك الأحاسيس والانفعالات في عدة قصائد منها

(١) أبوللو / سبتمبر ١٩٢٣م / ص : ٦٠ .

قصيدة " على الرمس " التي يقول في مطلعها :

قمت في الليل أناجى مفعجك
ليتنى في الرمس أمسيت معك

وقصيدة " أكلوبة الموت " التي يقول في مطلعها : (١)

قد حرت في الموت وفي أمره
ومازواه الله من سره

وتبلغ ذروة الشك والتمرد في نفسه في مطولة بعنوان " الراهب المتمرد " (٢)
استخدم فيها الشاعر الأسطورة Math والرمز الفني في إبراز فكرته وهي
عبارة من حوار فلسفي طويل في دير بين راهب متمرد شك في جوف الغلالة
وبين كاهن الدير الذي يناقشه ويرد عليه ويحاول اقناعه .

وكان هذا الشك من الشاعر الشاب وهذا التمرد على كل شيء باعشاً
على حملة ضارية من الشيوخ ، فهجر شاعرنا الشعر حيناً ، ولكنه سرعان
ماعاد يغرد مرة أخرى ، عاد اليه هذه المرة بعد أن ازدادت قراءاته ،
وتعمق فيما يقرأ ، ولاسيما في أدب التصوف والمتصوفين ، فعاد الى الله
قوى الايمان ، مفرطاً في الحب لذاته ، رغم فلسفته القائلة بعبادة صور الحسن
وبدائح الجمال للتقرب من الله ...

وفي عام ١٩٣٤م نشر شاعرنا عدة قصائد عاطفية منها قصيدته
" رمس الهوى " في فبراير (ص ٤٩٣) وفي نفس العدد قصيدة ماضية
(ص ٥٠٣) وفي عدد أول ابريل قصيدة " القصيدة الأخيرة " (ص ٦٨٥) .
وكتب الدكتور ابراهيم ناجي يقول عن صالح جودت بعد الحملة العنيفة التي
تعرض لها بسبب جراته (٣) .

(١) أبوللو / ص : ١٢٥ / أكتوبر ١٩٣٣م .

(٢) أبوللو / ديسمبر ١٩٣٣م / ص : ٢٩٣ - ٣٠٣ .

(٣) أبوللو / ديسمبر ١٩٣٣م / ص : ٣٠٣ .

" صالح جودت هو أحد الشعراء المجددين الجزئيين ، الذين لا يبالون في سبيل الحرية الفكرية بأى حقة ولا حائل ، وهو لذلك ماضى إلى الأمام دائماً ، مفترداً التقدم .

" وعقله الخصب ، ونهوفه الوافر ، كفيلاً بأن يظما له سبقاً وتجليه في الميدان الذى اختاره لمواهبه الكبيرة " .

XXXXXXXXXXXX

ديوان صالح جودت :

صدر أول ديوان لشاعرنا في بداية عام ١٩٣٤م وهو لم يتجاوز الحادية والعشرين من عمره بعنوان " ديوان صالح جودت " .

وكان تجربة أدبية مبدعة استقبلها النقاد بحرارة وحماس ...

وقد تميز شعر هذا الديوان بالموسيقى الهامة وحلاوة الجرس والطلاوة ويحتوى على قصائد مغمونها يغلب عليه روح التمرد والشك والتساؤل والحيرة لشاب فى عنوان تفتحه وما يدور فى النفس من هواجس وتساؤلات كما يشتمل على قصائد ماطلية ملتبهة يبلغ فيها أقصى غايات الابداع والعدوية .

وقد كتب الشاعر الدكتور أحمد زكى أبو شادى مقدمة للديوان أشاد فيها بالشاعر الشاب وبين نواحي الابداع والتجديد فى شعره وأصالته المتميزة ، فقال عنه : (١)

" ان صالح جودت بفطرته شاعر فنائى حساس ، حلو العبارة ، فيسافى العاطفة ، جياش بالمعانى العذبة الرقيقة ولكنه الى جانب ذلك الشاعر الوطنى والشاعر الفلسفى حينما تشيره ظروف خاصة فترى فى ذلك الشعر الحيرة والاضطراب والآمال والآلام المتغلغلة فى مشاعر هذا الجيل " .

(١) ديوان صالح جودت / مقدمة أبو شادى .

كان هذا رأى الدكتور أبو شادى فى شاعريته صالح جسودت وقد تبين
منذ تلك الحقبه اتجاهات صالح جودت الذى جمع فيما بعد بين
العاطفيه والوطنيه فى مزاج جميل خاص .

وقد أهدى شاعرنا الديوان الى ملهمته الأولى صاحبه
" العيون الزرق والشعر الذهب " .

وقد كان هذا الديوان بمثابة مولد شاعر جديد له أشعره
المتميز فى تطور شعرنا العربى المعاصر .

" ملامح شخصيته "

من أبرز ملامح شخصية صالح جودت المدق والمراحة والوضوح . هذه الصفات كانت هي السبب المباشر في كثرة معاركه ومساجلاته الأدبية ... وقد صور مشاعره وعواطفه وأحاسيسه في شعره بصورة نابضة بالصدق والمراحة وأبرز هواجس نفسه ومايعتمل فيها من صور الهوى والهدى بصورة صريحة .

وقد سافر صالح جودت الى كثير من بلدان العالم ، فقد أحب السياحة والرحلة وقد كان لهذه الرحلات والأسفار زاد نفيس أمد أدبه بفيض جديد من المشاعر والأحاسيس وكان من نتاج ذلك كتابه في أدب الرحلات " قلم طائر " .

وهو عاشق مفتون بهيم بالحسن وألوان الجمال لأنه جذوة من الوجدان .

ونفيسته مشرقة واضحة تلمس ملامحها في أشعاره التي رسم فيها صورة لنفسه والكاره ومشاعره .

XXXXXXXXXXXX

قرأ صالح جودت في صباه وبغامته الكثير من أمهات كتب الأدب العربي القديم مثل الأفانسي ومقامات الحريري ودواوين المتنبى والبحتري والشريف الرضي وفي الحديث والشوقيات التي وحفظها من ظهر قلب .

وفي فترة المنصورة (١٩٢٧ - ١٩٣١) استوعب مع رفاته شعر شيلسي وكيتس ووردز ورث وبايرون وفتن بشعرهم وأغرم في بداية حياته الأدبية بشعر الطبيعة في الأدب الانجليزي والأدب الفرنسي واستهواه بصفة خاصة الشعر الرومانسي واستوعبه ثم أصبحت الرومانسية من أظهر سمات شعره .

فهو شاعر رومانسي حالم مجنح يتغنى بالحب والجمال ويعبر عما يجيش بنفسه بمدق وحرارة .

XXXXXXXXXXXX

- ٩٧ -

وقد نال صالح جودت بكالوريوس كلية التجارة عام ١٩٣٧م ثم تفرغ
بالمجستير عام ١٩٤٩م وكان أول دبلومه وكانت رسالته بعنوان
" الدولة المثالية في الاسلام " .

وقد عمل فترة في الديوان الاقتصادي ببنك مصر ثم مال به
أن تفرغ للأدب والشعر والمحاكاة الأدبية والفنية والسياسية .

" شاعر الحب والجمال "

لاشك أن شعر صالح جودت العاطفى نسيج وحده فى شعرنا العربى المعاصر، فهو منفرد بأصالة خاصة وسمات معينة وقد وصل الى ذروة الكمال الفنى فى السنوات الأخيرة ...

وقد صور صالح جودت مشاعره وأحلامه وعواطفه فى شعره أعمق تصوير وأصدق رسم خفقات قلبه وأهواءه بأمانة وحرارة وصدق ، فبرز شعره رقيقا شجيما ... وقد طرق شاعرنا موضوعات لم يسبقه قبله شاعر فى طرقها وأبداع صورها جديدة ولريضة هى شروة فى قاموس الوجدان فى شعرنا العربى المعاصر ، فاتسم شعره العاطفى بالبساطة والغنائية والصدق .

لقد أجاد شاعرنا التعبير العاطفى Emotional Expression فى شعره وأضاف لشعرنا العربى الكثير من المعانى والتعبيرات الجديدة المبتكرة ... من أجمل قصائده العاطفية وأرقها قصيدة " فى جزيرة معك ، التى تبيين رومانسية شاعرنا الحاملة وفيها يود لو غاب هو ولمهمته بعيدا عن الناس حيث النجوى والوصال بين الطبيعة الساخرة وفى جزيرة نائية ، فيناجيهما قائلا (١) :

ان تسلمنى يا حبيبى
أى حلم أشتهيه
فهو أن أنضى عملى
فى فراغ أنت فى
فمتى تأمرنى أن أتبعك
وأغنى فى جزيرة معك

ثم يصور لنا جوا عاطفيا مشحونا بالظلال والشامرية ، صور

(١) صالح جودت / حكاية قلب / ص : ٨٤ .

لنا فيه صورة شاعرية جميلة للشاء العاشقين وخطبات قلبين وهمسات روحيتين
بتناجيان :

أسأل الليل اذا الليل دننا
بدره المشرق أم بدرى أننا
المنى والسحر والعطر هنا
والهوى والكأس والليل لنا
وأننا بين يديــــــــــــــــك
أجتنى من شفتيــــــــــــــــك
رشفة منك اليــــــــــــــــك
وأسوى فوق صدري مضمــــــــــــــــك
وأفنى في جزيرة ... معــــــــــــــــك

ثم يواصل رسم اللوحة الشاعرية المبدعة في صور شعرية
متتابعة متناطقة :

العصافير التي توقظنا عند الصباح
والأزاهير التي تسكر أنفاس الرياح
والمزامير التي تهتف بالحب المباح
والمقادير التي تجهل ألوان الجراح
كل هذا الحسن يدعوني هنا
أى شيء لك في تلك الدنيا؟
لاتجيبها وأجب قلبى أنا
واسأل الأقدار بي أن تجمعــــــــك
لأفنى في جزيرة معــــــــك

ومن أجمل قصائده العاطفية قصيدة " الملك الأبىنى " التي يقول
فيها :

بإملاكي نشر الليل غلالات الظلام

- ١٠٠ -

فافتحى قلبك للأحلام والنجوم ونامسى
واتركينى فى اشتياق واحترامى ياغرامى
جئت أستشفى من الحب فضاعفت سقامسى
ثم يستشير قلبها لتعفو عنه وتعود اليه :

ياملاكى سامح طيشى ورقى لجنونسى
واغفرى الماضى ومايوحيه من سود الظنون
وارحمى فعلى اذا ماشئت ألا ترحمينسى
هل ترين اليوم الاك خيالاً فى ميونسى

XXXXXXXXXXXX

وهذه قصيدة من شعره الغزلى الرقيق ، وهى تعبير عن وجدان شاعرنا ،
وتصوير لأثر الحب فى نفسه وفيها تجديد فى الروح والمضمون وهى تعبير
عن تجربة عاطفية مع ملهمة يقول فيها : (١)

والضحى والغداك الذهب
والعيون الشهباء كالسحاب
ونجديك كأس العنب
وبنهديك حلو اللهب
قسم سنته من الكذب

XXXXXXXXXXXX

ذكريات اللقواء لم تنم
يقظت فى مهجتى ودمسى
مردات فى نظرتى وفمسى
فبحقى وحق إذا القسى

(١) الرسالة / ميعاد ليلة الأحسد / ١٩٤٠ .

هل تعيدنين ليلة الهرم ؟

ثم يصف ليلة الهرم التي سعد فيها مع محبوبته فـ
ظلال سيدنا أبو الهول :

ليلة كابتسامة القـ
كنت فيها أحلى من القـ
جمعتنا بجانب حـ
من أبى الهول ساخر النظـ
ليتلى مثل قلبه الحجـرى

XXXXXXXXXXXX

قد رأنا بطرف ملائتـه
تنقش العهد فوق رملتـه
بالجهل المبـا وفلتـه
وغرور الهوى وفللتـه

ثم يناديها ويناشدها الرحمة به وبقلبه المفتون :

علمى الرلق قلبك الغاسـى
ذكرى بن فؤادك النـاسـى
ملا الحـب بالفنـى كأسـى
فارتقى ساعـة باحـاسـى
أنا ماعدت غير أنفاسـى

" شعر الغزل الحسى "

صاغ صالح جسودت كثيرا من عواطفه وأحاسيسه بصدق ومراحة وبجانب ما أبدعه من شعر الحب والغزل العفيف نجد فى الجانب الآخر صورا شعرية جزئية أجاد فيها التعبير وعكس فيها التجربة الحسية / Sessuous expreience فجاءت أكثر صدقا وحرارة .

ولكنه رسم تلك الصور بلا ابتذال أو إسفاف ، فجاءت فى أسلوب جميل شفاف .

ان شاعرنا الرومانسى لجأ الى المرأة واتخذها ملاذا ومهربا من قسوة الواقع وهجير الحياة بجمالها وسحرها على ينسى أحزان روحه مثلما فعل الشاعر المدلل: اللورد بايرون .

فشاعرنا دائما كان يشكو الظمأ الى حنان المرأة وحبها ، ويود لو أصبَح ملاحا فى بحار الحب والجمال ، ليرتوى بعد ظمأ ...

ان قميدة " ظمآن " التى كتبها وهو لم يتجاوز الحادية والعشرين من عمره تنفخ عن نفسية محبة عاشقة للحسن والجمال يقول فيها : (١)

أجل ظمآن ياليلى وماء الحب فى نهرك
خدينى فى ذراعيك وضمينى الى صدرك
دمينى أشرب النور الذى ينساب من شعرك
وروى لهفة الظمآن بالقبلة من شعرك
هبى لى ليلة أشمل بياليلى من خمسرك
تقولين : جمعت السحر بياظمآن فى شعرك
وأنت قميدتى الكبرى وهذا الشعر من سحرك
أيا ليلى رأيت القلب لايسام من ذكرك

خبال أنت في فكري نهلا جلت في فـكـرك
كأن راهب الفتنة يستشهد في ديسرك
وقد يشرك بالله ، وبالفتنة لايشـسـرك
على أنى عرفت الله لكن حرت في أمـرك
أجل ظمآن يالهيلى وماء الحب في نهـرك

XXXXXXXXXXXXX

ومن تصائد الغزل الحسى قصيدة " ليلة الوداع " وهى تلمح عن مدى ولهة
لجمال المرأة وفتنتها ، يقول فيها : (١)

أسرعى الآن أسرعى
فك وقت التمتع
لم تعد فير ليالىة
من فرام مودع
كنت بشرى وجئت
ومراحمى ومرتمى
كم على صدرك الحنون
توسدت مفعمى
وعلى ثغرك الحبيبى
تخسرت موضعى
وحوالى فرجتى
وحوالىك أذرعى
أن تكونى بهيىة
من عيونى وأدمعى
فالهوى ملء عرفتى
والجوى ملء أفلى

ويصور فلسفته في الغزل ، وأبيقوريته المنشية المبتهجة بالحياة ،
فيرد على منتقديه بقوله : (١)

ومادروا أن الهوى رحلــــــــــــــــة
فسي رورق الله اللى الشاطئــــــــــــــــة
الى جنان الله فى أرضــــــــــــــــة
الى جناها العاطر الدافئــــــــــــــــة
الى صلالة فى محاربــــــــــــــــة
وخلوة فى دبرها الهــــــــــــــــة
الى صيام من جمال الدنــــــــــــــــة
الاك فى عش الهوى الهانــــــــــــــــة

XXXXXXXXXXXX

ان شعر الغزل الحسى عند صالح جودت شعر صادق أصيل ، لأنه كان وليــــــــــــــــد
تجربة شعورية صادقة امتزجت فيها الأفكار بالعاطفة ، وخرجت الى العاطفة
الانسانية الرحبة وقد صور لنا مشاعره وأحاسيسه وعواطفه بحرارة ومــــــــــــــــدق
مما أضاف ثروة لشعر العاطفة والوجدان فى أدبنا العربى المعاصر.

" شاعر النيل والنخيل "

من أبرز ملامح شخصية شاعرنا وطنيته وحبه لمصر منذ مطلع شبابه المبكر...
وقد جمع في شعره الحب والوطنية في مزاج حميل فهو يعد "شاعر الحبيب
والوطنية" .

وقد سار شاعرنا يجمع بين الاتجاه الداتى العاطفى والاتجاه الوطنى
القومى .

وقد أبدع شاعرنا الكثير من القصائد القومية عبر فيها عن الأحداث الوطنية
والقومية في تعبير فنى عميق لا يعتمد على ضحب الألفاظ وضجيج الكلمات
بل يعبر في موضوعية وعمق عن تلك الموضوعات في شعر مهموس رقيق .

ولشاعرنا مواقف مشرفة في مواجهة الفساد والطغيان والانجليز في فترة
مقابل ثورة ٢٣ يوليو عام ١٩٥٢م .

نشر قصيدة بعنوان " أخرجوا من بلادنا " قبيل ثورة ١٩٥٢م وهى صرخة قوية
في وجه الاستعمار ليرحل عن مصر والا سفيناه كثوس الصاب والعلقم والهلاك :

أخرجوا من قناتنا فهى منا	والينسا وبالجلاء تحسل
ان رفيتم به خرجتم كراما	أو أبيتم فشم روع وويسل
أخرجوا من بلادنا واتركونا	واحملوا جندكم من النيل واجلوا

XXXXXXXXXXXXXXXX

وفي شعره القومى حين يتحدث عن مصر يتحدث من خلال مواطن الحسن والجمال فى
ربوعها ، فهو حب عاشق مفتون بكل بقعة من بقاعها والاشادة بفتنتها وسحرها
الأخاذ ...

وفي قصيدة " ليالى الهرم " تتجلى خصائص " شاعر الحب والوطنية " بأحلى
مورها وأدهسا ...

فهو هنا يرسم لوحة شعرية جميلة لبقعة من أجمل بقاع مصر تجمع بين
حضارة الماضي التليد وعبقها وعطورها ومن بعيد تظهر مصر الحاضر بكل مافيها
من حضارة وتقدم انه هنا يرسم صورة حية Living image لنجوى
عاشق رومانسى لمحبهته فى ظلال الهرم ويستعيد معها أمجاد مصر التليدة
وعظمتها الغابرة : (١)

ياحبيبي نامت الشمس وراى الهــــــــــــم
وتهادى القمر النشوان بين الظلم
ملكا يختال تيهها فوق عرش الأنجم
وينادى كل لهفان الى الحب ظمى
xxxxxxxx
ها هنا مهد أبى الهول هنا
كاثم الأسرار من عهد منا
هيا الأحلام والنجوى لنا
xxxxxxxx
عبقري الصمت منذ القــــــــــــدم
فتمتع بليالى الهــــــــــــم

ثم يحث محبته فى ظلال أبى الهول بأمجاد مصر وحضارتها الغابرة وكيف كانت
مصر على مر العصور والأجيال مقبرة للغزاة :

ياحبيبي هذه الربوة لغز العالميين
رقية من سحر فرعون لصيد الفاتحين
أين قمبيز وأنطونيو وركب الواهميين؟
أين نابليون؟ هل رده مرفوع الجبين؟
xxxxxxxx
هذه القمة أم القــــــــــــم
كم طوت ثورتها من أمــــــــم
وشدا النيل بحلو النــــــــــــم

- ١٠٧ -

زالت الأملام إلا علمسى
فتمتع بليالى الهرم

ثم يحدث محبوبته عن سحر مصر وجمالها فى صورة شعرية جميلة نلمس
فيها نظرة العاشق المفتون بمواطن الفتنة والجمال فى وطنه ومراح السحر
والخيال فى ليالى القاهرة :

ياحبيبي هذه أمجاد مصر الساحرة
كل روح خطرت فوق رباها شاعرة
قف على الربوة فى ضوء النجوم الساهرة
وتأمل فتنة النيل وسحر القاهرة

وسنى البدر على الوادى يميل
والها يلعب فى شعر النخيل
راقصا فى مسرح الموج الجميل
شعاع شاعرى ملهم
فتمتع بليالى الهرم

ان قصيدة "لياى الهرم" تعبر عن اتجاهات صالح جودت الفنية والوجدانية
والروحية أصدق تمثيل وأعمق وهى تمثل اتجاهه الفنى فى الجمع بين الحسب
والوطنية والغزل فى عبادة الحسن وعبادة الوطن وهذا مادعانى الى تسمية
" شاعر لياى الهرم " و " شاعر النيل والنخيل " .

xxxxxxxxxxxx

وقد صدرت لشاعرنا ستة دواوين شعرية تمثل التطور الورحى والوجدانى
والفنى لشاعرنا أروع تمثيل وأدق .

فى صدر شبابه كان شاعرا رومانسيا مجنما ، وقد سيطرت عليه فى فورة الشباب
روح التساؤل والشك والحيرة والتمرد ثم روح الحزن والكآبة والتبرم بالواقع
والقيود والأغلال التى تحد من حركته .

ثم انطلق شاعرنا انطلاقا خلاقة وحطم قيوده وأغلاله واندفع ينهل من مفاتن

الحياة أجمل مافيهها ويغنى لها أجمل أغاريدده وأعذبها وفتح قلبه للحياة والنور
والحسب ...

وشعر صالح جودت منذ محاولاته الأولى كان شعرا غنائيا وجدانيا رقيقا سواء كان
الوجدان ذاتيا أم جماعيا أم قوميا وقد عكس في هذا الشعر أشواق روحه وترانيم
وجدانه .

وقد صدر أول ديوان للشاعر عام ١٩٣٤م وهو لم يتجاوز الحادية والعشرين
من عمره باسم " ديوان صالح جودت " ثم مدر له ديوان " ليالى الهرم " عام ١٩٥٧م
وديوان " أغنيات على النيبيل " عام ١٩٦٢م وديوان " حكاية قلب " عام ١٩٦٥م ، ثم
ديوان " ألحان مصرية " عام ١٩٦٨م الذى يجمع بين الشعر العاطفى والشعر الوطنى .
و " الله والنيبل والحسب " عام ١٩٧٥م .

تلك هى دواوين شاعرنا التى تمثل تطوره الروحى والغنى أصدق تمثيل وأعمقه
منذ عهد أبوللو (١٩٣٢ - ١٩٣٤) .

ان صالح جودت فنان أصيل فى إخلاصه ومذوبة أسلوبه ووحدة بنائه الفنى
فى شعره والتجديد فى شعر الحب والغزل وطرافة صورته الشعرية .

لقد جدد فى الشعر شكلا مفرنا فى الألفاظ والمعانى والأخيلة والمصور .

لقد أبدع لنا أجمل أغاريدده وأعذبها فى الحب والغزل ورسم لنا صورا فنية
مبدعة رسمتها ريشة فنان صادق أصيل يغنى للحب والجمال والوطنية .

" شاعر غنائى حسي لعروب "

يقول الدكتور محمد مندور عن صالح جودت : (١)

" صالح جودت شاعر غنائى حسي لعروب .

ولعلنا نستطيع أن نعيّن هذه الخصائص بسهولة في الجزء الخاص بالعاطفة فر ديوانه " ليالى الهرم " الذى يمثل مرحلة نضجة ، فهو يضم ما قال من شعر منذ سنة ١٩٣٢م حتى ١٩٥٨م ، بينما ديوانه الأول لا يضم الا ما قال من شعر قبل العشرين من عمره ، وان يكن ذلك الديوان الأول قد أشار زبيدة عنيفة من النقد الذى قام به المحافظون من رجال الأزهر الشريف بسبب قصيدة الراهب المتمرد والذى صور فيها راهبا يتمرد على الدين جريا وراء لذات الحس ، وهذا التيار أميل في طبيعته صالح جودت الذى لا يحجم في ديوانه ليالى الهرم عن أن ينظم قصيدة باسم " دين جديد " هو دين الحب المعربد وفيها يقص قصة عابثة من نوع قصص عمر بن أبى ربيعة فى الحجاز وحول مناسكه .

" وصالح جودت يحدثنا في استخفاف شعري كيف طارد فتاة من أرز لبنان ذاهبة

الى الكنيسة حيث " نحاها ركنا من الدير هادئا " ليقلها فيه .

ولغانية من أرز لبنان فضة
صليبية الأهواء ليس تليين

" ولقد يقول البعض ان في هذا الشعر مجونا وعبثا بالمقدسات ، ولكننا في الحق لانراه يتجاوز المجون الكثير من قصائد الغزل التى يقص بها الشعر العربى القديم منذ امرئ القيس صاحب :

اذا ما بكى من خلطها التفت له بشق وتحتى شقها لم يحول

حتى عمر بن أبى ربيعة الذى كان يتمرد الحسان في مناسك الحج ، ولا يتورع عن

أن يشب تشبيها سافرا بشريفات المسلمات .

(١) الدكتور محمد مندور / الشعر المصرى بعد شوقي / ص : ٥٢ : الحلقة الثالثة
الثالثة .

" ونحن لانحس بعد ذلك في مجون صالح جودت فخورا :

" بل نحس خفة ودعابة ينطبق عليها ما وصفه نفسه عندما اختتم مقدمته لديوان " ليالى الهرم " بقوليه : وأحس أن الروح المصرية هي أهم خصائص هذا الشاعر الذى حدثتك عنه " أى صالح جودت نفسه .

" وان تكن الحسية طاغية على ما يسميه صالح جودت في ديوانه شعر العاطفة ، وهذه الحسية قد تمييب شعره بالسطحية أحيانا ولكنها لاتفقد قط تلك الأناقة الأميلة في شعر صالح ، وفي شخصه على السواء كما أن روحه الخفيفة المرحة ودعابته المجنحة تخفف من تلك الحسية فلا نرى فيها فجورا ولا تهالكا حتى عندما يوغسل في تلك الحسية مثل تصيدته من رقصة الساميين :

ودقت نغمة الجازبند ايذانا بما تملئ

وهل تملئ سوى الرغبة في شورتها تغلى

حتى :
كجـزءين حبيبين قد ارتدا الى الكل

" ثم يقول مندور من صالح جودت :

" وأما أنه شاعر عابث لعوب يشف عن روح الصالونات المصرية (١) ، وما يجرى فيها من دعابات غزلية عابثة فباستطاعتنا أن نجد لذلك أكثر من شاهد فـلى " ليالى الهرم " مثل تصيدته " ما اسمك " (ص ٤٩) .

يافتنتنى ياغرامسى ما اسمك بين الأسمى

فاسمك أطسى الأسمى ان قلت أم لم تقولسى

.....

لتبعثنى فى خيالىسى انسى اسميك ليالىسى

كم عذبته الليالىسى ذكرى شهيد فـرامسى

فاسمك أطسى الأسمى ان قلت أم لم تقولسى
حتى :

" حيث يرد على سمعها عدة أسماء مثل : نجوى وسلوى ورضوى وفدوى ونورا ، وفى النهاية يسميها روحى ويبلغ به العبت وشيظفه أهل الحضر من المصريين حسده فى القصيدة التى يسميها " تسورى " أى تصورى " بعد ترقيق الصاد كما كانت ترق قبل ببن شفتى الفتاة التى كان يغازلها :

وقلت لها تصورى بافتنة المصـور
تصورى حكايتى فى حبك المحيـر

"ومع ذلك فان هذا الشاعر الغنائى الطروب صاحب تسورى لا يلبث أن يتقلب الى شاعر انساني عميق مشج عندما تضيق عليه الخناق تجارب الحياة فيصحو وجدانه الى ما فيها من آلام وما فى تلك الآلام من عمق ، وذلك نحو ما نحس من قصيدة فريضة له هى " نحو الأخيرة " التى نظمها على اثر مرض عضال ألقى به فى محنة العباسية حيث أحس باليأس والعناء عندما أوثك الداء أن يقهره ، ومن حوله مرفى من أمثاله يزيدون شعوره ببلواه حدة " .

" وكم يكون شيئا أن نقارن هذه القصيدة بقصيدة مماثلة للشاعر الكبير خليل مطران نظمها فى ظروف مماثلة وهى قصيدة " المساء " التى نظمها وهو عليل فى مكس الاسكندرية :

أد ألم فخلت فيه شقائقى
من صوتى فتفاعلت برحائلى

xxxxxxxxxx

ومنذ عام ١٩٧٤م بدأ المرض يشغل على صالح جودت الشاعر الطروب المحب للحياة ، والحب ، وكان غالبا يفتيق بأوامر الأطباء وتعليماتهم ، وسافر الى مستشفيات لندن فى أواخر عام ١٩٧٥م ، وظل يعاني من المرض العضال الذى قواه ، وأرهقه .
ومن أكثر المآسى فى حياته أنه عرف أن نهايته قريبة فى مطلع عام ١٩٧٦ حيث أطلعته الأطباء على حقيقة مرضه وهو فى لندن ، فأثر أن يكون موته على الأرض التى أحبها ومشتها : أرض مصر الخالدة ، ومالبت أن فارق الحياة فى ٢٢ يونية ١٩٧٦م عن عمر يناهز الرابعة والسنتين وترك زوجته تهكبه أحر البكاء لخلو صفاته وطيب شمائله

- ١١٢ -

مختارات

من شعر صالح جودت

- ١ - في جزيرة ... معك .
- ٢ - أغنية حبيب .

في جزيرة معك

ان تظننى يا حبيبى
أى حلم أشتهيه
فهو أن ألقى ممسرى
في فراغ أنت فيسه
فمتى تأمرنى أن أتبعك ؟
وأغنى في جزيرة معك ؟

xxxxxxxxxxxx

أسأل الليل إذا الليل دنسا
بدره المشرق أم بدرى أنا ؟
المنى والسحر والعطر هنا
والهوى والكأس والليل لنا
وأنا بين يديك
أجتنى من شفتيك
رشفة منك اليبس
وأسرى فوق صدرى مفاجئك
وأغنى ... في جزيرة معك

xxxxxxxxxxxx

العصافير التي توقظنا عند المباح
والأزاهير التي تسكر أنفاس الرياح
والمزامير التي تهتف بالحب المباح
والمقادير التي تجهل ألوان الجراح

كل هذا الحسن يدموك هنا
أى شيء لك فى تلك الدنيا ؟
لا تحبها وأجب قلبى أنسى
واسأل الأقدار بى أن تجمعك
لأغنى فى جزيرة معك

XXXXXXXXXXXX

يا حبيبى ضمنى يوما إذا كنت بقربى
تسمع اللحن الذى تعرفه أو تثار قلبى
انه باسمك بهشود .. وعلى حبك ينهبى
وبأحلامك يشجى .. وبالهامك يصبى

XXXXXXXXXXXX

ضمنى واسمع دعائى
فى صباحى ومسائى
لا تعذب كبريائى
ان أطفى أملى أن أمتعك
وأغنى ... فى جزيرة معك

أغنية حب

لن أناديك يا حبيب النداء لم لأدعو من لايلى دعائى ؟
كلما هزنى للقياك شوق صرخت لهفتى وثار ابائى

XXXXXXXXXXXX

يا عذابا هيهات منه هروبي أفتديه بقلبي المشبوب
كل يوم يمسر دون لقاء هو فى فيبنا نذير الغروب
وأنا مهجة تذوب حاننا فاتق الله فى حنان القلوب

XXXXXXXXXXXX

يا حبيبى ، ولاتزال حبيبى رغم خولى ، والحب رهن المغيب
آه لما دعا الهوى فالتقينا بعيون أشواقها من لهيب

XXXXXXXXXXXX

أسكرتنى عيناك نجوى وهمسا أسكرتنى ، وما تذوقت كأسا
بحديث يحرك القلب شجوا ولحافظ تحول الليل شمسا
وحنان معطر بالأمانى كيف أنسى عبيرة ، كيف أنسى ؟

XXXXXXXXXXXX

كيف أنسى جماله اذ دعانى ويداه على حانيتى حنان
وهلى راحتيه باقصة ورد تحمل الشوق والرضا والأمانى

XXXXXXXXXXXX

أى شيء يهبو اليه خيالى أنت حقت أجمل الأمسال
أنا من فرحتى بتربك أخشى نظرة الغدر فى عيون الليالى
لاتقل لى بعد اللقاء وداما بل سلاما الى اللقاء التالى

XXXXXXXXXXXX

كم رويت الهوى بدمعة فرجى كيف أرويه بعد هذا بجرجى ؟

- ١١٦ -

بعد حلم الهناء فى كل ليل وجميل الضياء فى كل صباح

XXXXXXXXXXXXXX

الهوى فاتنى على شاطئيه آه من ظالم آحن الييه
وأدارى مواطنى منه حتى لاأذل الدموع بين يدييه
ربليل بكيت منه فلمسا فاتنى ظالمى ما بكيت عليه

XXXXXXXXXXXXXX

يا حبيبى وأنت فرحة عمى
ومنى خاطرى ، وليلة قـدرى
ان مضى حيننا ، فقد ضاع شىء
منك ، أما أنا ، فقد ضاع عمى

على محمود طه

شاعر الجندول

(١٩٤٩-١٩٠١)

أيها المهاجر عن الملتقى
وأذبت القلب عدا وامتصاصا
أدرك التائه في بحر الهوى
قبل أن يقتله الموج صراما
وارع في الدنيا طريدا شاردا
منهضات رقعة الأرض اتساعا

(على محمود طه)

" شاعر من المنصورة "

في عام ١٨٤٠ تقريباً نزلت أسرة من بطون الجزيرة العربية الى مصر بغاية
الانعام فيها . ونزلت الأسرة ببلدة ديسط التي تقع على فرع دمياط بين المنصورة
وشربين وفيها أقامت فترة طويلة ثم انتقلت الأسرة من ديسط الى طلخا حيث ولد
محمود طه والد شاعرنا ، ثم انتقلت الأسرة بعد ذلك الى المنصورة فطاب عيشها
فيها وقد كان منزل الأسرة بطلخا منتدى العلماء والأدباء والمفكرين يلتقون فيها
وتدور أعلى الأسرار والأحاديث في مختلف فنون الأدب والثقافة .

وقد كانت هذه الأسرة تشتغل بالتجارة (تجارة المانيفاتورة) وكان محمود طه
رجلاً عصامياً لمحا طموحا عقل نفسه بالثقافة والدين ، فقرأ عشرات الكتب
الدينية والأدبية ، وكان يتردد على الندوة التي كانت تعقد بمنزل الأسرة حيث
تدور المناقشات والأسرار في أمور الدين والدنيا .

وعبرت السنوات وهو يزود نفسه بالعلم ، ويصقلها بالدين وتجتمع له من
قراءاته مكتبة ضخمة نفيسة .

ثم تزوج محمود طه من سيدة فاضلة هي ابنة " علي الهاكع " أحد كبار
المانيفاتورة بالمنصورة والذي كان متزوجاً من سيدة سورية الأصل تنتمي الى عائلة
" أبي سريية " وأشهرت هذه الزيجة خمسة أولاد وبنات .

كان محمود طه وسيماً هادئ الطبع دسم الأخلاق .

هذا هو محمود طه والد شاعرنا .

XXXXXXXXXXXX

كان ذلك في ٣ أغسطس عام ١٩٠١م . حين خرج علي محمود طه الى النور
في بيت الأسرة بحارة الشيخ الظاهر المتفرعة من شارع البزار بمدينة المنصورة
مهد الحب والجمال وكان علي محمود طه ثالث إخوته السبعة .

وشب علي من الطوق فالحقه والده بالكتاب فحفظ القرآن الكريم وجوده ثم

أن الحقه والده بمدرسة الرشاد الابتدائية فأظهر تفوقا ونجوا على أقرانه .
وتفتح وجدان الطفل الصغير وعقله على ما يسمع ويرى في الحجرة التي كانت
تعقد فيها الندوة الأسبوعية العامرة وأنس هذه الندوة فكان يجلس مصغيا بكل وجدانه
لما يدور فيها من مناقشات وأسما و مساحلات .

وكثيرا ما كان يقضى جانبنا من الليل وهو يستمع الى شاعر الربابة في أحسد
المقاهى بنشد ملحمة أبى زيد الهلالي وسيف بن دى سنن وعلى صغر سنه حفظ ملحمة
أبى زيد وكان كثيرًا ما ينشدها لأترابه فيفتنون لقدرته على انشادها بيسر
وسلاسة .

وقد ورث عن أبويه كثيرا من خلالهما

ورث عن أبينا حب العلم والمعرفة والدأب على القراءة والذاكرة القوية ، وقوة
البأس وكان أقرب أشقائه الى والده . وورث عن أمه انسانيتهما وعزيمتهما القوية
ورقة شمائلهما ...

وهكذا ولد بين عطور الفن والأدب والعلم والدين ...

xxxxxxxxxxxx

تفتح خياله على ضفاف المنصورة الفيحاء ، وعلى النيل والموج والشاطئ ،
وكانت ملاعبه بين تلك العروج الفيح فالتصقت كل هذه الصور والمشاهد في وجدانه
لتسيل شعرا رقيقا رائعا فيعا بعد .

وعبرت الأيام بالأسرة السعيدة في هنا ويسر .

وفي عام ١٩٠٨ مات والد على محمود طه في شرح الشباب وهو لم يتجاوز السابعة
والثلاثين من عمره وخلف وراءه أسرة كبيرة ولم يترك لأبنائه من متاع الدنيا
شيئا يذكر ...

كان أكبر أبنائه يبلغ من العمر اثني عشر عاما .

ورأى شاعرنا نفسه وكان قد بلغ من العمر سبعة أعوام فحسب بيتيما وبحرم من

أبيه وهو ما زال طفلا صغيرا

وكان ذلك مدعاة لطمع الكثيرين في الاستيلاء على أموال الأب الراحل ففصفت تجارته وأغلقت بل امتد طمع الطامعين وجشعهم الى حد الاستيلاء على المنزل الذى كانت الأسرة تقيم فيه .

وتحملت الأم هذه المحنة بصبر وشجاعة صادرة المثل وبحسن تدبيرها ورجاحة عقلها وثوة عزيمتها استعانت بايراد عقارين آلا اليها بالميراث لايمائل بأية حال المستوى الرفيع الذى كانوا يعيشونه فى كنف الأب الراحل .

فكانت وفاة الأب صدمة عنيفة للتلل الصغير المرهف ، فقد كان طفلا رقيقا حساسا هادئا ، ولعلها أذاقته ضروبا من الحرمان المبكر .

وأنجز شاعرنا دراسته الابتدائية بتفوق والتحق بمدرسة المنصورة الثانوية عام ١٩١٥م ولكن موت والده حال بينه وبين مواصلة دراسته فضلا عن كرهه للدراسة بها وعدم تقيده بمواردها ، فالتحق بمدرسة الفنون والصنائع ببولاق القاهرة . وأثناء دراسته الثانوية كثرت قراءاته وكان كثير الخلوة الى نفسه فى ظلال الطبيعة وجانب أمواج البحر .

وظهر اتجاهه العلمى ... فى تلك الحقبة ، فقد كان محبا للخلق والابتكار فقام بتصميم آلة طباعة بدائية استخدمها فى طبع بعض مؤلفات له من شعر وقصص .

xxxxxxxxxxxx

وشبت شاعرية على محود طمه على ربي المنصورة ، والمنصورة أرض طيبة ، تلهب الشعر والخيال ، وتنبت الجب والجمال .

وتفتح وجدان شاعرنا على جمالها ولكنه كان يعانى القلق والحيرة والحزن والكآبة لضروب الأحباط التى أصابته خاصة بعد وفاة والده .

وكتب فى تلك الحقبة الكثير من المقطوعات الشعرية الغرامية .

كانت تتسم بالسذاجة والسطحية ولكنها كانت تعد ارهاصات لموهبته وعبقريته الشعرية فيما بعد ...

- ١٢١ -

ولم يقتصر في تلك الحقبة على نظم الشعر بل كان يكتب بعض
القصص والمسرحيات يسكب فيها خلاصة ما في نفسه من مشاعر وأحاسيس
ولكن سرعان ما أعرض عن القصص واتجه صوب الشعر ببثه ذوب
قلبه وأحلام روحه .

وشعره في ذلك الطور شعر التقليد والمحاكاة لما كان
يقرؤه من شعر كبار الشعراء من القدماء والمحدثين .

" عاشق البحر والطبيعة "

فى تلك الحقبة فى حوالى عام ١٩١٧م كان شاعرنا يقضى جل وقته متنقلا بين الرياض والغناء ، مستظلا بأغصان الشجر الوارفة ، مرشادا البحيرات ، خاصة بحيرة المنزلة والبقعة الممتدة بينها وبين البحر الأبيض المتوسط ، حيث أكواخ أشوم الجميلة والتي تشرف على آثار قلعة مهدمة كان الشاعر كثيرًا ما يسبح فى البحيرة ويوفلون فى البحر وقد تعرض عدة مرات للغرق لولا لطف الله .

وهكذا شب شاعرنا على حب للطبيعة وللبحر حيث الخفرة اليانعة على شط البحيرة الزرقاء الهادئة وحيث الحقول الخضراء ...
وهكذا شب بين جمال الطبيعة وسحرها .

وقد استلهم شاعرنا فى تلك السن المبكرة عدة قصائد عن البحر يشبه يصف نفسه فيها بالملاح الذى يجوب البحار كالسندباد ويمطاد اللائىء من مجاهيل البحار وكانت تلك القصائد مفعمة بالخيالات والروى والأحلام .

وكان يحرص على اصطحاب رفاقه وينطلق الى القرى البعيدة بأطراف المنصورة بالقرب من البحيرة ، حيث تمتد الحقول وتنساب الجداول ، ويفوح عبير الأزهار ، فيمرح ويلهو ويجرى وراء أسراب الطيور بمرح وانطلاق .

وتنعكس كل هذه الصور الطليفة الباسمة فى وجدان الصبي المرهف الحس الرقيق الوجدان وشكب فى روحه من موسيقاها مابعث النشوة وأثار الخيال ونمى احساسه بالحرية والجمال .

وكان ينتهب بعينيه شوارد الحسن على ضفاف البحر .

ولقد عكس شاعرنا كل هذه الصور بعد أن كبر وعاد الى مسرح الذكريات

فقال :

انى لأذكر حقلنا ، ولهايها
أزهرن فى ظل لديه ورصف

ومراحنا بقرى الشمال وكوخنا
نلقى الخمائل بالخمائل حولنا
ذكرى الطفولة أنت وحدك للمبا
نكتاف أشار الطيور شواردنا
شاد هنا وهناك رنة مزهر
والنهر سلسال الخيرير كأنسه
تومى مدارى الريف والتمسى الربى
وتضيب الروح الظليل ومرباً

تحت العرائش فى ظلال السوف
متعانقات ، سافغات السوف
حلم يرفه عنه بالتشوييسف
بين النخيل على رمال السيف
وجه تالق من وراء نصييسف
قيشارة سحرية التعرييسف
نضرا وغنى بالغدير وطوفسى
للبن تحت أزهر وقطسوف

XXXXXXXXXXXX

كان على محمود طه فى صباح ويفاعته ذكيا لمأحا يتسم بالحبوية الدافقة
والشاعرية الملهمة .

وبداً يترنم بالشعر منذ صباح المبكر ...

ولد بدأت اتجاهاته الشعرية تتبلور وتتفتح معالم شخصيته الفنية وعموره
لم يتجاوز الرابعة عشرة ، وكان يلقى معارضة شديدة فى هذا الشأن من شقيقيه
الذين يكبرانه " عوض وعثمان " وذلك لخوفهما من أن تصرفه هذه الهواية
من اهتمامه بدراسته والتفرغ لها .

" في خضم الحياة "

في عام ١٩١٩م اتجه على محمود طه الى القاهرة ليلتحق بمدرسة الفنون
والصناعات (الفنون التطبيقية) بعد أن ترك دراسته الثانوية وكان يبلـغ
من العمر وقتئذ الثامنة عشرة .

وصادف تزوجه الى القاهرة اشتعال ثورة ١٩١٩م فعاشها وشارك في أحداثها ،
فتد كان على حداشته وطنيا مخلصا فكتب عدة قصائد يثير
حمية الثوار وحماستهم .

وأثناء دراسته بمدرسة الفنون والصناعات لم ينقطع عن قول الشعر .

وفي عام ١٩٢٤م حصل على دبلوم مدرسة الفنون والصناعات وعمره ثلاثة وعشرون
عاما ، وعمل أولامعمل مهندسا لمبانى تفتيش الشرق بالمنصورة ولم تستطع
وظيفته الحيلولة بين قراءاته وانتاجه ، فقد بدأ يرأسل صحف القاهرة
الأدبية وتنشر له انتاجه الأدبي في مكان حلى .

وبدأت الأسع تعرف اسم شاعر المنصورة ، على محمود طه ، وكان
يغلب على شعره في تلك الحقبة الكآبة والحزن لما كان يعانيه على محمود طه
ولتتـذ من اخفاق في الحب لفتاة جميلة تزوجت من غيره لضيـق
ذات يده ، فعبر عن أحاسيسه شعرا حزيننا قاتما ...

عنيد ضخرة الملتقى

وفيما بين سنة ١٩٢٧ و ١٩٣١م التقى جمع أربعة شعراء في المنصورة كما ذكرنا وهم على محمود طه و ابراهيم ناجي وصالح جودت والهمشري .
ولقد قضاوا أجمل الليالى على شاطئ النبل في حديث الشعر والفن والجمال .
وكانوا يؤثرون قراءة دواوين شعراء الرومانسية الموهوبين مثل شيللى وكيتسى وورد دورث وبايرون .

وكان يحلوا لهم الالتقاء عند " صخرة الملتقى " التى تقع فى مكان نساء بأطراف المنصورة ، واستوحى منها شاعر الحب ، ناجى قصيدة عاطفية واستوحى منها شاعر التأمل والحب على محمود طه ، قصيدة تأملية فلسفية فيها تصوير لأحزان شاعرنا الروحية وهى تفصح عن شاعر يمزقه القلق والحيرة والحزن . يقول فيها :

صحراء الحياة كم همت فيها	شارد الفكر تائه الخطوات
سرت فيها وحدى ، وقد حطم	المقدار فى جنح ليلها مشكاتى
ولكم أرمد الهجير جفونى	ورمتنى الحرور باللفحات
لم أجد لى فى واحة العيش ظلا	أو غديرا يببل حر لهاتى

ثم يصور نفسه فى صورة قاتمة فيقول :

أنا قيثارة جفتها الليالى	فى زوايا النسيان والغفلات
وأرثت أوتارها فهى تبكى	من شجها حبيسة النغمات
أنا طيف الماضى على صخرة	الأباد أستشرف الزمان الأتى

ويرسم صديق عمره الأستاذ أحمد حسن الزيات ملامح شخصية شاعرنا فى المنصورة فى تلك الحقبة فى مطالع العشرين ، فيقول :

" كان منطور الخلق ، مسجور العاطفة ، مسحور المخيلة ، لا ينشد غير الحب والابنشد غير الجمال ، ولا يطلب غير اللذة ، ولا يحسب الوجود الا قصيدة من

- ١٢٦ -

الغزل السماوى ينشدها الدهر ويرقص عليهما الفللك .

كان كالغراشة الجميلة الهائمة فى الحقول تحوم على الزهر ، وترف على
الماء ، وتخلق على العشب ، وتسقط على النور ، لا تكاد تعرف لها بغية فيسر
السبح ، ولالذة الا التنقل ، ثم تتبعته بعد ذلك فى أطواره وآثاره ، فاذا
الغراشة الهائمة على أرباض المنصورة تصبح الملاح التائه فى خضم
الحياة ، والأرواح الشاردة فى آفاق الوجود ، والأرواح والأشباح فى أطباق
اللانهاية ، واذا الشاعر الناشئ يغدو الشاعر المطلق تارة بجناح
الملك ، وتارة بجناح الشيطان ، يشق الغيب ، ويقتحم الأثير ،
ويصل السماء بالأرض ، ويجمع الملائكة والشياطين بالناس "

" مع جماعة أبوللو "

انضم شاعرنا الى جمعية أبوللو فور تأسيسها عام ١٩٢٢م وشهدت مجلة
أبوللو انتاجه الفنى

فنشر فيها قصيدتين هما : " ميلاد شاعر " و " فى مخدع مغنيصة " .
كما نشر مقالا بعنوان " شوئى الشاعر " .

وقد نشر أولا مطولة شعرية مزج فيها الأسطورة بمظاهر الطبيعة وفيها
تركيز على رسالة الشاعر فى الحياة والوجود ، ورسالة الحب والخير
والجمال يقول فيها : (١)

هبط الأرض كالمشاع السننى
بعمسا ساحر وقلب نبى
لمحة من أشعة الروح حلت
فى تجاليد هيكل بشبرى
ألهمت أصغريه من عالم الحكمة
والنور كل معنى سبرى
وحبته البيان ربا من السحر
به للعقول أمــــــاذب رى

ويصور لنا فى قصيدته " فى مخدع مغنية " جوا من الفتنة والسحر مع
امرأة فاتنة فى ساعة وصال معه وكيف دار الحوار بين نداء الحب ونظرته
المشالية يقول : (٢)

كشفت من جمالها كل خفاف

(١) أبوللو / المجلد الأول / ص : ٢٨٩ .

(٢) أبوللو / المجلد الأول / ص : ٧٢٧ .

واباحت لهـن مالا يـسـجـح
 معبد للجمال والسحر والفتنة
 يـفـدى لـقـدسـه ويـسـجـح
 نام فى بابـه العـزـيز " كـيـوبـيـسـد "
 ولكـن فى كـفـه العـفـتـسـجـح
 ان يـنـم فـالـحـيـاة شـدو ولـهـو
 أو يـنـبـه فـأـدمـع وجـسـجـح

ثم يقول :

هتفت بى تراك من أنت يا صـجـح ؟
 فقلت المعذب الملتـسـجـح
 شاعر الحب والجمال فـالـسـجـح
 ما عليه اذا أحب جنـسـجـح
 واحتوى رأس الحزين ذرا مـسـجـح
 ومرت على جبينى راج
 وأحست لـفـح اللـظـى من شـفـاه
 أحرقتهما الأنفاس والأثـسـجـح
 فعفت فى متابها كـيـفـالـم تـسـجـح
 بما برحت بك الأثـسـجـح
 ان أسأنا اليك فالـيـوم نـجـزـيـك
 بما ذقتـه رفا وسمـسـجـح
 ولك الليلة التى جمعتنـسـجـح
 فاعتنمها حتى يلوح العـبـسـجـح

ولكن شاعرنا تغلبه نظرتـه المـثـالـيـة الرـفـيـعة فى تلك الحـفـة فيكتفى مـن

الربيع بالشذى ومن الزهرة بعبيرها :

قلت حسبى من الربيع شـذاه
 ولعينى زهره اللـمـسـجـح
 نحن طير الخيال والحسـن روى
 كلنا فيه بلبل مـسـجـح

" الملاح التائه "

فى مايو ١٩٣٤م صدر الديوان الأول لشاعرنا بعنوان " الملاح التائه " ... صدر هذا الديوان وقد جاوز على طه الثانية والثلاثين من عمره وأرى أن هذا الديوان كان انعكاسا للمرحلة الرومانسية الأولى فى حياة شاعر الجندول وهى مرحلة المنصورة بما نحفل به من قلق وخيرة وشك وتمرد وحنين وكآبة وتأمل ...

ان على محمود طه فى هذا الديوان يفكر فى الحياة أكثر مما يشعر بها ويتأملها أكثر مما يحاول الاندماج فيها . وينحدر قصائده من تأملاته الطويلة فتحمل صفة ما فى التأمل من عناصر الجلال والهدوء ...

وقد أحدث مدبر الديوان أصداء واسعة ووجد فيه النقاد لونا جديدا من شعر التأمل الفكرى العميق .

واستقبله الدكتور طه حسين بترحاب وقال منحه : (١)

" ان شخصيته الفنية محبة إلئى حقا ، فيها عناصر تعجبنا كل الإعجاب وتكاد تفتننا وتستهويننا ، فيها خفة الروح ، وعذوبة النفس ، وفيها هـذه الحيرة العميقة ، الطويلة العريضة ، التى لا حد لها ، كأنها محيط لم يوجد على الأرض .

هذه الحيرة التى تصور الشاعر ملاحا تائها حقا ، التى تقذفه من شك الى شك ومن وهم الى وهم ، ومن خيال الى خيال ، التى لا تستقر به على حقيقة حتى تزعجه عنها ازماجا وتدفعه عنها دفعا ، وتقذفه الى حقيقة أخرى لا يكاد يدنو منها ويتبينها بعض الشيء حتى يراها أشد هولاً وأعظم نكرا ، واذا هرب يهرب منها ويجد فى الهرب " .

كان هذا هو استقبال طه حسين الحار لهذا الديوان الجديد .

xxxxxxxxxxxx

ولكن مادلالة تسمية شاعرنا بالملاح الثالثه ؟

وماصلة هذه التسمية بشاعريته وحياته ؟

ان نعتت على محمود طه لنفسه بالملاح الثالثه ظاهرة تشتمل بالأعماق الروحية
والنفسية لحياته وشاعريته .

أرى أن شاعرنا كان يعاني حيرة وقلقا ممزوجا بالرغبة فى الهرب من آلامه
الروحية - كشأن الرومانسيين - باللجوء لخمى الجمال والانغماس فى أبيقورية
مرحة منتشبة بالحياة لعله ينسى أحزان روحه فسبح شاعرنا فى بحار الحب
والجمال .

ويعبر عن بعض هذه المعانى فى قصيدته " الملاح الثالثه " فىقول : (١)

أيها الهاجر من الملتقى
وأذبت القلب صدا وامتناعا
وارع فى الأرض طريدا شاردا
منه ضاقت رقعة الأرض اتساعا
فزل فى الليل سراه ومضى
لا يرى فى أفق منه شعاعا

وهو دائما يهوى الفوص فى أعماق الحقيقة :

ملاح وادى النيل الا أنسه
أمرتته بالتيه السحيق بحار
أبدا يطوف حائرا بشرامسه
يرمى به أفق ، وتفتت ذفادار

xxxxxxxxxxxx

في هذا الديوان استوحى على محمود طه فكره وخباله أكبر مما استوحى
الحياة الواقعية وكان ذلك انعكاسا للطور الأول من حياته حتى الثلاثين ، وهي
تلك الحقيقة التي كانت حافلة بالتأمل والحيرة والرومانسية المطلقة بين رواه
المنصورة وطبيعتها الهادئة الجميلة ، التي تبعث على التأمل والفكر .
ومن أكثر فساتده تعبيراً عن أحزان قلبه وشعوره الحاد بالافتراق الروحى
هذه الأبيات التي تصور بهانى الخلق والحيرة والألم فى ظلال الطبيعة المتفتحة
المبتهجة :

ياصبح : ما للشمس غير مغيبة ؟
يايليل : ما للنجم غير مبيــــــــــــــــن
يانار : ما للنار بين جوانحى ؟
يانور : أين النور ملء جفونى
ذهب النهار بحيرتى وكأبتــــــــــــــــى
وأتى المساء بأدمعى وشجونى
حتى الطبيعة أفرقت وتامــــــــــــــــت
وتنكرت للهارب المسكين

xxxxxxxxxx

ولكن هذا العقل الذى برح به التأمل نجده غصبا مزهرا ملقاً بأجنحة
قوية فى سماء الفكر الشمرى الخالى فى قصيدة مبدمة هى " الله والشاعر " .
فى هذه القصيدة يتكلم الشاعر بلسان العالم ويرفع الى الله شكوى الخلق
للخالق ويشكو اليه ما يلهمه فى الحياة من بؤس وشقاء وألم ويسأله عن
سر الوجود وعن السبب فى كل هذا الشقاء وعن معنى الحياة ومعنى
الألم . ثم يرتفع بشكائاته وصيحاته الى فرب من الايمان الصوفى
المنقذ الحــــــــــــــــار .

ان لهذه القصيدة لونا منفردا فى شعرنا المعاصر ، فهى تتلــــــــــــــــوم
على فكرة منسجمة متماسكة ، وهى عمل فنى له كيان ومنطق عميق .

يقول فيها :

لاتفرغسى بأرض لاتفرغسى
من شبح تت الدجى عابى
ماهو الا آدمى شقى
سموه بين الناس بالشاعر

xxxxxxxxxx

ماأنا بالزارى ولا الحاقى
لكننى الشاكى شقاء البشر
أفنىست عمري فى الأسى الخالى
فجئت أستوحيك لطف القدر

ثم يتساءل عن عذابات البشر وبؤسهم فيقول

أفى سبيل العيش هذا المراع ؟
أم فى سبيل الخلد والأخيره
وهؤلاء البائسون الجياع
تطحنهم تلك الرحى الدائره؟

ثم يقول أن سر شقوته هو قلبه السامى للمثاليات :

يارب ماأشقتنى فى الوجود
الا بقلبي ليه لم يكن
فى المشى الأعلى وحب الخلود
حملته العبه الذى لم يهن

xxxxxxxxxx

خلفته قلبا رقيق الشفاف
يهيم بالنور ويهوى الجمال
حلت له النجوى ولذ الطواف
بعالم الحسن ودنيا الخيال

وتعنى هذه المطولة بعودة الشاعر الى الايمان الحسار المتكسد ،
وهى قصيدة من أعمق وأجمل ما نرى شعرنا العربى المعاصر .

يقول مؤرخ الأدب العربى الحديث المستشرق الألمانى بروكلمان عن ديوان
الملاح الثالثه (١) :

" يدين على محمود طه بالفضل للرومانسية الفرنسيسة فى القرن
التاسع مشر وهو الاتجاه الخيالى والفنى والقومى والعقلسى . فقد
تأثر بهذا الاتجاه وانتفع فى اطراد بما تأثر به فى خلق فن
قومى فى ديوانه " الملاح الثالثه " .

" الشاعر التصويرى "

كان على محمود طه من أمدق الشعراء التصويريين فى شعرنا المعاصر . وقد منحت الصور الشعرية شعره الجمال والأصالة .

اننا نراه فى شعره مصورا بارعا تنقل الينا ريشته من تلك الصور الخاطفة ، والخطرات اللامعة ، التى ومضت فرأها ، ونظرها فبهرته ، فاختلف منها ماشاء ، وقطف من ثمارها ماناله وقدمه لنا ، فكان شاعرا وصافا ، وفنانا بارعا صور لنا أجمل مارآه وانفعل به من مشاهد الطبيعة وصور الجمال .

لقد كان بارعا فى تصويره لاجساساته ومشاعره هى براعة المصور الماهر القدير والمتفنى المبدع الموهوب .

وهو بارع فى خلق الجو العام للقصيدا وابتكار الصورة الشعرية *poetic image* الأصلية بحيث يصبح الجو العام للقصيدا مليئا بالاشعاع والايحاء والفتنة وجمال الصور ، وتتسم الصور الشعرية لديه بأنها صور حية يرسم لنا هذه الصور الحية *Moving picture* فى قصيدته الرائعة " الجنود " وفيها تصوير شعرى رائع لنزهة لشاعرنا مع ملهمته فى جنود يختار به قنوات مدينة البندقية فى فينيسيا ، وكانت أنيسه فى نزهة الغروب حسنا ايطالية ، ذهبية الشعر ، شرقية السمات ، مرحة الأعطاف ، حلوة اللغات ومر بهما الجنود تحت جسر التهنيدات متجها نحو القنال الكبير :

ذهبي الشعر ، شرقى السمات

مرح الأعطاف ، حلو اللغات

كلما قلت له خذ قال هات

ياحبيب الروح ، يا أنس الحياة

ويتحسر على أحلام البحيرة الجميلة :

أين منى الآن أحلام البحيرة

- ١٣٥ -

وسماء كست الشطآن نفضره
منزلى منها على قمة صخره
ذات عين من معين الماء ثره
أين من عينى حاتيك المجالى
بأعروس البحر ، يحلم الخيال

وفى ذروة نشوته مع صاحبتة هناك ، يتلفت الى مصر فى لهفة :

قلت والنشوة تسرى فى لسانى
هاجت الذكرى ، فأين الهرمان؟
أين وادى البحر مداح المغانى
أين ماء النيل ؟ أين الشفتان؟

ثم يتلفت الى ملهمنته ويتمنى لو كان هذا اللقاء على صفحة النيل :

آه لو كنت معى نختبال مبره
بشراع تسبح الأنجم اشره
حيث يروى الموج وأرخم بنره
حلم ليل من ليالى كيلو باترة

XXXXXXXXXXXX

والمور الشعرية عند على محمود طه تتمف بالحيوية التى تجعلها تنبض

بالحرارة وهى غالباً تتمف بالخيال المجنح المبدع وهو يستخدم فى شعره الفؤء

واللون وهو يجيد توزيع الظلال والأضواء فى صورته الشعرية Poetic Imagery

ولقد أبدع بصفة خاصة فى قصائد الوصف الغنائى التى تمتاز بجانب

التصوير الشعرى على قسط كبير من النغم فتلك القصائد تتسم بالموسيقى

والتصوير ... انه يستخدم الموسيقى التصويرية التى تصاحب المشهد التعبيرى

فى قصيدته " ليالى كيلو باترا " يبلغ ذروة التصوير الشعرى

بريشته المبدعة فغلا عن الرقة الموسيقية فخلق لوحة شاعرية تتسم بالأصالة

والتلاؤم والجمال .

هذه عدة صور شعريّة للفتى الأسمر الجبهة كالخمرة " فى النور العذاب "
بالقول :

بإضفاف النبل بالله وبياض الروابى
هل رأيتن على النهر فتى غصن الأهباب
أسمر الجبهة كالخمرة فى النور المذاب
سأبحا فى زورق من صنع أحلام الشباب؟

ويرسم عدة صور مرحلة مبتهجة تساعد فى خلق جو الوصال والنجوى على
ملحة النيل فى الزورق الحالم بين شاعرنا المفتون وملهمته الساحرة
كيلو بائرا ، فالطبيعة كلها نشوى مرحلة تشارك المحبين أفراح قلبيهما ونشوتهما :

لينا خمر وأشواق تغنى حولنا
وشراع ساج فى النور يرمى ظلنا
كان فى الليل سكارى ، وأفانوا قبلنا
ليتهم قد عرفوا الحب فباتوا مثلنا

وينشر شاعرنا الكثير من الأضواء والألوان فى قصيدته من " القمر العاشق "
وهى تصوير دقيق لمشاعر الملاح التائه الظامئة المتعطشة لسحر المرأة
وجمالها ...

فى هذه القصيدة يبرز عنصر التشخيص واضحا ...

اذ يصور " القمر " بصورة انسان عاشق مفتون يحاول التسلل لمخضع
اللاتنة ذات الغلالة الرقيقة الناعمة تمت نافذتها المفتوحة فى ليالى
الميل الملمرة :

اذا ما طاف بالشرفة ضوء القمر المضى
ورف عليك مثل الحلم ، أو اشارة المعنى
وأنت ك على فراش الطهر ، كالزنبقة الوسنى

فمضى جسمك العارى وصونى ذلك الحسناسا

ثم يصور كيف تسلل هذا القمر العاشق المعتون لكى يقترب منها :

تحد من وراء الغيم ، حين رآك ، واستأنس
ومس الأرض فى رفق يشق رياضها الغنسا
محبته وما أعجب كيف أستلم الركنسا ؟
وكيف تصور الشوك ؟ وكيف تسلق الغنسا

ثم يرسم شاعرنا صورة لغبيرته وهو يشاهد القمر مع الفاتنة :

أغار ، أغار ان قبل هذا الثغر أو شنى
ولف النهدي فى لين وضم الجسد اللدنا
فان لضوئه قلبا وان لسحره جفنا
يميد الموجة العذراء من أغوارها وهنا

للقمر

ثم يلدن لنا هذه الصورة المتحركة

المعتون أمام سحر فاتنته :

وكم من ليلة لما دماه الشوق واستندنى
جنا الجبار بين يديك طفلا يشتكى الغنسا
أراد ، فلم ينل شغرا ورام ، فلم يصب حصنا
حوتك ذراعى ، رسما وأنت هويته فنسا

وفى صورة أخرى نرى لوحة تصور القمر العاشق حقودا غاضبا لاخفاقه
فى مواصلة قاتنته الساحرة فمضى بنظرتيه الغاضبة يطوى السهول على
مففى :

عصيت هواه فاستفري كأن بصدره حنسا
مضى بالنظرة الرعناء يطوى السهل والحزنا
يشير الليل أحقادا وصدر سحابه فغنسا
وماد الطفل جبارا يهز صراعه الكونسا

وفى صورهِ الشعريّة نرى التّجسيم والتّشخيص والتلوين فضلاً عن النغم
والعدويّة مما يجعله فنّان الصورة الشعريّة فى شعرنا العربيّ المعاصر
ولهُ الكثير من الشعر التصويريّ خاصّة فى الشعر الوصفى الغنّائى .

XXXXXXXXXXXX

هذا هو شاعر الجنّ دول ، على محمود طهه

الملاح التائه فى بحار الحب والفكر والجمال

لقد كان شعلنة متوقّدة من الاحساس بالجمال ، كما وصفه الناقد
أنور المعداوى ، الجمال فى شتى صورهِ وألوانهِ ومعانيهِ ، جمال المداقّة ،
وجمال الكرامة ، وجمال الحياة . . .

أخلص للجمال الأول فامتدّت الأحباب من نبع وفائه ، وآمن بالجمال
الثانى فقبس الكرام من وهج ابائهِ ، وهام بالجمال الأخير ، فقصر
الشعراء عن بلوغ مداه .

- ١٢٩ -

مختارات

من شعر علي محمود طه

- ١ - امرأة •
- ٢ - رجوع الهارب •
- ٣ - ليالى كيلو باترا •
- ٤ - الملاح التائه •

١ - امرأة

أقبلت أم أمعت في الامراض
في حبك يا جميلة راضى
والله ما عرضت بل جئتنى
شطط الهوى وسموت عن أغراضى
لنالك لست أراك الا فتنة
علوية الاشراق والايماض
كم رحمت أغمض ناظرى من دونها
فأراه لا ينوى على الاغماض
وذهبت التمس السلو فأطلقت
نفسى زمام جوادها الركامض
يجتاز نار مفازة مشوبية
ويخوض بررد جداول وريماض
ولقيت فيرك غير أن حشاشتى
لم تلق غير الوقود والارماض
وامتفت باللذات منك فلم تجسد
روحى كلذة طمك المعتماض
وأطعت ثم عصيت ، ثم وجدتنى
بيديك لاعن ذللة وتفاضتى
لكن لأنك ان خطررت تماشت
دنياك تسعى لى بأروع ماضى

٢ - رجوع الهارب

قربت للنور المشع عيونى
ورفعت للهب الأحم جبينى
ومشيت فى الوادى يمزق صخرة
قدمى ، وتدمى الشائكات يمينى
وعدوت نحو الماء وهو مقاربى
فناى ورد الى السراب ظنونى
وبدت لعينى فى السماء فمامة
فوقفت ، فارتدت هنالك دونى
وأصخن للنسمات وهى هــراـج
فسمعت تصف العاصف المجنون
ياصبح : ماللشمس غير مفيضة؟
باليل : ماللنجم غير مبين؟
يانار : أين النور ملء جفونى؟
ذهب النهار بحيرتى وكآبتى
وأتى المساء بأدمعى وشجونى
حتى الطبيعة أمرفت وتصاممت
وتنكرت للهارب المسكين؟

XXXXXXXXXXXX

ان لم يكن لى من حنانك موثـل
فلمن أبث فراغتى وحنينى؟
آثرت لى عيش الأسير فلم أطق
صبرا وجن من الأسار جنونى
فأهدتنى طلق الجناح وخلصت بى
للنور جنة عاشق مفتـون

وأشرت لى نحو السماء فلم أطر
وردت عين الطائر المـجـون
نس السماء وبسات يجهل ما لها
التي الحجاب عليه أسر سنيـن
ولقد مضى عهد التنقل وانتهى
ومنى اليك بهبوطى وفتونى
لم ألق بعدك ما يشوق نواظـرى
عند الرياض ، فليس ما يصيبنى
فهمت أستوحى قديم ملاحنى
فتهدجت وتعشرت بأنيـننى
ونزلت أستدرى الظلال فعننى
حتى الغصون قدون غير فـون
فرجعت الوكر القديم وبى أسى
يطلب على وذلة تعرفوننى
لما رآته افروقت عينى مـن
الم ، وضج القلب بعد سكون
ومضت بى الذكرى فرجت مكذبا
عينى ، ومثما لديه يقيننى
وصحوت من خبل وبى ممسا أرى
أطراق مكتئب وصمت حزين
فافتح لى الباب الذى أغلقتـه
دونى ، وهات القيد غير ضين
دعنى أرو القلب من خمير الرضا
وأنم على فجر الحنان ميونى
وأعد لى أسر العباة هاربا
قد آب من سفر الليالى الجون
ما فى الحياة على نواك ظلية
وأناك ينشدها بعين سجين ؟

٣ - ليالى كيلو باشيرا

كيلو باشيرا ٠٠ اى حلم من لياليك الحسان
طاف بالموج فغنى وتغنى الشاطئ الحسان
وهنا كل نواد وشدا كل لسسان
هذه فاتنة الدنيا وحساء الزمان
بعثت فى زورق مستلهم من كل فن
مرح المجذاف يختال بحورا تغنى
ياحبيبي هذه ليلة حبيبي
آه لو شاركتنى أفراح قلبى؟

xxxxxxxxxx

نبأة كالكأس دارت بين مشاق سكارى
سبقت كل جناح فى سماء النيل طارا
تحمل الفتنة والفرحة والوجد المشارا
حلوة صافية اللحن كأحلام العذارى
حلم عذراء دماها حبتها ذات مساء
فتفتت بشراع من خيال الشعراء
ياحبيبي هذه ليلة حبيبي
آه لو شاركتنى أفراح قلبى

xxxxxxxxxx

وتجلى الزورق الصامد نشوان يميمد
يتهداه على الموج نواشى مبيد
المجاديف بأيديهم هتاف ونشيد
ومعلون لهم فى النهر محراب متيسد
سحرتهم روعة الليل فهم خلق جديسد

كلهم رب يغنى والله يستعيد
يا حبيبى هذه ليلة حبى
آه لو شاركتنى أفراح قلبى ؟

XXXXXXXXXX

اصدحى أيتها الأرواح باللحن البديع
امرحى بألحان الضوء بالموج الخليع
قبلى تحت شراى طم الفن الرفيع
زورقا بين ضفاف النيل فى ليل الربيع
ورنحته موجة تلعب فى ضوء النجوم
وتنادى بشعاع رائى فوق الغيوم
يا حبيبى هذه ليلة حبى
آه لو شاركتنى أفراح قلبى ؟

XXXXXXXXXX

ليلنا خمير وأشواق تغنى حولنا
وشراع سابع فى النور يرمى ظلنا
كان فى الليل سكارى وأفاقوا قبلنا
ليتهم قد عرفوا الحب فباتوا مثلنا
كلما فرد كأس شربوا الخمرة لنا
يا حبيبى كل مافى الليل روح يتغنى
هات كأسى انها ليلة حبى
آه لو شاركتنى أفراح قلبى ؟

XXXXXXXXXX

يا ضفاف النيل بالله وياخض الروابى
هل رأيتن على النهر فتى غض الأهباب
أسمر الجبهة كالخمرة فى النور المذاب
سابحا فى زورق من صنع أحلام الشباب ؟
ان يكن مر وحيسا من بعيد أو قريب

فعلية ، وأعيدى ومنه فهو حبيبى؟
ياحبيبى هذه ليلة حبى
آه لو شاركتنى أفرح قلبى؟

XXXXXXXXXXXX

أنت يامن عدت بالذكرى وأحلام الليالى
يا ابنة النهر الذى غناه أرباب الخيال
وتيمنت فيه لو تسبح ربوات الجمال
موجه الشادى مشيق النور ، معبود الظلال
لم يزل يروى ، وتمضى للروايات الدهور
والضفاف الخضر سكرى ، والسنى كأس يسدور
حلم لم تروه ليلة حبى
فاذكره واسمى أفرح قلبى

الملاح التائه

أيهما الملاح ، قم واطو الشراعا
لم نظوى لجة الليل سراعــــــــــــــا
جندف الآن بنا فى هينــــــــــــة
وجهة الشاطىء سيراً واتباعا
فغدا ياصاحبى تأخذنــــــــــــا
موجة الأيام قذفا واندفاعا
مبشاً تقفو خطى الماضى الذى
ظلت أن البحر وراه اتباعا
لم يكن غير أويقات هــــــــــــوى
وقفت عن دورة الدهر انقطاعا
فتمهل تعدد الروح بمــــــــــــا
وهمت أو تطرب النفس سماعا
ودع الليلة تمضى انهــــــــــــا
سوف يبدو الفجر فى آثارهــــــــــــا
شم يعضى ... دواويل تباــــــــــــا

أحمد فتحي

شاعر الكرنك

(١٩١٣-١٩٦٠)

ظلمت ، على قربي ، من النهل والعمل
فهل ماف عذب الورد ظمآن من قبلسى
وضقت بليلى ، ساهدا بولو اننسى
تعزيت لم أشك التسهيد فى ليلسى
وعشت حياتى وحشة ليس ينتهسى
مداها ، ودونى سافر الصحب والأهمل

(أحمد فتحي)

" ميلاد شاعر "

كان ذلك في حوالى عام ١٧٩٠م تقريبا حين هاجرت أسرة " فايد " من " نجد " بالحجاز وحطت رحالها أولا في قرية " تل مشتل " بعديرية الشرقية ولكن اختلفت أسرة فايد مع سكان " تل مشتل " الأصليين فقامت بينهما معارك طاحنة انتهت بانتقال أسرة فايد الى موضع يقال له " كفر الحمام " ونصبوا خيامهم هناك ثم عمروها وبنوا البيوت والدور .

واتجهت الأسرة الى تعليم أبنائها في الأزهر الشريف

وكانوا يملكون موهبة قول الشعر على السجية

وفي هذه القرية نشأ الشيخ ابراهيم سليمان وقد أتم تعليمه بالأزهر وأصبح من علماء الأزهر يدرس في المعاهد الدينية . . وكان شيخا مثقفا ورعا ينظم الشعر ويلقيه . . .

وعندما استعلت ثورة ١٩١٩ شارك بمنظوماته وخطبه في اشغال نيران الثورة وطفق يعقد الاجتماعات الوطنية الملتهبة وقد زج به في السجن وتعرض بيته لغارات الشرطة عدة مرات . . .

وكان الشيخ ابراهيم قد تزوج وهو طالب وأنجب ولدا واحدا هو الشيخ محمد وبعد أن توفت زوجته تعددت زوجاته حتى تزوج السيدة " فاطمة حسن العويضي " وهي بنت عمدة بلدة " فراشة " ناحية أبو كبير بالشرقية فأنجب منها أول ما أنجب شاعرنا أحمد فتحى ثم ثلاث هن : عفاف ، وعواطف ، وعنايات (١)

xxxxxxxxxxxx

(١) أخبرنى بهذه المعلومات فضيلة الشيخ محمد ابراهيم سليمان وهو أخ غير شقيق لشاعرنا أحمد فتحى فى لى لى يوم ١١ يونية عام ١٩٧١م بمنزله فى ضاحية دبير الملك " بالقاهرة .

ولد فتحي ابراهيم سليمان سليمان بقربة كفر الحمام بمحافظة الشرقية في الثاني من
 أغسطس عام ١٩١٣ م .

وكان طفلاً وسيماً أزرق العينين متوسط القامة يشبه والده، وقد ورث زمامة
 عينية من والده
 وبعد مولد أحمد فتحي انتقلت الأسرة الى الاسكندرية بحى " الجمرك " حيث
 كان أبوه يعمل مدرساً بالمعهد الدينى بالاسكندرية . . .

والحق أحمد فتحي بالكتاب حيث حفظ القرآن الكريم وجوده . . .

ثم مالبت الأسرة أن انتقلت للقاهرة حيث ممل الأب مدرساً بجامعة الأزهر ،
 والحق أحمد فتحي بمدرسة العقادين الابتدائية وأقامت الأسرة بشارع حيدان الموصلى
 قسم الدرب الأحمر بحى الأزهر

وأظهر أحمد فتحي تفوقاً ملحوظاً على أقرانه خاصة فى اللغة العربية واللغة
 الإنجليزية وظهر ميله الشديد الى القراءة . . .

وكان يحلوه أن يسهر بجوار أبيه وهو يقرأ حتى منتصف الليل ، يتطلع
 اليه فى صمت ثم يحاول قراءة الكتب التى تحويها مكتبة الأب ، وكانت المكتبة
 تضم أمهات الكتب من الأدب العربى والتراث العربى مثل دواوين المتنبى وأبى العلاء
 والشريف الرضى وشوقى فضلا عن الكتب الدينية والأدبية الأخرى مثل كتاب الأمانسى
 ومقامات الحريري .

وذات ليلة قرأ أحمد فتحي أبياتاً من الشعر فى أحد الدواوين فنقلها وذهب
 لأبيه بقرؤها عليه ، وكانت تقول :

مامقامى بأرض نخلية الا	كمقام المسيح بيسن اليهود
أنا فى أمة تداركها الله	غريب كصالح فى شمــــود

وحين سمعها الأب راح يشرح لابنه معانيها وعرف أحمد فتحي أن صاحبها شاعر
 كبير اسمه "المتنبى " وأعجب أحمد فتحي بهذا الشاعر ك فعاد الى مكتبة أبيه
 من جديد وراح يقرأ كل ماكتب عن المتنبى وما نظمه هذا الشاعر ملاً الدنيا وشغل الناس
 ثم اتسعت قراءته لتشمل دواوين البحترى والشريف الرضى وشوقى وحفظ الكثير

من القصائد المطولة واستوفته بمدة خاصة شعر شوقى ، لما فيها من قوة المعنى
وحلاوة الجرس ، وجمال الموسيقى .

ثم أنجز شاعرنا دراسته الابتدائية والشحق بالمدرسة الثانوية ولكنه تعثر
فيها لأنه نغمس في تلك السن المبكرة في مغامرات عاطفية جامحة وتأرجحت حياته
بين شيطان الحياة وشيطان الشعر .

فالتحق شاعرنا بمدرسة الفنون التطبيقية (الفنون والصنائع) التابعة لجمعية
العروة الوثقى بالاسكندرية .
ويتحدث عن تأثير الاسكندرية في حياته وفي شعره فيقول : (١)

" وفي الاسكندرية كان ميلادى وعلى صدر شاطئها الجميل ترعرت ، وعن صفاء
بحرها المسداح أخذت ماكان لى بواكير أفكارى وأشعارى من صفاء وأنغام .

وماتت أم شاعرنا عام ١٩٢٣ وعمره يومئذ عشرة أعوام فقد أثناء دراسته الابتدائية
ماتت وبعد أن وضعت مولودا سموه " محمود " وأصابها " حمى النفاس " وكانت لى
ذلك الحين داء مفضلا وأخطأ الأطباء ، وأصاب الأقدار ، ولم يكن عمرها يوم
اختارها الله لجواره قد تجاوز ثلاثين ربيعا ، وقد خلفت وراءها أربعة أطفال
كان شاعرنا أكبرهم ، وكان لى العاشرة من عمره وكانت الفجعة كبيرة فيها ...

شبابها الذى اختفى وأطفالها الأربعة الذين حرموا حنان الأمومة ورعايتها
قبل أن يشبوا من الطوى ، لشعر بحزن عميق لتزوج والده بسيدة من أقارب
كانت غاية فى الرفق ، وحسن المعاملة لأحمد فتحى وشقيقاته الثلاث ولكن الطراغ
الذى تركته أمه فى صدره راح يبحث عن مواطن جديدة .

وفى تلك الحقبة بدأ شاعرنا ينظم قصائد وجدانية يبحث فيها بوح قلبه وأشواق
روحه ويعبر فيها عن مواطن الجياشة لمن يحب ...

واتسمت تلك القصائد بالرقّة والعذوبة والطلاوة ...

واشتد المرض بالشيخ ابراهيم سليمان فانتقل الى كفر الحمام حيث مات
هناك عام ١٩٢٩م ، تاركاً ابنه أحمد فتحى وهو فى السادسة عشر من عمره فازداد حول شاعرنا
وشعر بالموحدة والافتراق الروحى بعد أن أصبح وحيداً فمضى ينظم قصائد حزينة
باكية يبثها أحزان روحه وآلام نفسه واحساسه الحاد بالافتراق الروحى .
وتخرج أحمد فتحى فى مدرسة الفنون التطبيقية عام ١٩٣٠م وعينه خاله المهندس
أحمد حسن " مدير جمرک الاسكندرية " موظفاً بالجمرك وشهدت له مغائى الاسكندرية
صولات وجولات سجلها فى قصائد عاطفية رقيقة ، ولم يستمر طويلاً فى هذا العمل
فعمل مدرساً بمدرسة الصناعات ببولاق بالقاهرة ثم مدرساً بمدرسة الصناعات
بالسويس حوالى عام ١٩٣٢م .
وفى السويس كانت له أيضاً تجارب ومغامرات عاطفية فقد كان يوماً يعيش
الحسن ويهفو للجسمال .

" مع جماعة أبوللو "

ومن السويين بدأ يرسل مجلة " أبوللو "

ونشرت له عدة قصائد رقيقة غلب عليها الطابع الرومانسي الحاليم السدى يغلف أحلامه بأحزان روحية حادة ، وغلبت على تلك القصائد في تلك الحقبة الروح الشاكي الحزين وأفصح من نفسية قلقة حزينة لشاب لم يتعدى العشرين من عمره بعد ... فقد كان احساسه بالاغتراب الروحي يلازمه منذ مطالع شبابه ، لقد كان طموحه أكبر من امكانياته وآماله أكبر من واقعه .

ولعل مفتاح شخصيته في تلك الحقبة والذي ظل ملازما له طيلة حياته يتلخص في احساسه " بالاغتراب الروحي " الذي كان يفضيه ويعذبه ...

وكانت أول قصيدة نشرها بمجلة " أبوللو " وكان يبلغ العشرين يوما قصيدة يبحث فيها أحزان روحه وآلام نفسه لأبيه الراحل بعنوان " نجوى وشكاة " وهي قصيدة تتسم بالروح الشاكي الحزين والنغممة الباكية الهامسة رغم شبابه الفسيفس يتناول فيها : (١)

أبي قم ونح الرجم منك وناجنى
أتلمنى للدهر وهو جـون ؟
مضى بالذى خلفت لى ثم فاتنى
وقلبنى تخين بالجراح طعيـن
به من لظى وجدى عليك لواعج
تفرم نيراننا به وشجون
ولولا جلال الموت قلت نسيتنى
والهتك عنى فى الحياة شـون

xxxxxxxxxxxx

تمثلت في ذهني فأجفل خاطري
ومهدى به في النازلات رصيني
وماذاك من خرفسي لفاك وانما
مراني من هول المقام جنون
حنانيك ، هل تبكي لحالي رحمة
أمنك ماذا في غد سيكون ؟
لعل زمانا أوثق العهد أنه
سيقلب لي ظهر المجن يمين
فنم واسترح واهداً بفرك انما
خفوط البرايا شمال ويمين
ولو أنه يبقى على امرى
فمثلى بابقاء الزمان نعين

xxxxxxxxxx

ألا أيها الموت الزوام معجل
يناديك ، ميعادي متى سيحين
صريع هموم طال بالوحدة مهده
تمر به الساعات وهي سنين
فتخشي ويستجديك من فرط مابه
وأنت عليه يا حمام نيين

ثم ينشر قصيدة في عدد أكتوبر عام ١٩٣٤م بعنوان " الوهم " بتوقيع أحمد فتحي
المهندس يغلب عليها الطابع الشاكي الحزين الباكي رغم شبابه الغضنلمس فيها
سوداوية فاتمة وأحزان قلب كبير لانتساب سنه المغيرة التي لم تتجاوز العشرين بعد
يقول في تلك القصيدة : (١)

أمن الأشجان آل وصحاب

ومن المدمع ندامى وشـراب؟
وكذا الدنيا شجون لانتـسـى
ودموع لا ينسى عنها انسـكاب
لا أرى في السروف الا صادحـا
مرسل الألحان يحدوه انتحاب
أى وهم لم يزل يحفزنا
فعلى الوهم صراع وغـلاب؟
كم حساب لم يجدنا غيـثه
خطف الأبهار بالبرق وغـساب
وكلام تحته ريشـت فتـسـى
هو فى ظاهرة شهد مـذاب
والذى يحسبه رى المـسـدى
هو مهمسا قد روى العادى شـراب
كم شكنا الغلـة منا ظامـسـى
فشلت غلته جرمة مـساب
وسعى للمبيد مشفوف بـسـه
وهو شاة ، لو درى بين ذكـاب
فيم نحيا بالأمانى خدمـا
والمنايا أخذات بالرقـاب

XXXXXXXXXXXX

أيهذا المدلج السارى السـى
أمل يحدوه أقصر فى الطـلاب
ألى الآمال كدج قاتـسـل
والى الآمال ظعن واغتـسـراب؟

- ١٥٥ -

ما أراها بأعشاش من بلسى
أو معيدات الى الشيب الشيباب
صاحب الحاجة ذوهم بهسبا
فاذا أدركها هسان المصساب
ضيعة للراى تذكى نارها
أفنة فى المرء منذ شب وشساب
شامخ بالأنف من أوهامه
لم يزل ينشد أطباق السحاب
حس الكون رهينا بالسدى
يشتهى وهو رهين بكتساب

XXXXXXXXXXXX

ثم نجد له فى عدد ديسمبر ١٩٣٤م مقالا ممتعا بعنوان " فى معنى الانتحال " يدل على عمق ثقافته وتنوع قراءاته الأدبية وقد تناول فيه موضوع السرقات الشعرية والانتحال وتوارد الخواطر واشتراك المعانى بين الشعراء ... كما شاهدت صفحات أبوللو بعض تصاذه الرقيقة التى تسبق عمره والتى كانت تعد ارهاصات لمولد شاعر وجدانى كبير

" لِيَالِي الْكَرْنُك "

وبعد عمله بمدينة السويس انتقل الى الأقصر مدينة التاريخ العريق والآثار
الخالدة ، ليعمل مدرسا بمدربتها الصناعية الثانوية .

وفى هذه المدينة العائمة الهادئة التى يخيم عليها جلال التاريخ التليد
وصمته وهيبته ، أحس بفرغ موحش وملل قاتل وهو الشاعر الطروب المرح الذى تعود
أن يقضى أيامه بين مجالى الأنس والطرب وأطياب الجمال هربا من مذابه الروحى
الممض وشعوره الحاد بالاغتراب الروحى .

ويشعر بالحنين الى أهواء القاهرة وليالى القاهرة ، فيكتب الى صديقه
أنور أحمد بعد ثمانية أيام فقط من وصوله للأقصر يبشئه فينه وحنسه لبعده عن
أجواء القاهرة ولياليها الساحرة ، فيقول : (١)

" تصور أننى أنفقت هنا أياما ثمانية ، كانت فى حساب قلبى أهواما ثمانية ،
" لو أنك رأيتنى الآن لأنكرتنى : شحوب وذهول ، ومبرات لاترنا وكفاتها أبدا ،
وظلال من الذكريات الفائعة لاتميل عن المخيلة المكدودة .

" لقد أنفرت كل دنياى من مباحجها ، وهل شئ أبعد أثرا فى نفس الشاعر
من أن يصبح وحيه أحجارا جاثمة وأطلاا قائمة ، وهذه الأناشيد الحزينة التيس
تفلسف الأحزان وتجعل من الوحدة المكتتبة فجيح مهرجان ومخب أمياد وقدس مشمول
فى حضرة آلهة السماء

" لو كنت فى القاهرة

" يارحم الله أيامى بالقاهرة ، أو رحمنى بعدها " .

كانت هذه أحاسيس شاعرنا فى الأيام الأولى لوصوله الى الأقصر

(١) الهلال / صالح جودت / مأساة شاعر الكرنك / ديسمبر ١٩٦٦م ، من رسالة خاصة

ضمن عدة رسائل اطلعت عليها عند صديقه الأستاذ أنور أحمد .

ولكن سرعان ما تبدل الوضع بهورة مختلفة

كان شاعرنا يفتى جل وقته - في الليل - بين معابد الأقصر الخالدة ، وكان
يحلو له ذلك أثناء الليالي العقمرة ، يتأمل جلال التاريخ وجمال الطبيعة ويسرح
بعيدا في سماوات الخيال . . .

وسرعان ما أصبح يهفو الى ليالي الكرنك يتأمل ويستوحى ويستلهم أجمل الخواطر
وأعذب الصور . . .

وفي ذات ليلة من تلك الليالي الشاعرية الحالمة كان القمر مضيئا ينشـر
أشعته النضية على المعابد الضخمة فيفتى مليها سحرا وبريقا ، استوحى
شاعرنا أروع قصائده الوصفية التصويرية " أنشودة الكرنك " .

التي يقول مطلعها : (١)

حلم لاح لعين الساهر
وتهادى في خيال مابـر
وهفا بين سكون الخاطر
يميل العافى بيمين الحاضر

ثم يسرح بعيدا مع جلال التاريخ وأمجاده حيث ملوك الفرانجة وأمجادهم
الغابرة التليدة وتوحى كل هذه الأحاسيس والخواطر بصور شعرية رائعة :

ها هنا الوادى ، وكـم من ملك
صارع الدهر بظل الكرنك
وادعا يرتب مسرى الفلك
وهو يستحيى جلال الغابر

ثم يفتى يسأل الأطلال بحيرة ونشوة في آن واحد :

أين يا أطلال جنـد الغالب ؟

(١) ديوان قال الشاعر / ص ١٢٣ - ١٢٥ / أحمد فتحي ١٩٤٩م - القاهرة - دار النيل

أيمن آمون وموت الراهب ؟
وصلادة الشمس ؟ وهي طاربي
نشوة شرزي بكرم العاصر

وتستغفره النشوة بعد أن روض وجهه على التصوف بين معابد الكرنك
الخالدة تحت ضوء القمر وبين جلال المعابد ومور التاريخ الفرعوني
التليد تحيط به من كل جانب :

أنا هيمان وياطول هيامي
صور الماضي ورائي وأمامي
هي زهري وغناي ومدامني
وهي في حلمي جناح الطائر

ويصور لنا في هذا المقطع التصويري الرائع الطائر الجريح السدى
ما زال يفرد أهدب النغم وأرتهما بين الرياض الناضرة :

ذلك الطائر مخضوب الجناح
يسعد الليل بآيات المبحح
ويغنى في غدد ورواح
بين أخصان وورد ناضر

ثم يختتم أنشودة الكرنك " بهذا المقطع الجميل ، فيقول :

في رياض نضر الله شراها
وسقى من كرم النيل رباها
ومشى الفجر اليها فطواها
بين أفراح الضياء الغامر

وتغنى محمد عبدالوهاب بأنشودة الكرنك عام ١٩٤١م ثلاث نجاحا كبيرا
واتسعت شهرة الشاعر وأضفت عليه صيتا دائما ، وهكذا اثنى اسم الكرنك

بأحمد فتحى ، وأصبح الناس يعرفونه باسم " شاعر الكرنك " .
وبالمناسبة لم يتفاد الشاعر عن هذه الأنشودة الناجحة الاثلاثة جنيهاً من
الاداعة المصرية حينئذ

XXXXXXXXXXXX

وهكذا روض شاعرنا روحه على التصوف بين معابد الأقصر الخالدة وأصبحت
أجمل أوقات حياته تلك التى كان يقضيها بين المعابد الشامخة ؛ فاستوحى
أنشودة الكرنك من معابد الكرنك . . واستوحى أنشودة " نداء الغروب " من
وحى " وادى الملوك " وهى قصيدة تتسم بالصورة الشعرية المحلقة والخيال
الغنى المجنح ، يقول فيها : (١)

عادت الطير الى أفصانها

تتغنى

حين ذاب النور فى ألحانها

وتشنى

XXXXXXXXXXXX

وجرى فى أدمع الذكرى شرامى

مذ دعاه من فم الأجيال داع

XXXXXXXXXXXX

وكسا الليل وشاح الذهب

فى الأصيل

وروى الموج حديث الحباب

للنخيل

XXXXXXXXXXXX

طاف بى همس بعيد كالنداء

أيها السارى على غير اهتداء

تفا تأمل

XXXXXXXXXXXX

(١) ديوان قال الشاعر/نداء الغرب/ص : ١٣٢ / ط دار النيل للطباعة/ القاهرة ١٩٤٩ م .

- ١٦٠ -

هاهنا وادى الخلدود
وتمهل

كل مافيه رقسدود

xxxxxxxx

لاشبهه أعينا طلال كراهنا
سحرها مان على الدهر حماها

xxxxxxxx

أين منك الفن والمجد العريق
قف تمهل

فسحة من أمل الوادى وضيق

فتامل

xxxxxxxx

سأل الرمل وقالت زهرات
أى سار سبقته العبيرات ؟

xxxxxxxx

أنا صداحك يا وادى الجلال
نعم ودمنى

أبصر الدنيا بعينى وخيالى
فأغنى

xxxxxxxx

أخذتنى نشوة السارى الغريب
وتنبهت على صوت الغروب

xxxxxxxx

وتمهلت لعلى أســــــــــــــــع
رجة الهمس البعيد

وتأملت وعينى تدمــــــــــــــــع
صور العهد العهــــــــــــــــيد
وجرى فى أدمع الذكرى شراعــــــــــــــــى

وحاول شاعرنا أن تغنى أم كلثوم هذه الأنشودة الرائعة ولكنه أخفق
فى محاولته .

XXXXXXXXXX

وكان هناك عامل جديد حبل لشاعرنا الاقامة فى الأتصر فى تلك الحقبة بعد
أن روض روحه على التصوف بين معابدها الخالدة ...
لقد مر بتجربة عاطفية عنيفة انتهت بالفراق ... فلجأ الى الأتصر " منتفاه
المحب " من القاهرة لينسى جراح قلبه وليفرق أحزانه بين معابد الأتصر
ولياليها الحاملة

وبصور شاعرنا أحاسيسه بعد هذه التجربة العاصفة ، فيقول فى رسالة
شجية له : (1)

" ولقد رجعت الى منفاى مختارا طائعا لالوى فى طريقى على شىء ، وعكفت
على مكتبى أنفق فيه سخابة النهار وشرطرا من الليل ، كما أفعل الآن .

" وماذا أصنع بهذه الصورة التى تطارد ذهنى فى البيظة والكرى ؟
" وماذا أفعل بهذا الخافق الوشاب الذى لايتسر ولايهدا ؟
" وماذا أفعل بهذه الذكريات الموجعة التى تخف ظلالتها بطريقى على الدوام ؟

" ولمن أشكو هذا كله ، وأنا انسان وحيد فى هذه الدنيا ، مثلئ كمثل الشجرة
البياعة النابتة فى جوف صحراء جديبة موحشة مقفرة من كل كائن حسى ؟

XXXXXXXXXX

ثم انتهت مرحلة الأتصر لتبدأ مرحلة جديدة فى حياة شاعرنا وشعره هــــــــــــــــى
مرحلة الفيوم

(1) تاريخ هذه الرسالة ٩ سبتمبر عام ١٩٤١م ، وقد اطلعت عليها عند الأستاذ

" في جنة الفيوم "

أخذ شاعرنا يسعى لينتقل الى القاهرة ...

وأخيرا أفلح في أن ينقل الى الفيوم - وهي قريبة من القاهرة - مدرسا

بمدرستها الصناعية في سبتمبر عام ١٩٤١م ...

وماش شاعرنا بين جمال طبيعتها وسحرها حيث النخيل والسواقي السبع

تحوطها عيون " السليين " و" عيون " الغدريمين " و " الحداثق المعلقة "

و " بحيرة قارون " .

ويسعد شاعرنا بقربه من القاهرة وتبججه طبيعة الفيوم الساحرة فيكتب

الى صديقه أنور أحمد يقول له :

" والسواقي تكاد تطفى على نداءات خواطري وأنا أكتبك ، ومع هذا

فانه لنواح حبيب ... ياليتنى أستطيع أن أسجله في أبيات كما سجله

رامس في قصائد ...

، " انها بلدة طيبة وادعة جميلة ... ولكن ليس لها سحر وادى

الملوك ، وجلال جواره الكريم " .

ويستوقفنا هنا حديثه عن سحر وادى الملوك وجلاله مما يفتح عن مدى

استغراق شاعرنا في هذا الجو التاريخى الحالم في مرحلة الأقصر بعد

أن كان يشكو منه من الشكوى .

وقد استوحى أحمد فتحى من جمال الطبيعة في الفيوم وسحرها عدة قصائد

رقيلة .

استوحى من وحى سواقي الفيوم قصيدته " صوت السنين " التى تتسم

بجمال اللفظ ورونته وحسن صياغة الكلمات والموسيقا الهامسة فضلا عن رومانيتها

الحالمة المبدعة .. يقول فيها : (١)

(١) ديوان قال الشاعر / صوت السنين / ص : ١١٥ .

أى سحر بعثت شمس الأصيل
فى ضياء شاحب اللون خجول
ونسيم واهسن الخطو عليـ
راج يلتف بأعناق النخيل

XXXXXXXXXX

ضحك الرهر ، وغنى بلبل
وحكى الموج ، وأصفى الجدول
وتراوى فى الروابي أمل
آخر الأيام فيسه أول

XXXXXXXXXX

آه من ذكرى مع الليل تعود
طيب ناحل ، واه ، بعيد
يملا الأفاق والقلب وحيـ
يبعث النجوى ويبدى ويعيد

XXXXXXXXXX

طال حرمانى وصبرى وحنينى
وسما بى خاطرى ملء السكون
أرهف السمع الى صوت السنين
هاثما بين فتونى وذهولسى

XXXXXXXXXX

ياخيالى هذه الدنيا لنا
ليس الا أنت ، فيها ، وأنا
نقهر الدهر ، ونطوى الزمننا
ونسرى فى كل واد وطننا

XXXXXXXXXX

فيم نشكو العمر والجرح التديما

والهوى اليائس واللوعة ، فيمما ؟
نحن صورناه من الوهم نعيمنا
في ربيع باسم ضاح ، جميلا

XXXXXXXXXX

ولعل انتقال شاعرنا الى الفيوم كان بمثابة الراحه التي يينشد فيها الراحل
المجد ، بعض الراحه من وعشاء الطريق ، ووقد الهجير ، وانك لتحس ببرد
الراحه الذي أظل نفسه من خلال شعر مطرب كانت موسيقاه تُرددده مع سواقي
الغدِير التي تترجم عن الحنين والنفس الملتامه .

في قصيدته " صوت السنين " التي أوردناها ، نسمع منه لأول مرة نغما مؤنسا ،
وأملا نديا ، وحنانا طوى مرارة دفينه ، واستقبل فجرا بسامنا .

وكانت هذه المرحلة (١٩٤١ - ١٩٤٣ م) رغم قصرها من أكثر الفترات
استقرارا في حياة شاعرنا وأحفلها بالانتاج الشعري الخصب الذي يتسم بالتفاؤل
والرومانسية الحالمه والاقبال على الحياة ولكن هذه المرحلة لم تستمر
طويلا ، فسرعان ما بدأت مرحلة حاسمة في حياة شاعرنا القلق الملول .

—————

الاغتراب الروحي

ثم تأتي بعد ذلك مرحلة جديدة وفريدة في حياة شاعرنا ...

كان شاعرنا قلقا دائما حزينا لا يستقر على حال يعذبه شعوره " بالاغتراب الروحي" فهو دائما يشعر بغربة روحية موحشة ... لم يجد الاستقرار والأمان في المرأة أو الكأس أو المجد أو المال أو التنقل والسفر .

ويكتب لمديقه يعبر عن فيقه وملله من خياله ويصور له أحاسيس المرهفة نحو السعى الى الجديد الذي ينفذ منه أشغال الكآبة ورتابة الملل ، فيعلن له زهده في القاهرة ولياليها ، فيقول :

" كرهت القاهرة ... ومللت حياتي بها . ان كل ركن في العاصمة يثير دفيننا من الشجن ، ويهيج ساكننا من الذكرى ، ويتردد بالقلب المشخن بجراحه الى صور من الماضي الحافل بآثامه ومباده ، الذي شاء القدر أن يفع له هذه الخاتمة الأليمة .

" فلا تنع راضيا أو غاضبا بهذه الحياة البليدة التي أحيانا .

" هنا بعيدا من مراتع شبابي المسكين ... ولعل البعد ينسى أو يسلسي ، ولا أمل في حياة عاطفية مستقبلية ، بل لارغبة في شيء من ذلك وجه الاطلاق .

" لقد أحببت كثيرا وتعذبت كثيرا كما تقول مريم الجدلية ولاأظنني مستطيعا

ان أمالج حياة الشاعر من جديد

ولهذا قر قراري على أن أودع هذا الفن العزيب فيما عدا نفثاتي السائحة على ماضي الفار ، الذي يعاودني كلما بسط المساء جناحه على روجي الهائمة في القفار والمجاهيل " .

كانت حياة أحمد فتحى في تلك الحقبة حياة نعسة شقية فضلا عما كان يعاني من

آلام نفسية تعذبه وتفنيه

وينتهي شاعرنا الى قرار خطير بعد نظرة حاسمة في حياته ...

لقد قرر أن يستقيل من عمله ويفادر الوطن ، ليلتحق بالجيش البريطاني .
" ومهما يكن في قراره هذا من اغراب أو مروق ، فان عوامل كثيرة قـــــــد
اجتمعت على الشاعر المسكين ، فحملته على اتخاذ هذا القرار في ساعة يأس ؛
" حب ضائع ، وصحة منهارة ، وأمل مفقود في وظيفة بالقاهرة ، وسخط على
الحياة والفن ، وخصاصة تتركه في ضائقة من العيش ، وهو بين كل هـــــــذه
العواطف وحيد ... لزوجته ولولده ولا أهل (١) .

XXXXXXXXXX

كانت الحرب العالمية الثانية قائمة في ذلك الحين ، فانضم شاعرنا للقوات
الحلفاء وأخذ يندء بقوات المحور ويرجل الى الميدان ويودع محبوبه العمر فسسى
الذيوم بقصيدة رقيقة يقول فيها : (٢)

أفاريـد من ذكرى هواك وأنفـام
تعود ، فهل صادت ليال وأيام؟
هنا ... كان لي قلب سعيد ومرتع
رضى ، وآمال حسان وأحلام
وكان هو انسا يملأ الرحب بهجة
يصورها في صفحة الكون رسام
تسابق فيها المغرمون ، وتسمت
حظوظ ، فمظلوم لديك وظلام
تخلف قلبى في الزحام وخاننسى
الى تبعك المورود مد وأقدام
أقابلك في ضعف العجيب بذلــــه
أغالب دمعى وهو بالوجد نمــــام

(١) صالح جودت / مأساة شاعر الكرنك / مجلة الهلال / ديسمبر ١٩٦٦م .

(٢) أحمد فتحي / ديوان قال الشاعر / ١٩٤٩م / ص : ١٤٣ .

لقت الروابي ضاحكات كهدها
كان لم ترعها من غيابك آلام
وفي كل شيء ها هنا منك فكرة
وملء خيالي منك وحي والهيام
تخيل لي اني آراك وانسى
تصافح سمعي من حديثك أنغام
فأعفو على وهم اللقاء سويعة
وأصحو وما بيني وبينك أعوام
هنئنا لك الدنيا ، فان خواطري
اذا هبطت آفاق دنياك آثنام
ومادام في بعدي لقلبك راحة
فلاظرت بي في رحابك أوهـام

ويصبح شاعرنا ضابطا بقوات الخلفاء في الصحراء الغربية المصرية ...
ولكن كيف حدث هذا ؟

لا أحب أن أخرج على ما اضطرب فيه أحمد فتحي خلال تلك الحرب من تصرفات مبعثها
فكر أضر به الحرمان الباكر في صدر حياته ، وأتلفه نهم للذادات تورث السقم في
الجسد وفي العقل، إلا برأي لاينفي عنه العتب بقدر ما يبحث له عن مخرج يرى منه
الغاري شعاعا من العذر .

ومما لاشك فيه أن أحمد فتحي تأثر من قراءاته في كتب الغرب ، بما كان
يحدث لمن نتجهم الدنيا حتى تفيق به أرجاؤها ، أو لمن يخفق في حب عنيف
لا يرى بعده حقا له العيش أو أملا في أمل ... وكان أولئك المصابون بهذه المآسى
ينخرطون في " الفرقة الأجنبية " التي كانت تولد في فرنسا من متطوعين من كافة
الأجناس . لم يكن هم هؤلاء المتطوعين الدفاع عن قضية ، أو بلوغ غاية نبيلة
أو مبدأ سام أو احقاق حق ضائع بقدر ما كانوا ينخرطون في هذه الفرقة من أجل
البحث عن الموت من طريق آخر غير الانتحار . ان شاعرنا يلقي بنفسه الاضواء
على تلك الحقبة الغربية من حياته في رسالة أدبية ممتعة بعث بها من " برقية "

فى ٢٠ مايو سنة ١٩٤٣م الى صاحبه. تفصح عن نفسية قلقية تحاول أن تجد فسى ميدان الحرب ملادا أو مهربا من الشعور بالغربة الروحية وتفصح الرسالة من مدى احساسه الحاد بالقلق وعدم الاستقرار والغربة الروحية لشاب لم يتجاوز الثلاثين من عمره بعد يقول فيها: (١)

" وبعد ، فانك لتسأل ماذا حدا بهذا الشاعر المفتون أن يهجر داره السى غير أمل فى رجعة ، ولقد كانت حياته فى أرض الوطن هنية لينة ، ان أخطأها البذح ، فقد كان فيها ترف ورخاء ؟

" وفى الحق انى لأسأل نفسى بمثل ذلك اليوم ، وانها لتجيبنى اجابة فيها هموض وابهام ومراوغة .

" أنت تدرى أننى رجل لاسبيل للمال الى استمالته ... ولكن حدث أننى سعيت الى الشهرة سعى المجد ، وطلبت المجد طلب الملحاح ، وبذلت فى سبيل ذلك ما بذلت من نفرة شبابى ونور عينى .

" فلما بدأ نجمى يتألق فى سماء المجتمع ، وأقبلت على الشهرة اقبال المشوق ، كان ماتبقى لى من نفسى ذماء لا يكاد ينتفع بالحياة فى جملتها ولا فى تفصيلها . فقدت نصف قلبى منذ ثلاثة أعوام ، وفقدت نصفه الباقى منذ أيام .

" ولقد فرغت الى الشراب من مواجى وعذاب دنياى ، فما زادنى الا ضعفا من احتمال الحياة ، ومواجهة متاعبها ، ومادت علة الحسد تزيدنى من يقظة جراح قلبى ، وأصبحت حياتى كلها مقاساة وتكسرا .

" وتلفت حولى ، فاذا أنا ... ولاناصر ولامعين ... واذا بمثلنى كمثلى الكسرة من الخبز العفن ملقاة فى مرض الطريق ، ان وجدت تقيا يرفعها الى جانب الحائط ، فانها لن تجد من يأكلها بأى حال .

" قلت لنفسى ... لعلنا نمطنح لنا وطنا جديدا ، وعملا جديدا ، وآفاق جديدة ، يرتع فى ظلالها الاحساس الجريح والخيال مهيب الجناح .

" ولعل تغيير الجو المحيط ، وتبديل الوسط وتجديد المعالم لعل ذلك كله

(١) من رسالة خاصة لصديقه أنور أحمد .

أن يعين على صفحة الماضى بخيره وشره ، بل بشره وحسب ، فما كان فيه من خير
فقط .

" وفى بفضة أيام ، أبرمت الأمر ، وعقدت العزم على الرحيل ، لم أشاور
أحدا ولم أستأنس برأى أحد ، وحضرت رحلى أطياف الشباب ، ورحلت وأنا لا أدرى الى
أين ...

" ولست أدرى حتى الساعة ماذا يراد بى ، فان كان خيرا ، فقد أسلفت من
الصبر والتحمل ما يثبت حتى أن أنعم بما بقى لى فى صبة الحياة من أمد ...
وان كان شرا ، فقد : تعودت من الضر حتى ألغته وأسلمنى حسن العزاء الى
الصبر^١) يبعث لمحبوبته من الصحراء قصيدة " همسات " التى يقول فى مطلعها :
أنا أهمس الحب فى سمع الوجود ... فاسمعينى

كان هذا تحليل شاعرنا للظروف والعوامل النفسية التى دفعته الى السج
بنفسه فى أتعن الحرب هربا من قسوة الواقع ومرارة الهزيمة النفسية التى
تعذبته وتضنيه

XXXXXXXXXXXX

وفى نفس الرسالة يشكو من هجر شيطان شعره الصادح فى " برقة "
بليبيا فىقول :

" ولكن شر ما أكابد الآن ، هو هجر شيطانى الصادح الذى طالما هشت الى
هزجاته بين تجهم أيامى وفى أسياتها العابسة ، فما عدت أهتف بببيت من الشعر زاحد ،
ولاماد يطرئنى طيف من أطياف الخيال " .

ثم تمضى الوحدة ممضة ثقيلة على شاعرنا وهو ينتقل مع قوات الجيش البريطانى
الى الصحراء الليبية وهناك يستطيع أن ينشأ علاقة عاطفية مع حسناء ، فيعود شيطان
شعره الهارب ويستلهم منها قصيدة رقيقة بعنوان " الجارة الحساء " يقول فيها :

أشرفت فى ليل أراق ظلامه

فى خاطرى ، ليزيد فيه عذابى

فرايت شغرك ضاحكا ممن دره
متالفا في بشره الخــــــــــــــــلاب
وتبعت روجي اليك ، وعادهــــــــــــــــا
طيب التفزل بعد طول فيــــــــــــــــاب
وشكا فواذي ظلم ماحملتــــــــــــــــه
ليمنون عهد احييتي الغيــــــــــــــــاب
وجرت على شفتي ظلال تحيــــــــــــــــة
تسعى اليك بهمسمة الامجــــــــــــــــاب
فهتفت والذكري يلم خيازيهــــــــــــــــا
فيرد آثامى على الامقــــــــــــــــاب
باجارتى الحسناء ، مالك موضــــــــــــــــع
في القلب بعد تفريق الاحبــــــــــــــــاب
في ناظريك من الصبا وفتونــــــــــــــــه
يبدو سوال ظامىء لجوابــــــــــــــــى
لكن مشغول الفؤاد يعوزد من
سحر العيون بدمعه المنســــــــــــــــاب

شم يتدكر محبوبته التي تركها في مصرفيقسول :

لى في ربي الوادى السعيد فريــــــــــــــــدة
في حسنها ، تشتاق يوم آياهــــــــــــــــى
مندى لها باقى الوفاء ، وعندهــــــــــــــــا
لهواى اعزاز وحسن شــــــــــــــــواب
ولعلنا بعد النوى أن نلتقــــــــــــــــى
فتقرعين شبابهــــــــــــــــا وشبابــــــــــــــــى

XXXXXXXXXXXX

وزداد احساس شاعرنا " بالافتراب الروحي " في الصحراء حيث الوحدة والسكون والتأمل والليالي الطويلة المسهدة

ويسترجع شريط حياته فيجدها باطل الأباطيل وتبض الريح وتشتابه سوداوييئة قائمة واحساس مظلم بكل أمل له في الاستقرار والحياة الهادئة وبخيمة مايكتسب ويسجل هذه الأحاسيس الحزينة في رسالة خاصة الى صديقه أنور أحمد فيقول :

" لا أكتفك ما أحس من فقدان كل أمل في الحياة المنتظمة والاستقرار وأؤكد لك أن خيال العش الجميل والأليفة والأطفال لم يعد عيني أبدا .

" ولقد أصبحت رجلا بلا ماض ولا مستقبل ، ولارجاء في المستقبل .

"ولاتحسب هذا مصدر ألم لي فقد رفضت نفسي عليه رياضة كافية ، وأصبحت أستمتع بالحياة الفردية الموحشة الى غير حد ، وأصبح كل همى أن أركز كل جهدى في العمل الذى أكسب منه القوت .

"وفي وقت فراغى متسع أفقه على العمل الأدبى والانتاج الفنى ، وقد يشاء الله أن أظفر منهما بعد بعض الوقت بشيء تكون له قيمة تاريخية تذكر ... فمن يدرى ؟ "

"وفي رسالة أخرى بتاريخ ١٥ أغسطس عام ١٩٤٣م يمضى شاعرنا فيسجل نفس أحاسيسه الحزينة القاتمة ، وكأنه يرثى نفسه في عنفوان الشباب وفتوة العمر ، فيقول :

" منذ أيام قليلة ، ودعت عامى الثلاثين ، ودخلت في الحلقة الرابعة ، ولاأكذب عليك ، فان خوفى من الشيخوخة الباردة العاجزة لاحد له ...

" وأخشى ما أخشاه أن تكون خطواتى في سبيل الغناء سريعة من حيث لا أشعر "

ويقول في موفج آخر مصورا أحزانه وآلامه :

" أجدنى حنيفة فاشقا بالزمان والمكان ، ويزيد المرض من حدة هذا الضيق ...

" أذكرتنى العيد ... ولا بأس من أن أقول لك أن حياتى لم يعد فيها مكان

للأمياد ... وإذا أمكن استثناء الأفرح المغيرة الهادئة التى يقيمها قلبى لاهاته الجاحدات ، تستطيع أن تزعم أن كلمة العيد قد معيت من قاموس أيامى وليالى .

" وفى السقم والعلة والضعف ، يدرك رجل مثلنى فداحة جرمه فى حق نفسه ،

اذ آثر منذ زمن بعيد هذا النوع من الحبس الانفرادى الحافل بالشقاء ، بدلا من
سعادة الأسرة وفرحة الحياة بالعيش الهادئ ، والعمافير الصغيرة المفردة " .

كانت هذه خواطر شاعرنا الجزينة في قلب الصحراء التي ألقى بنفسه في أتون الحرب
لاجئا اليها فرارا من عذابات نفسه وأحزان روحه مله ينسى وترتاح نفسه لكن
ذلك لم يزرده الا حزنا وضيقا على ضيق ٠٠٠ وكانت هذه حلقة ترسم أبعاد مأساته
العاصفة التي كان يتجه اليها بسرعة في عنفوان شبابه الغض ٠٠٠

ولعل أصدق ما يعبر عن احساسه بالافتراق الروحي من شعر قوله في قصيدة
تفصح عن نفسية قلقة مفتاحها الافتراق الروحي : (١)

ظمئت ، على قربي ، من النهل والعلل
فهل صاف عذب الورد ظمآن من قبلي
وفقت بليلي ، ساهدا ، ولو اننى
تعزيت لم أشك التسهيد في ليلى
ومشت حياتى وحسة ليس ينتهـى
مداها ودونى سائر المحب والأهل

xxxxxxxxxxxx

هذه ملامح لأحزان شاعرنا منذ مطلع شبابه ندرك من خلالها مدى عمق المأساة
التي عاشها أحمد فتحى من مولده حتى الى يوم رحيله ٠٠٠ ومن هنا كانت
مأساة حياته العاصفة .

على أنه بعد أن عمل فابطا بالقوات البريطانية في الصحراء الليبية
ابان الحرب العالمية الثانية انتقل الى جزيرة صقلية حيث عمل في قسم
الدعاية والنشرات الحربية ٠٠٠

(١) مجلة الرسالة / من وحى الصحراء / ٢٧ يونية ١٩٣٨م.

- ١٧٢ -

ثم مالبت أن عاد الى القاهرة في أوائل عام ١٩٤٤م وحاول أن يجد
وظيفة مناسبة في القاهرة فأخفق ...

فلجأ الى صاحبه المرحوم محمد سعيد لطفى - مدير الاداعة المصرية
يومئذ - وقد كان على صلات طيبة بالانجليز ، فتوسط للشاعر عندهم
فعينوه مديعا بالاداعة البريطانية بلندن ...

واستعد شاعرنا للنظر الى لندن لتسلم مهام عمله الجديد ...
لتبدأ مرحلة جديدة في حياته وفي شعره

" لياى لندن "

عين أحمد فتحى بالأذاعة البريطانية. بلندن مديعا ومترجما للأخبرــــــــــــــــار
بالقسم العربى بها فى أواخر شهر فبراير عام ١٩٤٤م.

وكانت لندن تعاني فى تلك الحقبة من فترة مظلمة ظالمة تكاثرت فيها
القنابل الطائرة على العاصمة البريطانية فى عنفوان اشتعال نيران الحرب
العالمية الثانية .

وسط ظلام لندن الحالك فى تلك الحقبة المظلمة حاول أن يبدن أحزان ووجه
والأم نفسه فى الكأس والمرأة والسفر فأطلق لهوهميته العنان وكان ممن
أغرب نزوات شبابه فى تلك الحقبة أنه تعلم الطيران فى بقعة من أجمل بقاع
الريف ، فى جنوب إنجلترا ونجا من الموت فى محاولته الأولى بأعاجيب فريضة
ولم يحاول أن يقيد نفسه بمواعيد ثابتة أو بعمل معين ومرجع هذا كله
احساسه الحاد بالافتراق الروحى والوحشة النفسية مما جعله ينطلق فى
بوهيميته وعدم التزامه بقيودهــــــــــــــــا .

ويروى الأستاذ صالح جودت صفحة مجهولة فى حياة أحمد فتحى فى تلك الحقبة
فيقول : (١)

" على أن لندن قد حملته ذكرى ظل يدمع لها بقية حياته ... لقد أحسب
هناك أحب شابة انجليزية اسمها " كارول " وهى من بنات الطبقة المتوسطة ،
وكانت تشتغل كاتبة على الآلة الكاتبة ، وتزوجها ، ورزق منها طفلة سماها
" جوزفين " (٢)

ولكن كان لشاعرنا نشاط خصب ومثمر فى العاصمة الانجليزية ، فجانــــــــــــــــب

(١) بلابل من الشرق / ١٩٦٠م.

(٢) فى بعض اعترافات شاعرنا أن اسمها ماششة وأن الزواج تم عام ١٩٤٥م.

مولاته وجولاته العاطفية كان في نشاطه الثقافي ...

في الاذاعة كان يقدم احاديث ادبية وقام اثناء الحرب بترجمة خطب الرعيم
البريطانى ونستون تشرشل .

وفي احدى رسائله يتحدث عن جانب من نشاطه ، فيقول : (١)

"ماودنى النشاط الادبى بعد ان استقر بى المقام ، وقد فرغت من سلسلة
احاديث من رحلتى الى الصحراء ، وبدأت سلسلة اخرى عن الشعراء المعاصرين " .

وفي رسالة لاحقة بتاريخ ٢٦ سبتمبر عام ١٩٤٤م يقول :

" بدأت كتابة مؤلف جديد من لندن في زمن الحرب ، وربما استغرقنى بضعة
شهور ، وقد بدأت امس قصيدة غنائية وهى تبشر بشيء من طراز " الكرنك " وان كان
فيها روح ابيقورى ، ربما قاد الى خاتمة تمتاز بلون وطنسى " .

" ثم تاتى مأساة المأسى فى حياة شاعرنا ...

تعود شاعرنا ان يفرط فى الشراب ، فلا يكاد يفيق منه ، وهكذا لم يستطع
ان ينهض بتكاليف الزوجية وجاءه التذير حينما رفضت السلطات الانجليزية ان
تجدد اقامته هناك ، فكان عليه ان يرحل ويترك زوجته وابنته خلف ظهره ويبحث عن
اى مصير كانت هذه مأساة المأسى فى حياة احمد فتحسى ...

واستقال شاعرنا من الاذاعة البريطانية فى يونية عام ١٩٤٦م وعاد الى مصر
ولم يتح ان يرى ابنته الا عام ١٩٥٥م لآخر مرة وبعد وفاته بفندق كارلتون بالقاهرة عام
١٩٦٠م وجدت صورتها وهو يحتضنها بين يديه بثبت وأمل ...

(١) تاريخ هذه الرسالة صيف عام ١٩٤٤م ، وهى من ضمن مجموعة رسائله لصديقه

" في الأراضى المقدسة "

أثناء وجود شاعرنا بلندن تعرف على الشاعر السعودى الرقيق الأمير عبدالله الفيصل صاحب ديوان " وحى الحرمان " وبعد أن عاد شاعرنا الى مصر من لندن حوالى عام ١٩٤٧م بعد أن مكث بلندن لفترة بعد استقالته من دار الاذاعة البريطانية ذهب الى الأراضى المقدسة حوالى عام ١٩٤٨م ، وعين مراقبا عاما للبرامج بإذاعتها ، بمدينة جدة .

وكان له أثناء ذلك نشاط خصب ، فكان يشارك بالبرامج الجديدة والقضايا أجمل ألوان الشعر العربى قديمه وحديثه وغلّب على الاذاعة الطابع الثقافى اللطيف وأحدث تجديدات كبيرة فى برامج الاذاعة كما شارك فى النهضة الأدبية بالسعودية ...

وفى تلك الحقبة كان يمتطيه مديقه الشاعر الأمير عبدالله الفيصل فى رحلاته الصيفية بين مغانى أوروبا وبرومها فى باريس ولندن وروما ومالبعث أن استقال من الاذاعة حوالى عام ١٩٤٩م واستمر يعمل بالمقاولات فى الأراضى المقدسة وطلب له عمله الجديد المسال ...

وكانت لرحلات شاعرنا الى مصايف أوروبا وبرومها آثار عميقة فى شعره فأمدّه بزاد وفير من المشاعر والأحاسيس عكسه فى شعره وفى أدبه النثرى فيما بعد ...

وكانت هذه الرحلات البلىسم الذى داوى أحزان روحه لبعض الوقت بعد ليالى الحرمان والأحزان والوحشة .

ولكن سرعان ما عاد شاعرنا الى مصر عام ١٩٥٣م بعد أن ظل بضع سنوات فى الأراضى المقدسة فى بحبوحة من العيش والرفاهية ليبدأ فعلاً جديداً آخر فى حياته الخصبة العريضة .

أحمد فتحي صحفياً

عاد شاعرنا الى مصر في حوالى عام ١٩٥٣م ومعهُ بعض المال ولكنه كان مسرفاً ،
فأنفقه عن آخر في فترة وجيزة ...

وظل يحرر في بعض المجلات والصحف ينشر فيها مقالات وقصصاً مترجمة قصيرة
ويضع قصائد حتى ألحقه المرحوم صلاح سالم بصحيفة " الشعب " ليحرر صفحاتها
الأدبية ... وبدأ أحمد فتحي يحرر فيها باباً أدبياً شيقاً تحت عنوان " سوانح
وذكريات " ضمنه خواطره الفنية والأدبية والذاتية ... واتجه منذ
حوالى عام ١٩٥٥م الى الكتابة الأدبية والى النقد والى الحديث عن الكتب
وما يصدر منها في مختلف شئون الفكر والثقافة والفنون . وقد كان متمكناً من
اللغة الانجليزية التى أمانته على أن يطلع على آدابها وفنونها ويغترف منها
ما شاء له حسن ذوقه ورقة مشامره وولعه بالطريف فى النقد والأدب .

وأخذ أحمد فتحي يحرر تلك الصفحة الأدبية فى صحيفة " الشعب " وكانت
نتاجاً لتجاربه وقراءاته ، ومدى لمعاناته التى لزمته طول حياته .

ولكل أديب بوجه عام ، ولكل شاعر بوجه خاص ، فكرة أساسية تتجلى فى كمال
ماتجود قريحته . فهى كالمركز المغناطيسى الذى تتجه اليه سائر أفكاره
أو كمرکز الدائرة الذى تتشعب منه جميع الأشعة فى كل اتجاه .

وهذه القاعدة تؤشك أن تكون أزلية وعامة ، فمن شعراء الجمال فى الغرب
نجد بايرون وكيتس وشيللى ولامارتين ومن شعراء الطبيعة نرى بوشكين ووردزورث
الذى سموه " شاعر البحيرات " ومن شعراء الدراما شكسبير وراسين وكورنىس وفكتور
هيجو ، ومن شعراء الأدب المكشوف بودلير الذى أطلقوا عليه شاعر اللذة والألم ،
وزعيم الرمزية وهو صاحب مجموعة قصائد " أزهار الشر "
التي كانت السبب فى وفوفه أمام القضاء بتهمة انتهاك حرمة الآداب العامة .
ومن شعراء الوطنية فى العالم طاغور وداشنتزيو وكبلخ وفرديريك شيللر
وفولتير الذى مهد للشورى الفرنسية وكان يسمى " شرارة الشورى " .

ومهما يكن من أمر هذا التخصيص ، فإن الشاعر لاتقيدته قيود ، ولاتتقف لــــى
سبيله حدود ، ولكن المركز المغناطيسى الذى أشرنا اليه هو الذى يجذب أفكاره
ولا يغيب أثر منه مهما انشغل فى شأن من الشؤون

وإند مرب أحمد فتحى فى تلك الحقبة (١٩٥٥ - ١٩٥٩) عشرات القصص الغربية
القصيرة لكبار كتاب القصة القصيرة ...

كما كتب عشرات المقالات التى تملأ مدة كتب أدبية قيمة ...

ومن خواطره الأدبية التى سجلها فى تلك الحقبة فى بابهِ " سوانح وذكريات "
تلك الخواطر الشيقة بعنوان " أمواج وأشعار ونظريات " كتبها فى رحلة
الاسكندرية يقول فيها : (١)

" من أسوأ عاداتى أو أحسنها ... لاأدرى ...

اننى لأستطيع النوم فى ساعة مبكرة ...

وكان الليل قد انتصف منذ ساعة أو نحوها عندما انصرف منى الأخوان،

وتركونى وحيداً ...

" ووجدتها فرصة سانحة للتربيش سيرا على القدمين ، والخلوة بمديقتى

العظيم ، القديم ، البحر ...

" ومشيت ، ومشيت ، والأفكار تداعب صفحة ذهنى كما تداعب أنسام الليل

صفحة الأمواج .

" وطافت بى ذكريات من الماضى القريب والبعيد ... الشقى والسعيد ووقفت

أتأمل أنوار الطريق فى مرآة الخضم الزاخر ، الذى ألقى عليها الليل

وشاحه القاتم وتمتمت شفتاى دون قصد بقولى فى وصف الصورة نفسها منذ

سنيين :

وفى المساء السنة من لهب

على الماء قلبى ، فى ناره

(١) صحيفة الشعب / ٢٤ أغسطس ١٩٥٧م .

" وامتد بصرى الى صفحة الماء ورأيت فيها السنة اللهب تتراقص ، كأنها
مبارات مضطربة فى سياق قصة حب خالد . .

" ثم نفذ بصرى الى حنايا ظلوعى ؛ كان قبلى هناك ؛ بلا نار ولا نسور .
مجرد رماد بارداً .

" وفلتت طريقى فى زحام السنين ، والتي جرفنى موكبها العابر أمام عيىن
خيالى ، صورة بعد صورة ، وكلمة بعد كلمة ، وظلالا بعد أشعة ، وأمداء بعد
أنغام .

" وودعت الليل الراحل الى لقاء قريب ، ورحبت بالصباح الواعد لعير بقاء
وقلت للبحر : هكذا حظك من الدنيا ، وحظى أنا ، ودوام الحال من المحال " .

وكتب تحت عنوان " الحساب الختيمى " بمناسبة حلول عام جديد يفسوئ (١) :

" لعل من أكبر مشكلاتى أننى أحب مناجاة أحداث الماضى أكثر مما أجيب
التطلع والشوق ، إلى احتمالات أحداث المستقبل ، وأنسى كثيراً مناتسى نعتسى ؛
بين غدى وأنتسى .

ومع اعترافى نجوفى من تعقيد الحياة ، ومزولى الدائم عن وضع العشرات
فى طريق موكب أفكارى ، لأجد مندوحة من التساؤل والاستفسار ، لقد مضى عمام
كامل بأفراحه وأتراحه ، وأحداثه ، الكبار والمضار ، وأقبل على ، وعلى
أعصابى وعلى مواطنى ، وعلى أصدقائى ، وعلى غير أصدقائى فى الشرق والغرب
والشمال والجنوب ، عام جديد ، كلنا يرجو أن يكون عاما سعيدا ، وكلنا يرجو
أن تنبجس أيامه ولياليه ، عن خير شامل ، ونعمة سابغة ، وراحة بال واستتباب
السلام العمام

فهل تصدق الأحلام ؟ من يدرى . . . لعلها تصدق . . .

إذا صدقت الأحلام ، فيها ، ونعمت .

وإذ لم تصدق ، فلا حول ولا قوة .

أحلامي ، وأحلامك ، لا يمكن أن تصدق جميعها .

آلامي ، وآلامك ، لا يمكن أن تصدق جميعها .

مرحبا بالعام الجديد ، الذي لابد أن يحمل إلينا بعض الخير ، ولا بد
أن يرومنا ببعض الشر ، لأنه لا يمكن أن يكون كله خيرا ، ولا يمكن أن يكون كله شرا ،
فالدنيا دواليك ... يوم لك ويوم عليك ، وتلك سنة الحياة .

" في باكورة الشباب ، وفي ريعانه ، كنا نشجع العام الماضي فرحين
مستبشرين ، غير جازعين لفراقه ، ولا باكين عليه .

" وبعد الأربعين أصبحنا نبكي لفراق كل مام ذهب ونوحى خيفة من كل عام يقبل ،
وهذا منطلق من تراجع حساب الختام في نهاية كل مسام . "

وبعد ، لقد شهدت السنوات الأخيرة من حياة شاعرنا نشاطا ملحوظا في مجال
النشر ، فقد ترجم عدة كتب منها " فن الحياة " لأندريه موروا و جان كريستوف لرومان
رولان ولخص كتاب " علماء معاصرون " لتشرشل وترجم مختارات من شعير
ميلتون وبعض كتب برناردشو ، بجانب مؤلفاته التي نشرت في مطابع شبابه وهي
قصة " الله والشيطان " وهي أقرب إلى الحوار الفلسفي للقصة وديوانه البيتييم
" قال الشاعر " الذي صدر في القاهرة عام ١٩٤٩م وكان تعرفه بـ يندرج تحت ثلاثة أبواب هي:

١ - مناسبات : يغلب عليها القوائد السياسية والحزبية مثل محنة العرب - مؤتمر

أريحا - الدستور والانتخابات - باحمامة السلام ... الخ .

٢ - خصومات : يغلب عليها الطابع العاطفي والفزلي والوجداني مثل قصائد : أحزان

البيان - الرسم المحترق - الدمية الحناء - وصية راقية - نوم ... الخ .

٣ - أغاني : وتجمع هذه القصائد بين الشعر العاطفي والفزلي والشعر التصويري

الوجداني مثل : الكرنك - فجر - حديث عيني - هسات - أنت - نداء الغروب -

إليها وهي قصائد تغنى بها كبار المطربين مثل الموسيقار محمد عبدالوهاب

والموسيقار رياض السنباطي وأسماهان ولورد كاش ومحمد صادق .

المرأة في حياته

"ملهمة قصة الأمس"

كانت في حياة أحمد فتحي قصة حب كبير ... ألهمه أجمل قصائد الحب وأرقها في سنواته العشر الأخيرة ...

كان حبا تحوطه الأشواك من كل جانب ، فقد أحب امرأة متزوجة وكان حبا عنيفا عاشقا دام بين مد وجزر لعشر سنوات كاملة صار بين مرض الحناطة بكل العنقبات والأشواك التي تعترض حبهما العنيف .

يقول أحمد فتحي في بعض اعترافاته عن هذه التجربة :

" في هذه التجربة أحست للحب طمعا ومذاقا جديديين ...

" شعرت أنني أحييا حياتي من جديد ...

" كانت تبحث عن الحب مثلما كنت أبحث عنه والتقيننا عند هدف واحد ...

" وتعانقت روحانا وشعرت بيومها أنني كنت تائها بشرامى وسط محيط مطاظم وكانت هي المنار الذي أنقذني ...

" كانت علاقتنا تحوط بها الأسلاك الشائكة والألسنة الهامسة ...

" تحايلنا على الظروف ... كنا نلتقي وسافرنا الى أراض بعيدة ، ثم عدنا مرة أخرى الى القاهرة ...

" ألهمتني شفتاها أجمل قصائدي ...

" وعلى صدرها ارتاحت أروع خواطري ؛ وكانت كلها باسمي " .

وعاش شاعرنا هذه التجربة عشر سنوات كاملة ...

وأخيرا تغلب منطق العقل على صوت القلب والعاطفة فطلبت منه محبوبته

الافتراق ، وقالت له :

- سأظل أدرك دائماً ... ومن الجائز أن يكون الحرمان بالنسبة لك منجماً
تستهلم منه أعظم أعمالك الأدبية ...

وافتراقاً وعلماً قلبيهما اللوعة والأسى .

واعتكف شاعرنا عن الناس ، بعائش وحدته القاتلة وليس له من صديق
سوى الكأس والمصباح والذكريات ...

أهمته تصيدته الوجدانية الرائعة " قصة الأمل " التي تنبض بالحرارة
والمصدق وحرقة الوجد والتي استلهمها من وحى هذه التجربة التي صهرته
بالعذاب والتي يقول فيها :

أنا لن أعود اليك مهما
استرحمت دقائق قلبى
أنت الذى بدأ الملائكة
والصدود وخان حبى
فإذا دموت اليوم قلبى
للتصافى لن يلبى

xxxxxxxxxx

كنت لى أيام كان الحبلى
أمل الدنيا ودنيا أملى
حين فنتك لحن الغمزل
بين أفراح الغرام الأول

xxxxxxxxxx

وكنت عينى وعلى نورها
لاحت أراهير الصبا والفتون
وكنيت روحى همام فى سرها
قلبى ولم تدرك مسداه الظنون

ثم يبلسخ ذروة تأشيره ومتابه لعلمته الظلوم ، فيقول :

- ١٨٢ -

وعدتني ألا يكون الهوى ما بيننا
إلا الرضا والمصائب
وقلت لي أن عذاب النوى
بشرى توافينا بقرب اللقاء

XXXXXXXXXXXX

ثم أظفنت وعمودا
طاب فيهما خاطري
هل توسمت جديدا
في غرام ناقص

ثم يطلق شاعرنا هذه المرخة الحارة المتقدة من قلب حزين مكلوم
على هذا الغرام الذاهب وهذا الحب الغارب :

فغرامى راج
يا طول مرامى اليه
وانشغالى فى ليالى
السهد والوجد عليه

ثم نختف النغمة فى متاب هادى حزين :

وكنيت روحى هام فى سرها
قلبي ولم تدرك مداه الظنون

ثم يسهر شاعرنا واللوعة ملء جوانحه مع جراحه وشجونه لا يجد له
أنيسا إلا المصباح والأقداح والذكريات :

يسهر المصباح والأقداح والذكرى معى
وعيون الليل يخبو نورها فى أدمعى
بإلذكرارك التى
هاشت بها روحى على الوهم سنيها

- ١٨٤ -

ذهبت من خاطري

الا صدى يعتادنى حيناً فحيناً

وتمر لياليه طويلة ممضة مفعمة بالجراح والأحزان تخايله أطياف الذكريات
فتورقه في معبده الصامت :

قصة الأمس أناجيها وأخلام غدى
وأمانى حسان رقصت في معبدي
وجراح مشعلات نارها في مرقدى
وسحابات خيال هائم كالأهدى

ومندما تغنت أم كلثوم بهذه الأنشودة الرائعة بلحن رياض السنباطى
الدسم عكف أحمد فتحى فى غرفته يستمع اليها ويبكى وحيدا يعانى مرارة
التجربة ويستنشق مثير الذكريات ...

وظل أحمد فتحى " شاعر الجراح والمصباح والأقداح " يحمل لهذا الحب
أجمل الذكريات وأعذبها حتى آخر نسمة فى حياته

كان عندى وليس بعدك عنى
نعمة من تصوراتى ووجدى
باترى ماتقول روحك بعدى
فى ابتعادى وكبرياتى وزهدى

ثم تبلغ ذورة ياسه فبرجو لمحبوبه أن يعيش كما يهوى أما هو فسوف
يعتكف وحيدا لارقيق له سوى الجراح والمصباح والأقداح وليالى
السهد والوجد والشجن .

عش كما تهوى قريبا أو بعيدا
حسب أيامى جراحا ونواحا ووعودا
وليالى ضياعا ، وحبودا

- ١٨٥ -

ومناء يترك القلب وحيدا

ثم يسهر شاعرنا والرملة ملء جوانحه مع جراحه وشجونسه
لا يجد أنيسا له الا المصباح والأقداح والذكريات .

يسهر المصباح والأقداح والذكرى معى
وعيون الليل يخبو نورها فى آدمعى
يالذكراك التى عاشت بهى
روحى على الوهم سنينى
ذهبت من خاطرى
الا صدى يعتادنى حينى فحينى

" مأساة شاعر الكرنك "

كان أحمد فتحى قد عانى منذ صباه ، ألم الحرمان من حنان أبويه اللذين
رحلا عنه فى صدر صباه الباكر ، ثم لم يلبث أن تغلب فى أتون من عذابات
القلق والحيرة والاكتئاب .

وظافت به مطالب العيش بين مختلف الأصقاع فى غرب أو شرق . وكان حظه
من متاع الحياة أقل من القليل .

ولولا نوازع انسانية فى قلوب بعض من أحاطوا به لساء حاله عما كان عليه ،
فماذا تنتظر من هذا الشاعر الذى لقى من دهره كل هذا العناء من ضن النصيب
وقسوة الحرمان ؟

عاش أحمد فتحى حياة قليلة مفترية ، كما لو كان قارباً فى محيط ،
ضاع منه المجداف ، وانفصلت عنه دفتيه ، وتمزق من فوقه الشراع ...

وكان هو يطلب العلم فى إنجلترا (١٩٣٠ - ١٩٣٣) على نفس القدر من
القلق والحيرة وهو فى الأقصر (١٩٣٨) فلقد نشأ قلقاً منذ طفولته ولأزمه
قلقه الذى كان يسرى مع دقائقه حتى آخر يوم فى حياته .

والقلق نعمة فى صورة نقمة للشاعر الملهم . انه من ذخايره من حيث
لا يبدى ... وهو من هوائفه من حيث ينحى عليه باللائمة وهو من قبل ومن بعد ،
نار ونور ، يتلظى منها ساعة ، ثم لا يلبث أن تعكس حرقها نورا على ما ينظمه
من قصيد أو نشيد أو أغنية . انه القائل :

نوحى على قلق الغصون ورجعى
بأطير آهات الفؤاد الموجه
واستودعى الألحان من حرق الجوى
وشجونه ماشئت أن تستودعى

xxxxxxxx

والنفس إذا استبد بها القلق والحيرة ، نفس من عناشها بالغناء تنظمه
فى شعر يفيض بالموسيقا العذبة الشجيرة .

والطير والغريب والمحروم والعانى ، سواء فى رقة مايتغنون به . وكأنما
نشأ قدرة الله وارادته أن تعوضهم عما يعانون ، فتفدق عليهم من الملكات
أروعها وهو الغناء والموسيقا .

وكان شعر أحمد فتحى فى جملته يغننى ، وترى ألفاظه وهى تمدح كأنها
الوتر الحزين أو الكنار الشجى الباكى .

أنظره فى هذه الموسيقا الشعرية :

قالوا يرامك قد تنكب فى القوافى قلت أنه

مافضله ان لم يخلد مجد صاحبه وفننه

بالتأفبات الرائعات المحدثات فنونهنه

xxxxxxxx

كانت مأساة أحمد فتحى أنه لم يستطع أن يقيم توازنا بين أحلام قلبه
وواقعته . . . وكان دائما لديه احساس حاد بالاعتراب الروحى ، فعاش قلته
حزينا مشردا فى الأرض ، لازوجة له ولاولد ، ولأمال ولاصديق وفى ، لاترى حوله
ان شقى أو مرض أحد من ذويه ولاصاحب الا الكأس ، يرشها فى نشوة ، وتصرعه فى
قسوة .

ويلقى شاعرنا الأضواء على سر أنغماسه فى اللذة فيعمل سر أبيقوريتته
المنتشية المرحجة ، فيقول : (١)

" ان تنشئش الموحشة قد ملأت قلبى ظمأ الى أنس المجتمع ، ومباهجه
السافرة . " كانت أيام شبابه الأولى ضروبا من الوحدة والضعف والألم ،
وليس معنى هذا أننى كنت أحيا بمعزل عن سائر خلق الله ، كما تحيا الشجرة

(١) أحمد فتحى / الله والشيطان / ١٩٣٩م / ص : ٨ .

الناهبة فى جوف الصحراء ، ولامعنى ذلك أننى نشأت مهيبى الجناح معقل البدن ،
ولأننى كنت أعيش فى بوتقة تنصهر فيها الدموع ٠٠٠٠ كلا ٠٠٠ ولكننى كنت
فى محيط أشعر فى أعماقى أنه لا يمنحنى من الحب بعض ما أمنحه ، وأرجو أن يمنحنى ،
وكان هذا يشعرنى دائما بأننى ضعيف بمن حولى ، فما كان بوسعى اعتبارهم
قوة أصمد بها فى وجه الأيام .

" وكان هذا الشعور يجعل حياتى معرضة لأحزان طائفة تغشى لحظات سعادتنى
على قلبها " .

من هنا كانت مأساة شاعر الكرنك ٠٠٠

هرب الى العراة والكأس والسفر والحرب يحاول أن يجد فيها ملاذا من أحزان
قلبه وآلام روحه فتحطم ٠٠٠٠

وكانت مأساة شاعر كبير حساس .

وفى سنواته الست الأخيرة (١٩٥٤ - ١٩٦٠) بلغت مأساته ذروتها ٠٠٠

كان يذوب تدريجيا ٠٠٠٠

كان فى تلك الحقبة يعانى من علة الكبد ، وكان ساخطا على الأدب والفن ،
وقلة ذات اليد بالإضافة الى أنه بين كل هذه العوائق وحيد لاروجة ولا ولد
ولا أهل .

وفى تلك الحقبة كانت المدممة التى هزته من أعماقه هزا هنيئا ٠٠٠
فقد قررت محبوبته اللمسة الحانية فى حياته ولمحة الفؤء فى الأنقى
المظلم - قررت الافتراق منه بعد حبادام سنوات ٠٠٠

وأحس بالمرارة والضياع فلجأ الى الليل وأهمل نفسه ومحتة وهام بالعزلة
وكلف بالوحدة وطفق يسرف فى الشراب يدفن فيها أحزانه وانطوى على نفسه
بعيدا عن المجتمع فى وحدة قاسية ممضة لارفيق له سوى المصباح والأنداح
والذكريات :

يسهر المصباح والأنداح

والذكرى معى

وعيون الليل يخفى

نورها فى آدمعسى

شم راج يدوب تدرجيچيسا ...

واشدت عليه العلة ودخل المستشفى الايطالى بالقاهرة وبعد أن خرج من المستشفى فى شهر اكتوبر عام ١٩٥٩م خرج ومعه ذكرى لملاك أبيبى رآه ... راهبة فى ثيابها البيضا زاهدة الا من انسانية لاتمن بها وانما تحاول أن تعطيهما وهى تحنو عليه مع جمال روح ورضاء نفس وابتسامه نقباء ... وكان أحمد فتحى يعيش فى تلك الحقبة من حياته فى جو من الروحانية والصفاء فكتب وهو على فراش المرض قصيدة بعنوان " راهبة أم ملك " يقول فيها : (١)

أجل والمسيح الحى والجو الفانى
لقد عاش فى قلبى ، مع الحب ، طيفان
رجاء وشبك البرء ، ترقص روحه
بخفة مفتون ، ونشوة فتسان
وبأس قريير العين مايرنو خيالسه
الى جنة الفردوس ، فى العالم الثانى
فلا تجزى ، ياأخت ، أنك خاطر
يطل على حانى ، لسمع ألحانسى
وماألحان الا معبدى ، ويقدسه
أقيم ملاواتى ، وأخلو بايمانسى
وهبت صباه للسماء ، فطهرت
جمال ، فلم يدنس ، بقصاص ، ولادان
زهديك فى دنيا السورى ، ومتاعها
تلبور نفسى ترتضى كل حرمان
وياأخت : هذا الزهد آية نعممة

من الله ، توحى باحتساب ، وغفران
فداوى سقام الناس ، واهتمى لهم
بلطف سماح ، أو بشاشة احسان
فان الثواب الحق ، ليس ينالـــــــــــــــــه
سوى قلب وافر مالا يفضن بقربــــــــــــــــان

ومندما أقبل العام الجديد ٠٠٠ عام ١٩٦٠م كتب قصيدة يكاد يرثى فيها
نفسه ٠٠٠٠ والغريب أنه توفى في هذا العام بالذات ٠٠٠ يقول في هـــــــــــــــــذه
القصيدة : (١)

قال لى ، والليل يسرى بيننا
نغم يسرى ، سوألا ، وجوابنا
ماثرى الأيام ، فى آشارنا
مسرعات الخطو ، تنساب انسيابا ؟
مالنا نذكر من موكبهـــــــــــــــــا
انه يدهم شيبا ، وشبابنا
قلت والفجر جبين مشـــــــــــــــــرق
وجناح الليل فى الأنوار ذابنا
هكذا الدنيا ، وفى حالاتها
حيرة الفكر ، يقينا ، وارتياننا
ذهب العام الذى روعناـــــــــــــــــا
منه ، ماروع ، سلما ، وعذابنا
ماثرانى طمست آثـــــــــــــــــاره
فى خيالى لومة ، الروح ، عقابا
لم أعد أرجو ، ولا أخشى ، ولا

سواء ان أحسنوا ، أو ، أساءوا

وفى صيف عام ١٩٥٩م زار شاعرنا ملاعب صباه بالاسكندرية وذهب الى
شاطى البحر يبهشه همسات قلبه ونجوى روحه :

قلت لموج البحر ياموكبـــــــــــــــا
تراه عينى بين حيين وحيــــــــــــن
أمواجك الزرقاء تروى لنــــــــــــا
قصة حب ماش ملء السنيــــــــــــن
هو الهوى الخالد يسعى به
الى ضفاف الشك همس البيــــــــــــن
وهو - على قلعة علمى به -
آية جبار الحظى مستكبيــــــــــــن
يوحى الى الزورق أحلامــــــــــــه
فيهجع الليل وراى السكــــــــــــون
ولى ، شرع ، سابع لونه
كلمحة الحجر يضىء العيــــــــــــون
يهمس للشاطىء فى رقــــــــــــة
تذوب فيها عبرات الحنيــــــــــــن
مابال هذا الرمىل حياتــــــــــــه
تسمع منا كل رجح السنيــــــــــــن
نشكو اليها بادرات الأســــــــــــى
فيما يكون اليوم أو لايكــــــــــــون
ونسكب السر على سمعــــــــــــه
وقد تمون السر أو لاتــــــــــــون

ورغم أن شاعرنا حاول أن يدفن فى الكأس والشعر ذكريات غرامه الكبير
لينسى الا أن طيف الحب كان يطارد خياله فى صحوه ومنامه ، فكتب

بعائسب محبوبته بحر الفراق يقول : (١)

أنا لست أعفو عنك ، أنك ظالم
والظلم لأرضى ، ولا أخشاه
ان كان بي نغف اليك ، فقد مضى
عهدى به ، وشقائه ، ورضاه
أنت الذى أحرقت سفر غرامنا
بجماله ، وفلاله ، وهمداه
ورسعت لى هذا الطريق ، فلم يعد
لى من طريق فى الحياة ، سواء
أمضى به وحدى فبعدك لم يكن
لى ، غير وحشته ، وطول ضنائه
عثراته لاتنتهى ، وظلامه
لاينقضى ، وأقول : أين مداه ؟
مهما يظل بي السير فيه ، فاننى
مترقب لظلاله ، وممداه
ولك الشناء بما صنعت بمهجتى
فلقد كشفت عن الفؤاد ، عمائه
وأعدت لى نفسى ، وكم من غائب
قد ورد غربته اشتداد جواه

XXXXXXXXXXXX

ثم راح يذوب تدريجيا .. حتى تحطم كسامر ثم كانسان وكما عاش
وحيدا ... مات وحيدا فى الغرفة التى قضى بها أحوامه الأخيرة
بفندق كارلتون بالقاهرة .

(١) الأهرام / ١٦ ابريل ١٩٦٠م .

وكانت العلة - غلة الكبد من أثر الكأس - فقد اشتدت عليه في عاميــه
لأخيريــن ، وعاودته أكثر من نوبــة حملته الى المستشفى أكثر من مرة ،
تي كانت ليلة الأحد ٣ يوليو عام ١٩٦٠م حين أوى الى غرفته بالبنســدق
عد منتصف الليل ، وعاودته النوبة ، فاستنجد بطبيب من أصدقائه ، وجــاء
الطبيب ، فوجده قد أسلم الروح واستراح ...

ووجدت بجانب فراشه صورة ابنته الوحيدة " عائشة " البعيدة فــس
لسدن كما وجدت قصيدة على مكتبه ... كانت من القصيدة الأخيــرة
التي كتبها ولم يجف مداها بعد قبل رحيلــه ... وكانت قصيدة حسب ...
وكما بدأت حياته بالحب انتهت به ، وحل الشاعر وهو يهمن لمحــبوبته
قلبه المهاجرة :

أحبك جهد الحب ، بل فوق جهده
وأطوى الى يوم اللقاء الليالي
أحب خيالي فيك ، أبيض ناعم
وأخضر ريان ، وأحمر قانيــا

XXXXXXXXXXXX

مكانك عندي ليس عندي سوى المنى
بذلت قصارها على الوصل ، والهجر
... لك الدنيا ، فان عســدت
لمبسر

XXXXXXXXXXXX

رمت بسى الى دنيا هواك المقســادر
فلا أنا معذور ، ولا أنا عســادر
على أنها الأيام دارت مدارهــا
فلا أنا منهم ، ولا أنا آمســر

XXXXXXXXXXXX

- ١٩٥ -

وهكذا كان نصيبه من الدنيا ... الدنيا التي عاشها طفر اليديين ..
وخرج منها طفر اليديين من كل شيء ... من المال ، ومن الحب ، وحتى ممن
الذكوري ...

ان الذين يذكرون أنشودته " الكرنك " و"قصيدة " قصة الأمس " الآن ، قد
لا يذكرون اسمه .. أو يعرفون منه شيئا ...

لقد عاش أحمد فتحي لآخر لحظة من لحظات حياته - رغم أحزان قلبه وآلام روحه
محباً للدنيا بكل ما فيها وبلغ توجهه مداه فاحترق فانطلقاً وبيت من الشعر
على شفتيه

رحل شاعرنا في الثالث من يوليو عام ١٩٦٥م ومله قلبه الحسرة والمـرارة
والأسى ودفن بمقابر الامام الشافعي بالقاهرة .

تلك كانت ملامح مأساة شاعر عاش للحب وظل يفتنى للحب حتى آخر نسمة فسي
حياته الخيبة العريضة ...

لقد كان شاعر الكرنك ، أحمد فتحي من أرق شعرائنا الرومانسيين ، عاش
كالطائر الجريح ؛ قلنا ، حزينا ، حائرا ، لا يجد للاستقرار سبيلا أو للراحة
معنى ...

ومن هنا كانت مأساته ...

وقد قدمنا في الصفحات السابقة قصته مع الليل والمرأة والسفر والاعتراب
الروحي .

" شاعر الرقة العاطفية "

كتب عباس محمود العقاد في مقدمة كتاب صالح جودت " ناجى ، حياه وشعره " يصف أسلوب ابراهيم ناجى بأنه ينتمى الى مدرسة الرقة العاطفية وقال أن مدرسة الرقة العاطفية كانت غالبية على بعض أصحاب الأقلام الناطمين والناشرين من أدباء تلك الفترة فى الثلاثينيات

وهذه الصفة يشترك فيها كل الشعراء الرومانسيين الغزليين وجلهم ظهرت بواكير شاعريته على صفحات مجلة " أبولو " فى الثلاثينات وبهذا تندرج هذه الصفة على شعر ناجى وصالح جودت وعلى محمود طه وكامل الشناوى .

وبهذا المقياس نقول أن أحمد فتحى كان شاعر الرقة العاطفية sentimentalism وخير مصداق على هذا تصاعده الرقيقة الهامسة التى تذوب رقة ومدوبة وموسيقية يقول فى قصيدته " فجر " التى يغنيها رياض السنباطى : (١)

كل شيء راقص البهجة حولى هاهنا
أيها السائى بما شئت اسقنا ثم اسقنا
واملاً الدنيا غناء ، وبهاء ، وسنا
نسيئنا ، لم لانسى أماريد المنى
علنا أن تعرف النوم هنا أعيننا

وأبداع شاعرنا فى الأسلوب الشعرى poetic style فى قصائده فى نفس القصيدة نجد تلك التعابير الموحية القوية مثل " هتافات الربى " و " جبين الغد " وغيرهما ، يقول :

ذهب الأمس بما راع ، ويومى ذهبنا
يسرع الليل فرارا ، من هتافات الربى

(١) أحمد فتحى / قال الشاعر / ص : ٢٧ / القاهرة / ١٩٤٩ م .

وجبين الغد يلقي ، عن سماه الحجبنا
 بامشا في جانب الأفق بشيرا محسنا
 تسبق الفرحة خطاه ، قبلما يبدو لنا

كما نجد الرمز الشعري poetic symbol في القصيدة حين يهيىب
 بالساقى أن يبعد الكأس عن فمه لأنه يريد أن يفيق من أوهام الخيال
 وشطحاته :

رد كأسى عن فمى بآيها الساقى ودمنى
 كل مامر بنا وهم خيال وتمننى
 حسبنا وهما ، وطمنا ، وخيالا ، حسبنا
 أقبل الصبح ، فهل تدرى بماذا جاءنا ؟

وفى أسلوب أحمد فتحى نرى الاشراق والتوثد والعذوبة والرقّة ، وكلهها
 تندرج تحت صفة " الرثة العاطفية " وكل ذلك فى حسن نسق وجمال ايقتاع
 وموسيقا هامة رقيقة فى شعره موسيقا معبرة رقيقة تطبع شعره كله بجرس
 هامس وايقتاع رقيق هادى* .

يقول فى قصيدته الوجدانية " ظنون " (١)

ألقاك مفتون الخيال معذبنا
 ما بين شك حائر وبيقيننا
 أشكو اليك من الظنون وربمنا
 سبقت اليك هواجسى ، تشكوننى
 وأرى السنى والطهر فيك فتنطنوى
 عنى خيالاتى وهم ظنوننى

وفى قصيدته الغزلية الرقيقة " أنت " التى يتفننى فيها بسحر محبوبته
واشراقها نجد رقة اللفظ وجمال المياعة وطرافة المعنى فى أسلوب
موسيقى هامس رقيق يقول : (١)

سألتنى عنك أشواقى وأحلام سهادى
وأمانى التى تمحبنى فى كل واد
وخيالاتى ، وما أكثر ما تغشى فؤادى

XXXXXXXXXX

أنت فى عينى ضياء لاترى عينى سواه
كلما أشرق حيانى شعاع من سننائه
تبعت الفرحة والنشوة فى روى خطاه

XXXXXXXXXX

أنت فى سمعى نشيد قداسى النغم
كلما طاف بأفاقى توارى ألمسى
وتناسيت نواحى ، وجراحى ، ودمسى

XXXXXXXXXX

أنت فى قلبى معنى سره الباقى مضمون
يمسك الدنيا ولا تدرك مرماه العيون
لو يقولون عرفناه ، فوهم ، وظنون

XXXXXXXXXX

أنت فى عينى، وفى سمعى ، وفى قلبى، مقيم
أبدا أشدو بذكراك وأصبو وأهيم
هى فى بعدك ألعاسى ، وكأسى ، والسديم

(١) قال الشاعر / ص : ١٣٥ .

اننا نجد هنا المعنى العميق والموسيقا الهامسة والرقعة العاطفية
واللفظة الحية .

والرقعة عند شاعرنا طبع أسيل عنده وقد ابتكر تعبيرات جميلة وأصناف
الى قاموس الوجدان تعبيرات قوية ومعانى عميقة رائعة ، يقول فى قصيدته
" اليها " : (١)

كيف أنساك ، وقد طاف الهوى أمس علينا
فشربنا صفوة حتى روينا وانتشيننا
ونسجنا حولنا الأحلام من وشى يديننا

كما وفق فى استخدام الصورة الحية Living image فى شعره .
يقول فى نفس القصيدة :

كيف لأسترحم الطيف اذا مر وحيــــــــــــا
وأناجيه بحبى ، وأناديه اليــــــــــــا
عله يرحم ، أو يعطف ، أو يحنو، عليا

ولأحمد فتحتى ثدرة بارعة فى التصوير بالضوء والظل والصوت فهو من الشعراء
التصويريين المبدعين الذين يجيدون اضاء الظلال فى شعرهم مما يكسبه قوة وعمقا
ومدنا وجمالا .

ان الصورة الشعرية عنده
والمصدق النفسى .
دقيقة ومعبرة وناهضة بالحرارة

فى قصيدته التصويرية الوصلية " الكرنك " يبلغ أقصى غايات التصوير بالضوء
والظل ، فهو فى أبيات القصيدة الأولى يرسم لوحة جميلة يبرز فيها الشعاع الجميل
الساحر : (٢)

(١) قال الشاعر / ص : ١٢٩ .

(٢) قال الشاعر / ١٩٤٩ م / ص : ١٢٣ .

- ٢٠١ -

والأنوار المبهجة ، فرغم جراح الطائر (وهو هنا الشاعر) ، فهو يرسل
النغم طوا رقيقا ناعما وكأنى به صوت الشاعر نفسه الذى تصدر قيثارة
أمدب الأنغام وأرق الألحان رغم جراح روحه وآلام نفسه :

ذلك الطائر مخفوب الجناح
يسعد الليل بآيات المبهج
ويغنى نسي غدد ورواح
بين أفصان وورد ناشور

وبعد ، فأسلوب أحمد فتحى فى مجموعته صورة من نفسه اللمحة وطبعه
الرقيق ، وان ملامحه الروحية والنفسية والوجدانية ممثلة فى شعره أصدق
تمثيل وأعمقه ولذا جاء شعره انعكاسا صادقا لانفعالاته وأحاسيسه وبصدق
عليه قول " بافون " ان الأسلوب هو الرجل نفسه .

هذا هو غاية الفن الأدبى الأصيل الصادق الخالد على مر العصور
والأجيال .

- ٢٠٢ -

مختارات

من شعر أحمد فتحي

قصيدة الأمل

أنا لن أعود اليك مهما
استرحمت دقات قلبى
أنت الذى بدأ الملل
والمسودود وخان حبى
فاذا دعوت اليوم قلبى
للمساء فلن يلبى

xxxxxxxxxxxx

كنت لى أيام كان الحسب لى
أمل الدنيا ودنيا أمل لى
حين غنيتك لحن الغم
بين أفراج الغم رام الأول

xxxxxxxxxxxx

وكنت عينى وعلى نورها
لاحت أراهيبر الصبا والفتون
وكنت روحى هام فى سرها
قلبي ، ولم تدرك مسداه الظنون

xxxxxxxxxxxx

وعدتنى ألا يكون الهوى ما بيننا
ألا الرضا والمساء
وقلت لى ان عذاب النوى
بشرى توافيننا بقرب اللقاء

xxxxxxxxxxxx

شم أظفست ومـــــــودا
طباب فيهما خاطــــرى
هل توسمت جديــــدا
فى غرام ناقــــر

XXXXXXXXXX

فغرامــــى راج
ياطول غرامــــى اليه
وانشغالى فى ليالىــــى
السهد والوجد عليــــه

XXXXXXXXXX

كان عندى وليس بعدك عنــــى
نعمة من تصوراتى ووجــــدى
بياترى ماتقول روحك بعــــدى
فى ابتعادى وكبيرياى وزهــــدى

XXXXXXXXXX

عش كما تهوى قريبا أو بعيدا
حسب أيامى جراحا ونواحا ووعودا
وليالى ضياعها ، وجحــــودا
وعناء يترك القلب وحيــــدا

XXXXXXXXXX

يسهر المصباح والأقداح والذكرى معى
وعيون الليل يخبو نورها فى أدمعى
بىالذكراك التى عاشت بهــــا
روحى على الوههم سنينــــا
ذهبت من خاطــــرى الا

- ٢٠٥ -

صدى يعتادنى حيننا فحيننا

XXXXXXXXXX

قصة الأمل أناجيها وأحلام غدى
وأمانى حسان رقصت فى معبدي
وجراح مشعلات نارها فى مرقدى
وسحابات خيال هائم كالأيدي

الهمشـرى

شاعر الأعراف

(١٩٣٨-١٩٠٨)

لقد كنت في الدنيا جمالا لا يرينها
بما شاده شعري على هذه الدنيا
خلقت لروحى سحرها ، لا لغيرها
ومن أجلها أفضى ، ومن أجلها أحيا
إذا ذبل النارجع عاش عبيــــره
وكان له في الوهم من نفعه محييا
ويخلد بعد البدر في الفكر رونق
يفدى خيال الشعر والحب والوحيا

(الهمشـرى)

" شاعر من المنصورة "

- (*) هاجر أحمد الهمشري منذ مائة عام تقريبا من ألمانيا الى مصر
وتزوج وأنجب فيمن رزق من ولد ، بعثمان الهمشري والد شاعرنا ...
تعلم عثمان الهندسة ، وأقام " وابور طحين " على مقربة من الأرض التى
تركها له أبوه فى السنبلوين ، وتزوج زوجة لكنه لم يرزق منها بولد فتزوج
من مصرية ، من المنصورة ، هى السيدة " عائشة محمد وهبه " شقيقة الكاتب
المحلى اللامع محمد التابعى .
ورزق منها خمسة أولاد وبنات هم على التوالى : محمد ، ويوسف ،
وزينب ، وأحمد ، وسعد ، ومحمود .

XXXXXXXXXX

كان ذلك فى يولييه عام ١٩٠٨ م

حين خرج محمد عبدالمعطى الهمشري الى النور على شاطئ رأس البر ،
اذ كانت الأسرة تمطاف هناك كما اعتادت كل صيف ...
وقد سمى عثمان الهمشري أبناءه بأسماء شاعرية فسمى شاعرنا " محمد
عبدالمعطى " ...

وشب شاعرنا وترعرع بين ربوع السنبلوين الخضراء ومنذ صغره شد انتباهه
الكلمة المكتوبة ، ومنذ صغره حفظ القرآن الكريم فى كتاب القرية وجسده
وفى المرحلة الابتدائية زادت قراءاته الشعرية وأعجبه شعر البحترى والمتنبى
والشريف الرضى ثم استوقفه طويلًا شعر أحمد شوقى وشد انتباهه لقوة معانيه
وحلاوة جرسه .

ثم أتمج دراسته الابتدائية بالسنبلوين ، فالتحق بمدرسة المنصورة الثانوية
وهنا ظهرت مخايل عبقريته وموهبته الأصيلة فى نظم الشعر .

XXXXXXXXXX

ر. ت. إن ذلك عام ١٩٧٥ م حين أنجزت هذا الكتاب .

ولمى المنصورة كانت هناك ارهافات لشعراء اربعة أصبحوا فيما بعد ممن
أبرز فرسان شعرنا العربى المعاصر ...

فى الفترة مابين أعوام (١٩٢٢ - ١٩٣١) شهدت مغانى المنصورة وربوعها
مولد هؤلاء الشعراء الرومانسيين

كان بالمنصورة فى تلك الحقبة الشاعر الدكتور ابراهيم ناجى وكان يعمل
موظفا بمستشفى السكك الحديدية بالمنصورة والشاعر المهندس على محمود طه
وكان يعمل مهندسا بهندسة مبانى المنصورة ثم صالح جودت والهمشرى طالبان
بمدرسة المنصورة الثانوية .

والتقى جمعهم على شاطئ المنصورة ، فكانوا يجلسون فى نهاية كل
يوم على شاطئ النيل ، يقفون أجمل ليالى العمر فى حديث دلادب
والشعر والجمال .

وكانت لهم صخرة يجلسون عليها وهى مكان بناء عن المنصورة بين النيل
والصحراء فأطلقوا عليها " صخرة الملتقى " واستوحوا منها أجمل الأشعار
وأعذبها

ومن المنصورة بدأوا يرسلون المجلات الأدبية بالقاهرة فتنتشر لهم انتاجهم الشعرى
وشهدت المنصورة تألق عبقرية هؤلاء الشعراء الأربعة الكبار ثم
مالبت أن انفض الجمع

وفى عام واحد هو عام ١٩٣١م رُحف الأربعة نحو القاهرة ناجى الى وظيفته
بالقسم الطبى بمصلحة السكك الحديدية ، وعلى محمود طه الى وظيفته كمهندس
بوزارة الأشغال ، والهمشرى الى كلية الآداب ، وصالح جودت الى كلية التجارة
ولكن الهمشرى كان يؤمن بتفرغ الشاعر لانتاجه الفنى فحسب فلم ترتسه
الدراسة بكلية الآداب فأهملها ولم يعمر بها سوى عامين وقطع دراسته ليتفرغ
لرسالة الشعر والأدب .

" مع جماعة أبوللو "

عندما قامت جماعة " أبوللو " عام ١٩٣٢م اتصل بها شاعرنا وأصبح مسن كبار شعراء الجماعة رغم حداثة سنه إذ لم يكن في تلك الحقبة قد تجاوز الرابعة والعشرين من عمره .

وشهدت صفحات أبوللو شعره الجديد الذي استحدث فيه معاني جديدة وأساليب وصوراً حية نتيجة لقراءاته الواسعة لأشعار شعراء الرومانسية الانجليز؛ ورددورث ، وشيللى ، وكيثس ، وبيرون ، وبيليك .
و شد انتباه الأدباء والنقاد أنه استحدث صوراً حية نابضة بالحركة وتشبيهات رائعة غريبة مثل السكون المشمس وهيكل الأحزان وغيرها من غرائب التعبيرات والصور الرمزية الموحية العميقة الدلالة .

" مرحلة الوجدان الذاتى "

ونستطيع أن نسمى هذه المرحلة " مرحلة الوجدان الذاتى " وهى تمتد
من عام (١٩٣٣ - ١٩٣٤) وانتج فيها الكثير من انتاجه الفنى .
ومن مطالع انتاجه فى مجلة أبولو تصيدته " عاطفة فى سكون الليل
يقول فيها : (١)

أشرفى كالصبح غراة الجبين
وانشرى نورك يهدى العالمين
واطلعى فى ليل حزنى كوكبا
تعمينى من فلال العاشقين
واطرحى فى قفر عمرى زهرة
علها تنمو وتزكو بعد حين
وابسقى تبسم لنا بيشى المنى
واحكى تضحك لنا فى السنين
هاهو الليل كما كان بدا
يحمل الحزن للقلبى والحنين
"هيكل الأحران " فى مذبحة (٢)
قرب العشاق قربان العيون (٣)
اننى عاطفة قد عالها
منك فخر طيه الموت دفين
حاولت تعرف أسرار الأسى

(١) أبولو / يناير ١٩٣٣م / ص : ٥٥٤ .

(٢) هيكل الأحران : الليل .

(٣) قربان العيون : الدموع والنجوم .

منك بالليل وأسرار الأنين
 فاستحالت جدولا تعبوره
 فرعات الموت ليلا في سفين
 هذه أغنيتي رتلتهما
 لك يادتيباي في دهر السكون (١)
 لحنها أنت ، وحرني وقعهما
 ونذير الموت بعض السامعين
 لائلومي ما بها من حزن
 انما الأحران موسيقا الحزين
 أهدب الألحان لحن الفرقت
 فيه أنات الأسي طي الحنين
 عاتقينى في الدجى . . . اقتربى
 اننى أفرع مما تفرعهمين
 قربى خدك فمينى السى
 صدرك الحانى . . . الشمى هذا الجبين
 عاتقينى فيك أفنى مثلما
 فنيست في الله روح الناسكين
 انما نحن كركب فل فسس
 تيه صحراء بقوم تاهين

(١) دهر السكون هو الليلى .

" ملحمة الأعراف "

ثم لم يلبث أن نشر ملحمة الرائعة " شاطئ الأعراف " التي تعد من معالم التجديد في شعرنا المعاصر وقد بدأ يكتب هذه الملحمة وهو بالمنصورة وأتمها في القاهرة ونشرها في أبوللو كاملة في فبراير عام ١٩٣٣م أي وهو لم يتجاوز الخامسة والعشرين من عمره .

وقد كتب لها مقدمة قيمة شرح فيها فكرتها وكشف عن العوامل والمؤثرات في خلق فكرتها وانجازها ، فقال : (١)

" هي ذكريات حزينة ، تحاول أن تحجبها أكفان سنوات أربع ، فتهتكها أشباح سوداء لاتزال تتراءى أمام عيني .

كنت آنئذ في المنصورة ، وقد مرت علىّ فيها سنوات ثلاث تغيرت نفسي أثنائها نفسي ومالت الى صورة باهتة من الأمل المكتسب اليائس .

" ولست أدري أكان جو المنصورة هو الباعث على ذلك ، وهل كان في أمسيات شتائها الحزين المقبض مبعث في نفس هذا الشعور الحزين المتشائم نحسو الحياة ، أما كان ذلك على اشرف خلجة ... أستغفر الله ... بل خلجات كثيرة خفق لها قلبي في أدوار حداثة مرت بين التاسعة والخامسة عشرة ، التي انتهت الى الثامنة عشرة من عمري .

" هي خلجات أنهكت قوى هذا القلب ، وأحالت شعاع الأمل الربيعي الفاضك الى خطفات باهتة من شفق شتاء ، ومازالت تخفق على فحلها فنى محراب قلبى " .

" ثم تركت القاهرة الى " نوسا البحر " وهي قرية تتكئ على النيل ، ويخيم عليها جو المنصورة أكثر ما يكون وحشة وانقباضا .

(١) أبوللو / فبراير ١٩٣٣م / ص : ٦٢٧ .

" مكثت بهذه القرية خمسة أيام ، كنت أختلف في أمسياتها الى مكان هادئ يشرف على النيل في مشهد رائع ، طالعت على مبعدة أشجار باسقة مسنن الصمصاف واللبخ والجميز وهائش الغاب ، فكانت تكسبه روعة في الليل ضافية ، وكأنها بعض عباد البراهمة فنيت نفوسهم في زهول العبادة ، وهم ينهتسون بألف أذن الى مزامير الآلهة .

" ثم كانت بعد ذلك كله نواة قصيدة " شاطئ الأعراف " فالنيل لم يكن غير نهر الحياة والموت في هذه الأعراف ، والظلمة المرومة التي كانت تألف نفسها إليها ، هي رهبة الأبدية في هذه الأعراف أيضا " .

ثم يهدي في النهاية ملحمة الأعراف الى الروح العالية التي يتغنى بها والتي ألهمته هذه الملحمة وهي حبه الكبير " جتا " في السنبلولين التي كتب عنها قصيدة أخرى يقول :

" لقد انتهت قصيدة " شاطئ الأعراف " ، ولكن هذه الروح العلوية التي فمرت سماء حياتي بنور جمالها الباهت الحزين وهي تصاحبني في شاطئ الأعراف ماتنكف تصاحبني بعد شاطئ الأعراف فالى هذه الزوج التي أرهقت أذني لسماع أصداة مواكب الآباد ، الى هذه الروح التي تتغنى بها كل مشاعري كما يتغنى الجدول بكل أمواجه ، الى هذه الروح العالية والتيها وحدها ، أهدى هذه القصيدة " .

XXXXXXXXXX

في هذه الملحمة تتجلى رومانسية Romantic الهمشري المجنحة التي تلوذ بالطبيعة فرارا من مذابح الحياة وهجيرها المولم ، فهو هنا يصور " عالم خيالي " يمتلئ بصور الموت والآخرة في رحلة خيالية للشاعر بعد أن شرب كأس الغناء ، وحملته " سفينة الذكريات " الى شاطئ الأعراف ، وهو شاطئ خيالي تستقر عنده الألحان بعد شتات ، وتلوذ به الأرواح بعد طوفان ، ساكن سكوتا أبديا ليس فيه شيء جميل سوى الثلوج البيضاء فوق الصخور : (١)

فى انتحاء من العوالسم قـــــــــــــــــاص
 حيث يرقى السكون مرقى الغفــــــــــــــــاء
 وطبور الغفــــــــــــــــاء تنعب فى المــــــــــــــــوت
 نعبها يزيد هول الغفــــــــــــــــاء
 غير أن السكون ينهشه نهشــــــــــــــــا
 ويمشى الحظى على الغوفــــــــــــــــاء
 سر مدى البقاء يحكم فى المــــــــــــــــوت
 ويبقى على بقاء البقــــــــــــــــاء

XXXXXXXXXX

يستريح الزمان والموت فيــــــــــــــــه
 بعد طول التطواف والجــــــــــــــــولان
 وكان الزمان خامره الخــــــــــــــــوف
 فأضحى مع الردى فى احتفــــــــــــــــان
 وتلاشى به رويدا رويــــــــــــــــدا
 ثم أهوى عليه كالوســــــــــــــــان
 فاذا بالفنــــــــــــــــاء يحكم لــــــــــــــــردا
 فوضوياً على جلال المكــــــــــــــــان

والشاعر يصطحب معه فى هذه الرحلة الهة الشعر ويشاهد سفن الموت
 وهى تسرى الى شاطئ الأعراف ، كما يشاهد مواكب الحياة ، ويظنوف
 الشاعر بشاطئ الأعراف حيث يشاهد قبر الليالى ، ويرى الشاعر مواكب
 الحياة تمضى مسرعة الى ضريح الليالى ، ثم يسود السكون والعدم ويرى الشاعر
 مغنياً فى وادى الموت القريب من شاطئ الأعراف يحمل قيشارة صامتة ، يحاول
 أن يبعث أنغامها فلا تستجيب لسه (١) .

تستطيب الجنوس في ظل أهلك
 رفرف الطير فوقه أسرابها
 يتغنى بين الثمار بلحن
 هل سمعت القيان فنت طرابها
 من وحيديين يسجعان سرورا
 وشجين يشدوان انتحابها
 وجرى الماء في الغدير رحيقا
 وجرت فوقه الزهور حبابها
 جنة صاغها الإله من السحر
 ففيها صابئة السعداء
 نورها من وشائع من هواء (١)
 فهي منه في رقة القمر
 وتغنى الأطياف فيها اصطحاب
 فصاها من عبقرى الغناء
 من خيال الأشعار قد صاغهما الله
 ففيها رواشح الشعراء

وقد ختم شاعرنا ملحنته بصيحة بناجى فيهننا " المغنسى "

فيقول :

لهفى ما أراك تبعث لحنها
 فأخبر الشعر ما وهى قيثارك
 سواء للبيد التى عطلتها
 وعفت فى غنائها أو تشارك

xxxxxx

(١) الوشائع : اللغات .

ويذكر صالح جودت أن الهمشرى بدأ الاحساس لدية بنظم ملحمة عند احساسه باخفاق قصة الحب الكبرى فى حياته ، وهى قصة حبسه لفتنة نوسا البحر " جتا " ، مما أصغى على نفسه أواخر عهده بالمنصورة كتابة مزققة وابتعد عن حقل المأساة ، ونرح الى القاهرة للعلاج ولكنه لم يلبث أن عاد الى نوسا ، ليقتضى فيها خمسة أيام ، كانت هى فترة التأهب الطويل للملحمة ، فخرجت نواة " شاطيء الأعراف " التى استكملها بصورتها النهائية ونشرها فى أبوللو فى فبراير عام ١٩٣٣م .

وهناك مؤثرات وراء انجاز الهمشرى لهذه الملحمة وكان أبرز المؤثرات القرآن الكريم ومما لاشك فيه أن هذه الصور القوية المعبرة فى القرآن الكريم فى سورة الأعراف قد أشرت فى نظمه للملحمة ، قال تعالى : (١)

" ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار أن قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً فهل وجدتم ، وعد ربكم حقاً . قالوا نعم فأذن مؤذن بينهم أن لعنة الله على الظالمين الذين يصدرون عن سبيل الله ويبغونها عوجاً وهم بالآخرة كافرون . وبينهما حجاب وعلى " الأعراف " رجال يعرفون كسلاً بسماهم . ونادوا أصحاب الجنة أن سلام عليكم لم يدخلوها وهم يطمعون وإذا صرفت أبصارهم تلقاء أصحاب النار قالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين . ونادى أصحاب الأعراف رجالاً يعرفونهم بسماهم وقالوا ما أغنى عنكم جمعكم وما كنتم تستكبرون . أهـؤلاء الذين أقسمتم لا ينالهم الله برحمة أدخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون . ونادى أصحاب النار أصحاب الجنة أن أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله قالوا ان الله حرمهما علينا

الكافرين . الذين اتخذوا دينهم لهوا ولعبا وغرتهم الحياة
الدنيا فاليوم ننسأهم كما نسأوا لقاء يومهم هذا وما كانوا بآياتنا
يجحدون " .

كما أن الهمشري قد تأثر بلا شك بقراءة رسالة أبي العلاء
المعري " رسالة الغفران " وملحمة ميلتون " الفردوس المفقود " و
" الكوميديا الالهية " لدانتى .

ولكن أكبر عامل فى نظمه للملحمة هو هروبه من عالم الواقع اشر
صدمة وجدانية عاصفة فذهب على أجنحة الخيال الى شاطئ الأعراف
يرسم هذه اللوحات الغريبة المبدعة بريشته المخلقة الهامسة .

xxxxxxxxxx

" شاطيء الأعراب فى مرآة النقاد "

أشارت ملحمة شاطيء الأعراب جدلا طويلا بين نقاد الأدب المعاصرين كلون منفرد فى شعرنا العربى المعاصر لما لها من سمات خاصة ودلائل مميزة تختص بها خاصة أن شاعرنا بدأ فى نظمها عام ١٩٢٩م وهو لم يتجاوز الحادية والعشرين من عمره وأنجزها عام ١٩٣٣م وهو فى سن الخامسة والعشرين ، فما هو رأى النقاد فى ملحمة الأعراف ؟

يقول الدكتور محمد مندور منها : (١)

" نحن أن هذه المطولة انما هى فرار بالشاعر على أجنحة الخيال منسب عالم الواقع المرير ، حتى لنكاد نلمس أن لها وظيفة نفسية عند قائلها عندما نقرأ نوليه فيها :

عندما خدر الغنماء شكاتسى
وسقانى كثوسه المنسيات
بعث الشعر من لدنه نسيمها
فأضح العطر طيب النغمات
هز قلع الصبا فأيقظ فكبرى
فهفت بى سفينة الذكريات
فى خضم الأفكار تطوى بى الوقت
وتهفوا الى ضفاف الحياة

ويقول صالح جودت : (٢)

" كان المناخ الذى تأهب فيه الشاعر لنظم هذه الملحمة ، مناخا كله حسب

(١) الدكتور محمد مندور / الشعر المصرى بعد شوقى / ١٩٥٨م / ص : ١٧ .

(٢) الهمشرى / حياته وشعره / ص : ٦٤ .

ويأس ونزوع الى الخلاص والنأى ولو الى حقل أشد قتاما من حقل الحياة .
وهكذا ذهب الشاعر فى رحلة خيالية بين هوج العواصف الى شاطئ الأعراف ،
الفاصل بين الحياة والموت ، ويخالف صالح جودت رأى الدكتور مندور حين يصف
شاطئ الأعراف بأنها مطولة لاملحمة فيقول الأستاذ صالح : " الواقع " أن الأعراف
ملحمة لامطولة ... ملحمة ينطبق عليها كل ما يتطلبه الأدب فى شعر الملاحم من
شرايط " .

وتقول الدكتورة نازك الملائكة عنها : (١)

" والهمشرى لا يقل عن كتييس تولعا بالغناء ، حتى انه كتب ملحمة كاملة سماها
" شاطئ الأعراف " وتحدث فيها عن رحلته الأولى بعد الموت نحو الحياة الأخرى .
" والقصيدة تكاد تكون أغنية حب موجهة الى الموت ، لأثر فيها للحسرة
ولا للذكرى ، وكان الشاعر يلتذ بكل لحظة من لحظات موته ، أن صح التعبير " .

XXXXXXXXXX

وبعد ، لملحمة الأعراف تعد من أعظم الآثار الشعرية فى تراثنا المعاصر
وأخصبها وأكثرها فنية وعمقا وأصاله وهى انعكاس صادق وأمين لحقبة خصبت
من حياة شاعرنا تتسم بالحزن والكآبة والضياع الروحى .

(١) نازك الملائكة / لغايا الشعر المعاصر / ص : ٢٧٤ .

" بين :الحب والطبيعة والياس "

ونشر أبياتاً بعنوان " حياتى " فيها سوداوية وقنامة يقول : (١)

كأن حياتى فنوة جاهليــــــــــــــــة
شدتها الليالى للقرون بلا معنى
كأنى أنا فيها شجى غنائها
أقام لها ذكرى تغنى بها الأذنا

وكتب من الحب والطبيعة يقول فى نفس العدد :

ألم تر للحب كيف أنبــــــــرى
يصور فى الكون أبهى المور؟
وكيف تترقى منه النسيــــــــم
وكيف تترقى منه القمــــــــر؟
وكيف تهذب منه الحمــــــــام؟
ولم ير فى البوم هذ الأثــــــــر؟

ثم كتب قصيدة فزلية وجدانية رقيقة بعنوان " مملكة السحر " فيها
معانى مستحدثة وصور شعرية جميلة منها هذه الأبيات : (٢)

بياوحدا فى مــــــــلاه	تحية فى علاكــــــــها
لقد ترلفت حنــــــــى	شابهت منى هواكــــــــها
فلو تحولت نســــــــورا	لكان طرفى أحتواكــــــــها
ولو تحولت قمــــــــرا	لكان شغرى احتساكــــــــها
ولو تحولت روضــــــــها	ولقد نشرت شداكــــــــها
لكنت فيه فراشــــــــها	أرف حول سناكــــــــها
وكنت قضيت ممــــــــرى	أحسو رحيق جناكــــــــها

(١) أبوللو / فبراير ١٩٢٣م .

(٢) أبوللو / يونيو ١٩٢٣م / ص : ١١٤ .

" قصة جتنا الفاتنة "

نشر الشاعر محمد عبدالمعطي الهمشري قصيدة رقيقة بعنوان " الى جتنا الفاتنة في مدينة الأحلام " بمجلة أبوللو في عام ١٩٣٣م وعندما أرخ الأستاذ عبدالعزيز الدسوقي في كتابه " جماعة أبوللو وأثرها في الشعر الحديث " لشراء الجماعة قال عن ملهمة هذه القصيدة الرقيقة الفاتنة : (١)

" لسا ندرى هل كانت حبيبتة " جتا " هذه حقيقة واقعة أم لأنها رمز للحبيبة اتخذها اطارا يصب فيه أشواق روحه الملتهفة ، وظما نفسه الى الحب "؟

فما هو سر جتنا الفاتنة ؟

هل هي ملهمة حقيقية أحبها الهمشري وعذب الحنين اليها وناجها بحرارة وصدق ؟

أم أنها مجرد خيال أسطوري موهوم ؟

ان هذه السطور ستكشف لأول مرة القصة الحقيقية لغرام الهمشري مع " جتا " الفاتنة .

xxxxxxxxxxxx

كان ذلك حوالي عام ١٩٢٩م

في مدينة السنبلابين الخضراء بمحافظة الدقهلية

وكان يحلو للهمشري الذي كان يقترب من الحادية والعشرين من عمره أن يسير وحيدا متأملا على شاطئ ترعة " البوهية " القريبة من منزلهم ويتوغل في الحقول الخضراء سابحا مع الأطياف والأحلام والروى الخيالية الحالمية .

وكان في ذلك الوقت مرهف الحس خالي القلب ينظم قصائده بحب وغزل لحبيبات

(١) جماعة أبوللو / ص : ٤١٥ .

من وحس الخيال الجامح . حتى وقع بصره على جنا الفاتنة فنغير الحال .
أصبح الهمشرى عاشقا متيما لاهنام الليل ... انقلب ليله نهارة ونهساره
ليلا ...

كانت جنا فتاة حسناء بارعة الجمال مرهفة المشاعر ، وكانت ابنة لطبيب أسنان من
أصل يوناني يعمل كمدير لعيادة طبية بالسبلاوين بشارع السكة الحديد تدر عليه ربحاً
طيباً وأحبه أهل البلدة وأولوه تقتهم، فتجنس بالجنسية المصرية واتخذ مصر وطنا له .

كانت جنا فى تلك الحقبة تبلغ السابعة عشرة من عمرها ، وكان شاعرنا
قد ودع أيام الصبا ، ودخل فى طور الشباب ، فكان يبلغ الحادية والعشرين من
عمره ، وكان مشبوب العاطفة ، مشتعل الوجدان ، ينظم شعرا عاطفيا ملتهباً ،
يفرقنا فى المباشرة والوجد وعبادة الجمال المجرد .
والنقت نظرات الشاعر بفاتنة السبلاوين ، فكانت قصة حب كبيرة ...

تعلق بها قلبه وأصبح يكثر من السير تحت نافذة منزلها ليتزود منها
بنظرة وابتسامة تلهمه أجمل أفاييده .

وكان الهمشرى يسعد بابتسامتها الحلوة ويقنع بها ثم اتيح للمحبين أن
يلتقيا فى مناجاة حارة طويلة بمصيف رأس البر حيث كانت تمطاف أسرة كل منهما .
وبنى العاشقان آمالا كبارا وأحلاما شامخة للمستقبل الباسم ولعشهما
السعيد الذى سيجمعهما .

ثم عاد الى السبلاوين ... ولم يلبث الهمشرى أن اثقل الى المنصورة حيث
التحق بمدرستها الثانوية ولم تعد تثاج له فرصة رؤيتها والتزود بابتسامتها
سوى لحظات قليلة كل أسبوع ... حيث كان يقضى عطلة نهاية الأسبوع - يومى الخميس
والجمعة - فى بلدته ببعود بعدها الى المنصورة حيث يروى لصديقه وزميله صالح
جودت أحاسيس قلبه وهمسات روحه وفتنته العارمة بهذه الحسناء الفاتنة وكيف
مر تحت نافذتها ، وكيف ابتسمت له ، وكيف بنى من ابتسامتها أحلاما كبارا ...

ظل الهمشرى خافق القلب ، مشوب العاطفة نحو هذه الحناء الفاتنة المثقفة
التي كانت تقرأ الشعر الانجليزي وتهيم به خاصة الشعر الرومانسي الحالم مثل
شاعرنا تماما .

وظلت صورتها الفاتنة وابتسامتها الساحرة تضيء ليلاليه وتسعد أيامه
الموحشة وتبعث النشوة في كيانه كله ، وأصبحت تملك عليه حياته ...
ولكن الأيام صهرته بالعذاب في تلك الحقبة ، بمأساة قاسية ، ففجسته في
حبه الكبير .

كانت آمال شاعرنا أن تتزوج قصة حب بملهمته بالزواج ... ولكن نشأت
مقبات بسبب مفر سنه والعامل المادي واختلاف الدين ... إذ كانت " جتا " يهودية
وهو مسلم متدين يكثر من قراءة القرآن ويسبح في أجوائه وتحت ظلاله .
وسرمان ماتزوجت جتا من أحد تجار المجوهرات الأثرياء من قرية مجاورة ،
فكانت صدمة حياته (١) .

واعتكف الهمشرى في وحدته بين حقول السنبلوين يبكي حبه الضائع وأمله
الذي تحطم على صخرة الواقع

وكان الهمشرى يملك الساعات الطوال في وحدته في أطراف السنبلوين بين
الطبيعة والحقول الخضراء

والهمته " جتا " قصيدة من أجمل قصائده العاطفية وأرقها على الإطلاق هي
قصيدته " الى جتا الفاتنة في مدينة الأحلام " .

وأهدى القصيدة اليها ، حيث قال " مهداة اليها مع أزهار سحرية من حدائق
الخيال وبساتين الشفق " .

وقد مهد للقصيدة بنص من التوراه - باعتبارها يهودية - فأورد جزءا من

(١) أخبرني بهذه المعلومات شقيق الشاعر الأستاذ المستشار محمود الهمشرى

والأستاذ الشاعر محمد محمود عبدالعال وهو من أبناء السنبلوين .

اصحاح راعوث قبل مطلع القصيدة ، يقول :

" لآتلحى على أن أتركك وأرجع عنك ، لأنى حيثما ذهبت أذهب ، وحيثما بهت
أبيت .

" شعبك شعبى ، والهك الهى ، حيثما مت أموت ، وهنالك أدفن ، هكذا يفعل
الرب فى ، وهكذا أريد ، انما أموت يفصل بينى وبينك "

وهكذا كان هذا النص من التوراه رسالة عبادة حتى الموت موجهة الى جتاء .
ان قصيدة " جتاء الغاتنة " هى مزيج من النزعة الرمزية والنزعة العاطفية ،
ولد أودعها الشاعر خفقات قلبه وهمسات روحه ، فيرسم فى الأبيات الأولى هذه
اللوحه الفنية الرائعة بريشته الساحرة ، حين ينجس محبوبته فى عالم السرى
والخيال :

فاهو الليل قد أتى فتعالسى
نتهادى على ففاف الرمسال
فنسيم المساء يسرق عطسرا
من ريباض سحيقة فى الخيسال

xxxxxxxx

صور المغرب الذكى رباها
فهى تحكى مدينة الأحلام
نفتحت فى الخيال منها زهور
غير منظورة من الأوهام

xxxxxxxx

ووراء السياج زهرة نلل
غازلتها أشعة فى المساء
نشر النسيم سرها وهو يسرى
فى مسروج مطلولة الأفيساء

xxxxxxxx

ودهاليز من ظلام بونـــــــــــــــــور
صورت سحرها يد الأطيـــــــــــــــــاف
عشش البلبل الخيالى فيها
ساكبها لحنه الحنون العافى

XXXXXXXXXX

ان هذى الأزهار تحلم فى الليل
وعطر النارج خلف السياج
وخيرير المياة والشفق السحر
وهما من النسيم الساجى

XXXXXXXXXX

والندى والظلال تنعس فى الماء
وهذا الشعاع خلف الغمام
بعض الحانه تأنق فيها
فترات فى هذه الأجسام

هكذا يصور الشاعر فى هذه الأبيات الأولى من قصيدته ذلك الجو الخيالى
الرومانسى الفاتن الذى يعيش فيه ، ويناجى ملهمته فى ظلاله ...

ان لقاء شاعرياً تم بين الشاعر وملهمته عند الغروب فى ظلال الطبيعة الفاتنة
فأوحى اليه ذلك اللقاء سورا وظلالاً جديدة من طريق الإيحاء ، تصور مشاعره
وأحاسيسه بالرمز والصور الخيالية المفارقة فى الشفافية والرقّة فى لوحات
جميلة نابضة بالحرارة والرقّة والعدوية ، فجعل النسيم يسرق العطر من رياض
طبيعة فى الخيال ...

وقد أشارت تعبيرات الهمشى المبتكرة وتراكيبه الغريبة فى هذه القصيدة
والتي تتألق فى الظلال والأنواء فضلاً عن الاغراق فى الرمزية حيرة النقصان
ومساجلاتهم حول غرابة هذه التعبيرات والتراكيب وإيغالها فى الرمز والغموض

والخيال الجامح ... كما أنها أشارت الشك في نفوس الكثيرين منهم حول تلك
الملهمة الغامضة المجهولة التي تسبح في بحار الغرور والعطر والموسيقا مع
مطر النارج وخرير المياه وهمس النسيم ...

ثم يواصل الهمسرى مناجاته الحارة المتقدة لملمته " جتا " فيذكر
لها أنه أفنى دمومه وعقر جبهته وقدم روحه على مذبح غرامها ، فيقول :

قبل هذى الحياة كنت أملسى
ياحياتى لحسبك المعبود
فيك أفنيت أدمعى فى فنائى
فيك عفرت جبهتى فى سجود

xxxxxxxxxx

وعلى مذبح الغرام تقربت
بروحى فى ذلعة وخبوع
غير أنى رأيت هذا قليلا
فتقربت بعدها بدموعى

ويبلغ ولهه بها ذروته فيتخيلها إليها علويا فى معبد الخيال وهو يتعبد لها
ويرتل لها أشجى الألحان وأحفلها بالحب والشجن كما يتخيلها فجرا وضيحا
مشرقا وهو ضباب قد تاه فى أفقه المنور المضى فلا يملك إلا أن يمضى فى تراتيله
لهذه الشعلة المقدسة التى هبطت الحياة إليها معبودا لقلبه الواله المحب :

كنت فى معبد الخيال ترفى من
الها ، وكنت من عبدانك
كم بعث الأثمار فيه مزامير
تجيب الحزين من الحائك

xxxxxxxxxx

- ٢٢٨ -

كنت فجراً ، وكنت فيه ضابفا
شاع في أفقه الوضوء فتاهفا
وهبطت الحياة شعلة تقديس
وجئت الحياة أنت الهسفا

XXXXXXXXXX

ثم يبدأ الهمشرى فى اغفاء جو من حرارة العاطفة ودفئها فى تصيدته
حين يخاطب ملهمته بكلمة " أنت " فى مناجاة حارة ملتبهة لايمل من تكرارها
وتردادها كما يفضى على ملهمته صفات مؤغلة فى الخيال والسمو حتى أنته
يصلها بأنها " حلم منور ذهبى " وبأنها " عطر مجنح شفقى " وس ذلك يعرود
الى حرارة حبه لها ووجدته بحسنها مما جعله يراها كملهمة ملائكية من عالم آخر
غير عالم الأرض والحقيقة .

اسمعه وهو يرتل لها فى معبد الحسن والجمال :

أنت لحن ملائـدس ملــــوى
قد تهادى فى عالم نورانى
سمعت وقعـه السماوى روحى
فأناقت فى معبد الأحــــزان

XXXXXXXXXX

أنت حلم منور ذهبى
طاف فى أفق عالم مسحور
وتجلى على فياهب روحى
بجناح من الضياء البشــــير

XXXXXXXXXX

أنت عطر مجنح شفقى
فأوح السرح فى همود الذهبول

قد سرى في الخيال طيب شذاه
من زهور في شاطىء مجهول

xxxxxxxx

أنت ظل مقدس ، أنت كهف
طائفى في ربوة أحلام
غمر الروح في سكينتها السحر
فتاهت عن عالم الألام

ثم يوغل شاعرنا المولده المفتون في مناجاة ملهمته الساحرة ، ويفرق في
الرمزية فيبتكر التعبيرات الجديدة الغريبة ويوغل فيها حين يصف المصمت
بأنه " مقمر " ، والكوخ بأنه " سرمدى الخيال" ولعل ذلك يعود لما في هذه
التعبيرات من شحنات وجدانية خيالية أشارتها فيه عاطفته المولده الحارة نحو
ملهمته ذات النظرات الآسرة .

ويمنى الشاعر في مناجاة ملهمته ، فيضئ عليها الكثير من سحر الخيال
وجمال الرمز وحسن الطبيعة التي يتعشها في رومانسية حاملة مجنحة ، فيقول
مناجيا لها في وجد وخشوع :

أنت كوخ معشوشب في ربوة
مقمر الصمت سرمدى الخيال
نعست روجى الكليلة نشوى
فيه ترعى فجرى هذا الجمال

xxxxxxxx

أنت صمت مخيم ، ففضاء
فظلام مكوكب ، فنهجار
لهم سود تدب فيه حياة
ويغنى في فجرها " النوبهار "

xxxxxxxx

- ٢٣٠ -

أنت كل الحياة أنت كيانى
أنت روحى أبهرتها فى سباتى
أنت وحيى مجسد أنت لحنى
يا سماء على سماء حياتى

XXXXXXXXXX

وتبلغ ذروة رمزيته وخياله المجنح ورومانسيته المرهفة حين يرسم صورة
تطلب فيها ملهمته أن يكون اللقاء بينهما وراء أسوار الحياة .
كما يناجى ملهمته ويطلب منها أن تغمر حياته بالدفء والضوء
والحسب :

أنت أهوينى بأن لك
ظلمة سور الحياة ... فوق ربك
غير أنى بحثت منك طويلًا
وأخيرا نعست تحت ذراك

XXXXXXXXXX

أيقظينى من الدهول وفنسى
يا ملاكى على طول حياتى
وارشدينى الى الفيحاء .. والا
فانركينى أهوى الى ظلماتى

XXXXXXXXXX

وملى عالمى الشتائى فيفسى
نور دفء يبنى ظلامى الحالـك
وارفعينى كمعبد قدسى
تنهادى به طيوف جمالـك

XXXXXXXXXX

ثم فى النهاية يذكر لمهمته أنه سىظل يغنى لها فى وحدته المرحشة
الحرينة رغم الظلام المطبق على روحه وهو بعيد عنها ، فىقول فى
أسى ووجد :

أنسى فى الظلام أنصب وحدى
خيمة الغناء من الأمامى
فاسمعينى ، فأنى سأغنى
لك " جتا " فى وحدتى وظلامى

وقد كتب الهمشرى هذه القصيدة الشجية التى تتماوج فيها أنغام الرضا
والعتاب والوحشة واليأس والأمل والحنين والوجد الأسر بعد بأسه من تحقيق
آماله فى الزواج من هذه الحناء الفاتنة بسبب مفر سنه واختلاف العقيدة
الدينية ، فانطوى فى وحدته الصامتة فى ظلال الطبيعة الخفراء الساحرة
على ترعة البوهية عند أطراف السبلادين يناجى مهمته الملائكية
النورانية ويهدى لها نتاج تأملاته الحزينة فى عالم الخيال ، فكانت
تلك القصيدة الغرلية الشجية التى أهداها إليها " مع أزهار سحرية
من حدائق الخيال وبساتين الشفق " .

التجديد في " جتا الفاتنة "

في هذه القصيدة الوجدانية العاطفية الرقيقة يتجلى اجتماع الرمز الشعري
poetic symbol بالعاطفة Emotion في صورة متوازنة مبدعة .

ونلاحظ فيها مجموعة من التعبيرات المبتكرة والتراكيب الغريبة التي
استحدثها الهمشري في هذه القصيدة وأضاف جديدا لقاموسنا الشعري التقليدي
وفي شعرنا العربي المعاصر فهي تلك التعبيرات والتراكيب ؛ " معبد الأحران "
و " طيوف الجمال " و " خيمة الغناء " و " رياض سحيفة في الخيال "
و " معبد الخيال " و " مقرر الصمت " و " ظل ملدس " و " ضفاف الخيال "
و " الدفء المنور " و " يد الأطياف " وغير ذلك من تعابير مستحدثة جميلة
أضفى على القصيدة نوعا من الغموض الفني Ambiguity أكسبها
جمالا وطرافة وأصالته .

وهذه الألفاظ والتعابير والتراكيب يغلب عليها طابع التلوين والظلال
والألوان وهي من ابتكارات خيال شاعرنا المخلوق ويتناول الدكتور عبدالعزيز
الدسوقي هذه القصيدة بالدراسة والتحليل فيقول عنها : (١)

" مضمون القصيدة وجداني تغلب عليه مسحة من التصوف والشوق الروحي
والظما إلى الحب ، وللشاعر مقدرة على خلق صور خيالية كثيرة ، وعواليم
متعددة ينفث فيها الحرارة والحياة ، بل يشير إلى أنه كان موجودا قبل
هذه الحياة ، وكان يملس في ذلك الوقت لحسن حبيبته في دنياه .

" وتصور القصيدة نزعة عاطفية عميقة الغور في نفس الشاعر ، فرسم صوراً
بديعة للريف والطبيعة ، حتى لنشم رائحة الشارنج ونرى الحديقة وسورها
وزهرة الغل ، والمروج ، ونكاد نلمس الندى على الأوراق ، ونشاهد الشعاع

(١) الدكتور عبدالعزيز الدسوقي / جماعة أبولو وأثرها في الشعر الحديث /
١٩٧١م - القاهرة .

- ٢٣٢ -

والظلال والغمام " .

وبعد فان الهمشرى فى تميدته اندمج فى الطبيعة كروح هاشمية
ظماى للحب والجمال وأبرز لنا جمال الطبيعة الريفية بصدق
ومدوية وأصالته .

" شاعر النارجة الذابلية "

بعد أن قطع الهمشري دراسته بكلية الآداب بعد قضاء عامين بها التحق
بوظيفة متواضعة ... " محرر بمجلة التعاون " وسرعان ما آمن برسالة التعاون ،
فأحب الوظيفة ، ووهبها كل حياته وكانت تلك مرحلة جديدة في حياته وشعره ...
إذا سمينا مرحلة أبوللو "في حياة الهمشري مرحلة الوجدان الذاتي" فان هذه المرحلة الجديدة
يمكن أن تسمى " مرحلة الوجدان الاجتماعي القومي وكان فيها شاعرنا " شاعر
الحضارة الريفيية " ...
بدأت هذه المرحلة عام ١٩٣٥م .

وكان في عمله يتنقل بين القرى في مختلف مدن وقري مصر ، لـيـزور
الجمعيات التعاونية القائمة فيها ، ويكتب عنها في مجلة التعاون وأمد ذلك
شعره بفيض جديد من المشاعر والأحاسيس والصور الشعرية الجميلة من معايشة للريف
المصري وطبيعته الجميلة الساحرة ...

يرسم شاعرنا لوحة بعنوان " أغنية الفلاح المصري للجاموسة الراعيية "
يقول فيها : (١)

تنقلني تنقلني من جدول لجدول
جاموستي ياساحره جوبى الحقول الناضره
تنقلني ... تنقلني

xxxxxxxx

يشدو لك العصفور ويهمس الغديسر
تنقلني ... تنقلني

ثم يرسم صوراً لبعض طيور القرية وزهورها وأشجارها ، فيجسم لنا ملامح

الغراش الأصغر فى قصيدة مطلعها : (١)

بباطاسرا لايكف هل أنت نجم يسرف ؟
أم أنت خطفة نسور أم أنت قلب يخسف ؟

ويصف اليمامة فى قصيدة مطلعها يقول :

رددى فى السكون ذكرى الهديل وتغنى ياشهر زاد النخيل
أى ذكرى تشجيك ؟ أى خيال راح يفتنيك من فراق خليل؟

ويصف الطائر الجميل " المفرد " بقوله :

بإراحة فى ظلمة اليأس فيها صفاء القلب والنفس
أرقت قلبى من مرقرة أرقمت قلبى من مرقرة
وتدب فى قلب ابن شوبها حتى يبيت وسرد الأنسى

ويمور مناجاة فلاح لنخلة يستريح تحتها من وعشاء الطريق فى قصيدته
" شجر النخيل " فيقول : (٢)

قد طاب لى مقيلى فى سهلك الجميل
فى ظلك الظليل ياشجر النخيل

xxxxxxxxxxxx

عروسة الصحراء ياكعبة الرجاء
وياهدى التيهاء ياشجر النخيل

وهناك لوحة جميلة لخلول المساء على القرية بعنوان "ليلة" يقول فيها : (٣)

(١) التعاون / مارس ١٩٣٧م .

(٢) التعاون / يوليو ١٩٣٦م .

(٣) التعاون / ديسمبر ١٩٣٨م .

والصمت يجثم خلفه الألق	ولس النهار وأقبل الفسق
هذا الضباب ويلمع الشفق	والروض ينشر فيه موكبه
بين السحاب كوكب خفق	والدوح مرتعش يخالسه
طير يرف بهه ولاورق	والروض رنق للنعاس فلا
فوق الديار وأخت الطرق	أرخ الظلام عميق وحشته

ثم تأتي أجمل تعاضده في مرحلته الجديدة وهي قصيدة " النارنجة الذابلية " التي تفصح عن نفسية حزينة قلقة تأسى على الماضي الجميل وتتحسر على ضياعه في صورة اختلطت فيها العاطفة بالرمز الفني والتشخيصي Personification لمظاهر الطبيعة .

فالمهمشرى تبلغ ذروة رومانسيته الحاملة في تلك القصيدة حين يصف الطبيعة الحاملة والاستفراق فيها واصفا براءة طفولته وجمال ذكرياتها حين كان يهدو وراء الفراشات يمطادها مع محبوبته الصغيرة ، فاتنة نوسا البحر ثم يستريحان عند شجرة حالمة عند السياج وتغريد " الزرزور " يداهب أذنيهما ... واستعاد شاعرنا عندما كبر هذه الصور الشاعرية الحاملة لبراءة الطفولة وجمال أيامها فكانت هذه القصيدة الغارقة في الرومانسية الحاملة : (١)

كانت لنا عند السياج شجيرة
ألف الغناء بظلمها الزرزور
طلق الربيع يزورها متخفيا
ويفيض منها في الحديقة نور
حتى إذا حل الصباح تنفست
فيها الزهور وزقزق العصفور
وسرى إلى أرض الحديقة كلها
نبا الربيع وركبه المسحور

(١) التعاون / مايو ١٩٣٦م / ص : ٤٣٢ .

كانت لنا بالبيتها دامت لنا

أو دام يهتف فوقها الزرور
xxxxxxxxxx

قد كنت أجلس صوبها في شرفتي

أو كنت أجلس تحتها في ظلتي

أو كنت أرتب في الضحا زرورها

متهللا يغشى نوافذ غرفتي

طورا ينقر في الزجاج وتسارة

يسمو يزرر في وكار شقيفتي

فإذا رأني طار في أغرودة

بهفاء واستولى فسون شجيرتي

كانت لنا ، بالبيتها دامت لنا

أو دام يهتف فوقها الزرور

xxxxxxxxxx

هيهات لن أنسى بظلك مجلسي

وأنا أرامى الأفق نصف مغمض

خنقت جفوني ذكريات حلوة

من مطرك القمري والنغم الوضي

فانساب منك على كليل مشاعري

ينبوع لحن في الخيال مفضض

وهفت عليك الروح من وادي الأسى

لتعب من خمير الأريج الأبيض

كانت لنا ، بالبيتها دامت لنا

أو دام يهتف فوقها الزرور

xxxxxxxxxx

وهنا تحركت الشجيرة في أسى

وبكى الريح خيالها المهجور

وتذكرت عهد الصبا فتأوهت
وكأنها بيد الأسى طنبور
وتذكرت أيام يرشفا نورها
ريق الضحى ويزرر السـرزور
وعرائس النارج تحلم فى الندى
فيرف فيهما طيفها المسحور
كانت لنا ، باليتها دامت لنا
أو دام ينشر لحنه السـرزور

ثم يختتم هذه القصيدة بجوها الرومانسى الحالم ونغمتها الآسفة المتحسرة
على الماضى بجماله وبرائه فيقول :

قد كنت أرجو أن تكون نهايتى
فى ظل هذا السور حيث أراك
ويكون آخر ما يخطر مسمعى
زرزورك الهتاف فوق ذراك
ويطوف فى غيبوبتى نيفيتى
فجر قصير البعث من ريباك
والآن اذ عجل القضاء فأنا
سيقوم فى الذكرى خيال شذاك

أنظر الى مدى حسرتة على الماضى فى تكراره لقوله :

كانت لنا ، باليتها دامت لنا
أو دام بهتف فوقها السـرزور

حيث يرسم جو الطبيعة الحاملة والزور والشجيرة والنارج الى غير ذلك
من صور الاندماج فى الطبيعة وهى من أبرز سمات الرومانسيين .
وقد استحدثت شاعرنا فى هذه القصيدة تراكيب وتعبيرات جديدة تهد شوية نغيسة

في قاموس شعرنا العربي المعاصر مثل : " العطر القمري " و " النغم الوضى " و " الخيال المفضى " و " خمر الأريج " و " هرائس النارج " الى غير ذلك من التراكيب والتعبيرات الجديدة التى أضافها لقاموسنا الشعرى والتى أشارت جـدلا حاميا بين الشعراء والنقاد ، كما أشارت القصيدة نفسها اعجاب الكثير من النقاد يقول الدكتور مندور عن هذه القصيدة : (١)

" فى هذه القصيدة نجد معظم الخصائص الروحية الفنية التى تتميز بها الرومانسية عند الغربيين .
 وأولى تلك الخصائص هو الحنين الى شىء غير حاضر الشاعر وواقع حياته ، ونحن هنا نطالع هذا الحنين منذ مطلع القصيدة ، وهو حنين الشاعر الى شجيرته فى الريف ، وأساه على فراقها " .

xxxxxxxxxx

ولكنى أستطيع أن أقول أن هذه القصيدة تمثل الاحساس بالماضى sense of the past عند شاعرنا فتتمثل ذكريات غرامه البريء الطاهر وقصة حبه الأول مع " جتا " بين ربوع السنبلادين وتحت شجيرة حالمة وكان شاعرنا هو " الزرور " المرح المفسرد على شجيرة الحب

وقد أبهم على البعض معانى القصيدة الخفية لاستخدام شاعرنا الرمز الشعرى poetic symbol فظنوا أنه يقصد الأسى على الشجيرة وزرورها ولكنه كان يأسى على غرام ذهب وجب ذراع . . .

(١) الدكتور محمد مندور / الشعر الممصرى بعد شوقى .

" زهرة خالدة العبيير "

ترددت في شعر الهمشري أبعاد مأساة رحيله المبكر من الحياة ، فقد أكثر من ذكر الموت والعدم والنهاية في جل شعره وملحمة " شاطئ الأعراف " فيها الكثير من المعانى التى تدور حول هذه الفكرة . . . ففيها تصوير لسفن الموت وشاطئ الأعراف وجنة الشعراء .

ولعل من أبرز قصائده التى تعكس احساسه المبكر برحيله مثل شعرائه الأشيريين شيللى وكيتسى وببرون قصيدته " حياة الشاعر " التى نشرت لبل رحيله بحوالى أربعة أموام فقط . . .

يقول فيها : (١)

فدا ياخيالى تندهى ضحكاتننا
وآلامنا تفنى ، وتفنى المشاعر
وتسلمنا أبدي الحياة الى البلى
ويحكم فينا الموت ، والموت جاثر

وفى جلسة له هادئة على " صخرة الملتقى " فى المنصورة وهى تقع بين البحر المغير والصحراء فى بقعة نائية من المنصورة تراوده أحزان روحه وآلام نفسه :

جلست على الصخر الوحيد وحيدا
وأرسلت طرفى فى الفضاء شريدا
وكففت دمعاً لا يكفكف فربما
وواسيت قلبها فى الضلوع عميـدا
أرى صفحة الآمال قد ضاقت ألفها

(١) أبوللو / إبريل ١٩٣٤م / ص: ٦٨٣ .

ولاح على اليأس البعيد مديدا
لقد عشت في دنيا الخيال معذبا
فياليت شعري ، هل أموت سعيدا ؟

XXXXXXXXXXXX

كان حياتي غنوة بدويــــــــــــــــة
شدتها الليالي للقرون بلا معنى
كأنى أنا فيها شجى نغماتها
أقامت لها ذكرى تحف بها الأذنا

XXXXXXXXXXXX

لئن فانتى عهد الشباب ولهــــــــــــــــوه
فانى بعمرى لست آبه أو أعنــــــــــــــــسى
فرب هواء طاف فى اللجن وامحــــــــــــــــى
يخلد من ربح معمرة قرناــــــــــــــــا

ثم يطمئن نفسه على رحيله المبكر من الحياة بخلود شعره الذى
سيبقى يروى للأجيال مأساة شاعر رحل فى عمر الزهور وبقى عبيره شديدا
فواحــــــــــــــــا :

لقد كنت فى الدنيا جمالا يزينها
بما شاده شعري على هذه الدنيا
خلقت لروحى سحرها ، لا لغيرها
ومن أجلها أفضى ، ومن أجلها أحيا
إذا ذبل النارج ماش مبيــــــــــــــــره
وكان له فى الوهم من نفعه محيا
ويخلد بعد البدر فى الفكر رونق
يفدى خيالى الشعر والحب والوحيــــــــــــــــا

—————

هذه صور من عشرات الصور الحزينة القاتمة التي يملأها السواد والتشاؤم واليأس والتي تفتح من نفسية حزينة قلقة تسعى الى الموت وتلح على ذكره لاحساس قوى بالرحيل فى سن مبكرة ولكننا نكتشف أن شاعرنا فى حياته كان من أكثر المحبين للحياة ، وأكثر فرقا من الموت يروى لنا صديق صباه ومطالع مشاعر الشاعر صالح جودت هذه الحقيقة الغريبة عنه فيقول : (١)

" كان الهمشرى أكثر الشعراء حبا للحياة ، وفرقا من الموت .

" لقد يفلك من أمره أنه كان يكثر من ذكر الموت فى شعره ، ويتوعد نفسه

كثير من قصائده .

" أما فى واقع حياته ، فقد كان حريصا على الحياة ، كبير الآمال فيها ، الى حد أنه لم يكن يحب ركوب البحر حتى لا يغرق ، وكان اذا سار فى شارع آثر أن يسير فى وسطه لا على الرصيف ، خشية أن تسقط احدى العمائر فتدفنه تحت أنقاضها " .

XXXXXXXXXXXX

لم يمهل القدر هذا الشاعر النابغ ليكمل رسالته فى مجال التعاون وفى خلال أربعة أيام رحل شاعرنا الأعراف ، الهمشرى على اثر جراحه أجريت له الاستئصال الزائدة الدودية ، فأصبحت أمعاؤه بالشلل فى أثناء العملية ، ولقى وجهه ربه فى ١٤ ديسمبر عام ١٩٢٨م .

وكأنه كان يحس بدنو أجله فزار السنبلابين مسقط رأسه قبل رحيله بفترة وجيزة ليستعيد ذكريات صباه بين ربوعها . . . وعرج على نوسا البحر مهد ذكريات غرامه الأول البرىء مع " جتنا " وتحسر على تلك الأيام الجميلة وكتب عن عودته الى مهد الحب وموطن الذكريات يقول : (٢)

رجعت اليك اليوم من بعد غربتسى

(١) صالح جودت / الهمشرى ، حياته وشعره .

(٢) التعاون / فبراير ١٩٢٨م / ص : ١٤٦ .

وفى النفس آلام تفيض تواسر
رجعت وعقلي ثابته الفكر شارد
وأبت وقلبي واهن الخفق حاسر

xxxxxxxxxxxx

فيا أرض أحلامي ، ألقى طفولتى
ويسعدنى يوم من العمر آخر؟
تعسفت فيك الليل والريح صرصر
وخفت اليك الموج والنهر شائر
أتيت لألقى فى ظلالك راحة
فيهدأ قلبي وهو لهفان حاسر
أموت قريير العين فيك منعمما
بخدرنى نوح من المرج عاطس
ويحفظنى هذا البنفسج ، ولتكن
مسارح مينى ... الربا والمحاضر
وآخر ماأصفي اليه من الصدى
خريرك يفنى وهو فى الموت سائس

شم كأنه ينعى نفسه ويرثيها قبل الرحيل فيقول فى نهاية التصيدة :

لقد خف نسيم الصبح يهمس ناعيسا
الى السهل أن قد فارق الكون شاعر
لذا نفس (١) النحل الزهور فجلجلت
ونابت عن الأجراس هذى الأزاهس

شم كان رحيل شاعر الأعراف ، م . ع . همشورى .

(١) نفسى : دق النافوس .

- ٢٤٤ -

وكتب صديق صباه صالح جودت يصفه بقوليه :

كان يفيض قوة وشبابا وحبوية ، فهو عملاق ، مريض المنكبين ، تكاد حمرة
الشباب تغز من خديسه ، لايشكو شيئا فى جسده ، ويحب أن يتأنق فى ملبسه ،
ويتخبر رباطات عنق ذات ألوان زاهية كألوان مناديل صدره ، ويرين عسرة
سترته دائما بوردة كبيرة حمراء ، ويمشى فى الأرض مرحا ، ويملا الجو
حوله بضحكاته العالية ، ويشق طريقه فى ثقة وكبرياء واعتداد " .

XXXXXXXXXX

وبعد ، فقد رحل شاعر الأعراف ، م . ع . همشري وهو لم يتجاوز
الثلاثين الا قليلا ولكنه أمطى لشعرنا العربى تراشا خصبا عميقا
يجعله فى طبعة شعرائنا الرومانسيين فى شعرنا العربى المعاصر .
لقد اهتمرت الزهرة فى عنفوان تفتحها وتألؤها ولكن عبيرها مازال
مبقا فواحا شديدا خالدا على مر العصور والأجيال .

- ٢٤٥ -

مختارات من شعر الهمشري

- ١ - الى نوسا
 - ٢ - عاصفة في سكون الليل
 - ٣ - أحلام النارجة الذابلة
-

١ - إلى نوسا

منك الجمال ومنى الحب يا " نوسا " (١)
فعلى القلب ، ان القلب قد يثما
ياحبذا نسمة من " توجة " (٢) خطرت
أطالبت النفس من أسبابها النفسا
أضمها ضم مشتاق به خبـــــــــــــــــل
قد رام كتم هوى أحبابه فنسا (٣)
ان تسمى فرع نائوس بقريتكم
في مطلع الفجر ينعى الليل والغلسا
فانه قلبى المنكود يذكركم
فهل سمعت بقلب قد فدا جرسنا ؟
وان تالق برق نسى سماوتكم
فانه من لهيب القلب قد قبسا

XXXXXXXXXXXX

الروح ان ظمئت يوما ، فحاجتها
خمر سماوية فاضتها بها قدسا
وأنت " ياتوح " روحانية خلقت
لكى تريننا علا الجنات منعسا

XXXXXXXXXXXX

-
- (١) نوسا : قرية تتكىء على النيل قريبة من المنصورة واسمها " نوسا البحر "
وكانت لهمشرى فيها قصة حب كبيرة .
(٢) الاسم المدلل للمتنزل فيها .
(٣) نسا : قصر .

هذا جمالك يدمونسى لامشقىه
لكن ثغرك يادنيىاى مانيسىه
الله يشهد انى حين اذكركم
أديل دمعها على الخدين محتبها
عسى نسيم الصبا يسرى فيسها بسى
قلبا يموت حزينا فى الغرام ٠٠ عسى
فان بعثت لنا من " توحه " خبرا
فكم يحبك هذا القلب يا " نوسا "

٢ - ماصفة فى سكون الليل

أشرفنى كالفجر فى راء الجبين
واتركنى نورك يهدى العالمين
واظلمنى فى ليل حزنى كوكبنا
تعممينى من ضلال العاشقين
واطرحنى فى قفس عمرى رهرة
علها تنمو وتزكو بعد حين
وابسمى تبسم لنا بيض المنى
واضحكى تضحك لنا عن السنين

XXXXXXXXXXXX

ها هو الليل كما كان بدا
يحمل الحزن للقلبى والحنين
هيكل الأحزان ... فى محرابه
قرب العشاق قربان العيون
عطره أحزان أزهار الربنا
ونسداه عبرات البائسين
وسرى النسيم فى أحشائه
مهج ذابت وأرواح فنين
كل شىء هان فى شرع الهوى
ياملاكى ... والهوى ليس يهوى

XXXXXXXXXXXX

لم يمر الليل سوى بنيت هوى

قرأت ما ستعاني في الجبين
لبست في بدنه ثوب الهسوي
وبأخراه ثياب النادميين
وعميد بات مطوى الحشا
في سكون الليل مبجوح الأنيس
قام في الليل كطيف فابـر
وكان الليل محراب القـرون

XXXXXXXXXXXX

وملن قلب الحزن على
وتر اللهلديه والمجون
ليس يدري فكره ما لحنه
وهو رجع السحر من ماض شطون

XXXXXXXXXXXX

أيها الليل أتينا نشتكسي
فاستمع شكوى الحزاني المتعبين
هدنا الحزن وأضانا الأسى
وبرانا الوجد في دنيا الشجون
قد شكوناك وجفنا نشتكسي
لك شيئا من خيال الداهليين

XXXXXXXXXXXX

اننى ياليل أحكى غنـوة
فنيبت فيك على مر السنين
واستحالت فى البلى قـبرة
تتغنى فى دجى وادى المنـون

XXXXXXXXXXXX

- ٢٥٠ -

هذه أغنيتي رتلتها
لك يادنياى فى دبير السكون
لحنها أنت ... وحنسى وقعها
ونذير الموت بعض السامعيين
لاتلومي ماها من حزن
انما الأحزان موسيقى الحزين
أعذب الألحان لحن أقرعت
فيه أناك الأسى طس الحنين
عائقينى فى الدجى اقتربى
اننى أفرع مما تفزعين
قربى خذك ... ضميني السى
صدرك الحانى .. أشمى هذا الجبين
انما نحن كركب فسل فسى
تبيه محراة ... بقوم تائهين
قد نسينا كل ماكان لنا
وتركنا فى فسد ماسيكون؟

٣ - أحلام النارجية الداهلية

كانت لنا عند السياج شجيرة
 ألف الغناء بظلمها الزرور
 طلق الربيع يزورها متخفيا
 فيفيض منها في الحديقة نسور
 حتى اذا حل الصباح تنفست
 فيها الرهور وزئق العمفور
 وسرى الى أرض الحديقة كلها
 نبا الربيع وركبه المسحور
 كانت لنا ... ياليتها دامت لنا
 أو دام يهتف لوتها الزرور

XXXXXXXXXXXX

قد كنت أجلس صوبها في شرفتي
 أو كنت أجلس تحتها في طلتي
 أو كنت أرقب في الضحى زورها
 متهللا يغشى نواقذ غرفتي
 طورا ينقر في الزجاج وتسارة
 يسمو ويرزق في وكار سقيفتي (١)
 فاذا رأى طار في أمرودة
 ببضء واستوفى (٢) غصون شجيرتي
 كانت لنا ... ياليتها دامت لنا
 أو دام يهتف لوتها الزرور

XXXXXXXXXXXX

- (١) جمع وكز - سقف الغرفة .
 (٢) استوفى - اشترى .

فمتى بيؤوب هتافه ؟ ومتى أرى
نوارك الثلجى بيانارنجتى
ومتى أظير اليك ترقص مهجتى
فرحنا وأخذ مجلسى من شرفتى

XXXXXXXXXXXX

هيهات لن أنسى بظلك مجلس
وأنا أراعى الألق نصف مغمض
خلفت جفونى ذكريات حلوة
من عطرِكَ التمرى والنغم الوفى
فانساب منك على كليل مشاعرى
ينبوع لحن فى الخيال مغمض
وهفت عليك الروح من وادى الأسى
لتعب من خمرة الأريج الأبيض
كانت لنا ... ياليتها دامت لنا
أو دام يهتف فوقها الزرور

XXXXXXXXXXXX

هيهات ... لن أنسى " فحى سبتمبر "
والنحل يفسى نورك المتلالى
ومساء " مارس " كيف يهبط تله
شغوية محدودة الأطلال
نزل الحديقة تحت أوهام الندى
وفنا عليك معطر الأديسال
فهناك كم ذهبية بهسا
روحى فتاهت فى مروج خيسال
وهنا تحركت الشجيرة فى أسسى
وبكى الربيع خيالها المهجور

- ٢٥٢ -

وتذكرت مهد المبا فتأوهست
وكانها بيد الأسى طنهور

xxxxxxxxxxxx

وتذكرت أيام يرشسف نورها
ريق الضحى ويرزدر الزردور
ومرائس النارج تحلم فى النسدى
فيرف فيها طيفها المسهور
كانت لنا ، ياليتها دامت لنا
أو دام يهتف فوقها الزردور

xxxxxxxxxxxx

وتذكرت عند السياج أزاهرا
صراة رقت فى ظلال العوسج
زهر التغطية كيف خان مهودهها
نسى الهوى فى عطرها المتبلج
وتذكرت فى رمشة لما سبا
زرورها منها ولم يتحرج
وهنا تمشت فى الشجيرة ظجبة
وبكت حنيننا للشذى المتسارج
كانت لنا ، ياليتها دامت لنا
أو دام يهتف فوقها الزردور

xxxxxxxxxxxx

وتذكرت شفتها توهج حمرة
ظل الفيوم على ربي الأمسال
وبدت فصون الجزورين كأنهها
قلع ترلرف فى بحار خيصال

xxxxxxxxxxxx

وهنا تحركت الشجيرة في أسسى
وبكى الربيع خيالها المهجور
وتذكرت عهد الصبا فتنهدت
وكانها بيد الأسى طنهور
وتذكرت شجر النخيل وهدهدا
قد كان يقمدها صباح مساء
وتذكرت في اليوسفى بمامسة
كانت تنوح الليلة القمرء

XXXXXXXXXXXX

وهنا تحركت الشجيرة في أسسى
وبكى الربيع خيالها المهجور
وتذكرت عهد الصبا فترنحت
وكانها بيد الأسى طنهور

XXXXXXXXXXXX

وفلت على كل الغصون سحابسة
وزكا الغصين وفتح النوار
وتهلل الزرزور فى أوراقها
وزها السياج وفاحت الأمطار

XXXXXXXXXXXX

طمت بأرض في الخيال سحيقة
في ذلك الأفق القصى النائسى
وهناك تحت " سمانجون " سماءها (١)
ناقت الى أحلامها الزرقاء
خلدت الى صمت هناك مخيم

(١) سمانجون : لفظة فارسية يعتمد بها الزرقة العميقة .

تسجوا عليه خوالق الألياء
هسى جنة الأشجار والأطلال
والأمطار والأنغام والأنبياء

XXXXXXXXXXXXXXXX

يتزاهر " البشنين " فوق شطوطها
ويغازل الدفلى زهر اللوتس
ومرائس النارج فاح عبيرها
بالنحل تحلم فى السكون المشمس
وهناك زرزور يغرد دأثما
ويقص أحلام الزهور النعس
يروى لها أسطورة سحرية
مما يفوح به خيال النرجس
كانت لنا ... بياليتها دامت لنا
أو دام يهتف فوقها الزرزور

XXXXXXXXXXXXXXXX

نارنجتى ... والله قد فارقتنى
وأنا حليف كآبة خرساء
أصبحت بعدك فى انقباض موحش
وكأننى منه مساء شتاء
تتناثر الأمطار فى آفاقها
روحى اليك وراء كل فضاء
وترف فى دهليز كل أشعة
قمرء أو ترنيمية بيضاء

XXXXXXXXXXXXXXXX

قد كنت أرجو أن تكون نهايتى

- ٢٥٦ -

في ظل هذا السور حياك أراك
ويكون آخر ما يخذر مسمعي
زرزورك العناب حياك أراك
ويطوف في غيبوبتي فيفيقني
فجر تصير البعث من ريبك
والآن اذ جعل القضاء فانما
سيقوم في الذكرى خيال شذاك

x> <xxxxxxxx>

كانت لنا عند السياج شجيرة
ألف الغناء بظلمها الزرور
طفق الربيع يزورها متخفيا
فيفيض منها في الحديقة نور
حتى اذا حل الصباح تنفست
فيها الزهور وزرق العصفور
وسرى الى أرض الحديقة كلها
نبا الربيع وركبه المسحور

xxxxxxxxxxxx

كانت لنا... ياليتها دامت لنا
أو دام يهتف فونها الزرور

محمد زهنوان

- * ولد محمد محمود زهنوان بمحافظة الدقهلية بمصر في ١٥ سبتمبر عام ١٩٤٨ م
- * حاصل على ليسانس كلية دار العلوم جامعة القاهرة عام ١٩٧١ م.
- * صحفي بدار الهلال ل - عضو نقابة الصحفيين - عضو اتحاد كتاب مصر.
- * يتبع المنهج النفسى فى أدب السير والتراجم وله عدة تراجم أدبية.
- * من الأدباء والنقاد الذين تناولوا مؤلفاته بالدراسة والنقد والتحليل (صالح جودت - أنيس منصور - أحمد عبدالمجيد - إبراهيم عيسى - عبدالعليم القبائى - د. مقداد يالجن - سعد حامد - كمال النجمي)
- * له خبرة فى الصحافة الأدبية، حيث عمل فى سلطنة عمان رئيساً لتحرير مجلة «السراج» ومديراً لتحرير مجلة « النهضة»، ويعمل حالياً كاتباً صحفياً بمجلة «الهلال»، القاهرة.

* من مؤلفاته التى صدرت:

- ١ - صفحات مجهولة من حياة زكى مبارك
- ٢ - مأساة شاعر البؤس، عبدالحميد الديب
- ٣ - شاعر النيل والنخيل، صالح جودت
- ٤ - السندباد الطائر، أنيس منصور
- ٥ - رحلتى مع القلم
- ٦ - اعترافات شاعر الكرنك، احمد فتحى
- ٧ - قصائد الحب المتنوعة
- ٨ - قصائد سياسية متنوعة
- ٩ - ليالى هارون الرشيد بين الحقيقة والاسطورة

* له تحت الاعداد والطبع:

- ١ - نساء فى حياة فاروق
- ٢ - فيلسوف الصعاليك : عبدالحميد الديب
- ٣ - يوسف السباعى : الفارس لشهيد
- ٤ - شاعر الأطلال، ناجى
- ٥ - شاعر الجندول، على محمود طه
- ٦ - شعراء الحب

الفهرست

صفحة

٤	منهج محمد رضوان فى أدب السير والتراجم للسفير الشاعر أحمد عبدالمجيد	»
١١	مقدمة المؤلف	»
١٣	مع شعر الحب والجمال	»
٢٥	شاعر الأطلال ، ناجى	»
٨٠	شاعر النيل والنخيل ، صالح جودت	»
١١٧	شاعر الجنود ، على محمود طه	»
١٤٧	شاعر الكرنك ، أحمد فتحى	»
٢٠٧	شاعر الأعراف ، الهمشورى	»

شعراء الحب والجمال

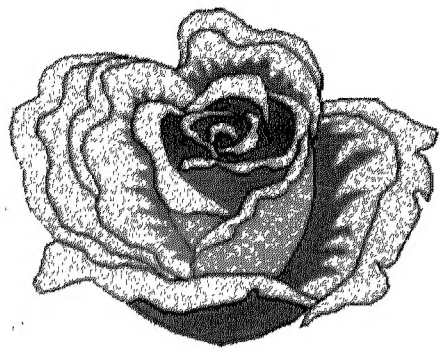


* ظل الحب هو الولحة الغناء للشعراء العشاق
الذين جعلوا من التقى ببدائع الحسن وروائع
الجمال دستوراً لهم يعزفون على قيثارتهم أطلى
أغاريد الحب والجمال .

* وفي هذا أصداب الجديد للكاتب الصحفي محمد
رضوان يقدم لنا نخبة من أرق شعراء الحب
والجمال ، الذين عاشوا تجارب الحب ورتلوا
في محراب الحبيبة نغمات تصيح عن أسرار
قلوبهم وسرائر أرواحهم ، وجعلوا من العبيبة
المنار العلى الذى يضى حياتهم بالنور واللملح
وبملا حياتهم بعبير الحب الفواح .

* إنها أغاريد الحب والجمال لهؤلاء الشعراء
الرومانسيين الذين أحبوا وعاشوا من أبلى الحب
والعشق وآلام الحنين والسهاد !

شعر امة الحب



الحب واحة العشاق وشعراء الحب كثيرون
 منهم من طغى الحب على قصائده ومنهم من
 هرب بقصائده من الحب وعذابه والامة ومنهم
 من يجمع بين الاثنين ويناجي الحبيب بأبيات
 تثير عما في قلبه من خفقات الهوى ، وآهات
 تجرى والسهاد ، إنها رحلة ممتعة داخل قلوب
 الشعراء يمر في محطاتها أديبنا محمد
 رضوان في رحلة مثيرة وممتعة .

الناشر
مركز الراية

2000
AL-AHHAM